مِنْ أسفارِ الحجِّ والزِّيارة



الشَّيخ مُحمَّد المُصطفى ابن الصَّالح الشَّرفي

التَّشوُّق إلى الحجِّ وذِكْر فضائل مكَّة

اعتمد في هذا السفر على مخطوط الخزانة الحسنية رقم 7925

الأرقام ذات اللون الأحمر الموجودة في النص
تشير إلى أرقام الصفحات الأصلية في المخطوط


من أسفار الحج والزيارة
ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج
التشوق إلى الحج وذكر فضائل مكة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قال الشيخ الولي الصالح
القطب الواضح سيدي المعطى
ابن الصالح رحمه الله تعالى

الحمد لله الذي ابتدع العالم الانساني
بتخصيص ارادته وباهر قدرته والحمد
لله الذي ابرزه من العدم الى الوجود ليكمل عليه
سوابغ نعمه ومواهب فضله ومنته والحمد
لله الذي اخرجه من ظلمة الجهل بنور المعرفة
وانطق لسانه بجواهر علومه الغيبية
وروائح حكمته والحمد لله الذي بعث
فينا حبيبه سيدنا ونبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم وجعله من انفسنا وشرفنا
ببعثته والحمد لله الذي سماه باسم
العبودية واضافه الى نفسه
تشريفا له وجبل القلوب على محبته وخالص
مودته والحمد لله الذي جعل ارواح
المحبين تستروح بذكر الحبيب في جميع
الاحوال وتتشوق الى معاهده
الشريفة ورؤيته والحمد لله الذي
جعل حبه مركوزا في الطباع حتى [illegible]

فاتحة كتاب الذخيرة ـ سفر التشوق إلى الحج وذكر فضائل مكة


ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً

قَالَ الشَّيْخُ الوَلِيُّ الصَّالِحُ القُطْبُ الوَاضِحُ سَيِّدِي المَعْطِي أَبِي الصَّالِحِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ابْتَدَعَ العَالَمَ الإِنْسَانِيَ بِتَخْصِيصِ إِرَادَتِهِ وَبَاهِرِ قُدْرَتِهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَبْرَزَهُ مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ لِيُظْهِرَ عَلَيْهِ سَوَابِغَ نِعَمِهِ وَمَوَاهِبَ فَضْلِهِ وَمِنَّتِهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْ ظُلْمَةِ الجَهْلِ بِنُورِ المَعْرِفَةِ وَأَنْطَقَ لِسَانَهُ بِجَوَاهِرِ عُلُومِهِ الغَيْبِيَةِ وَفَرَائِدِ حِكْمَتِهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَ فِينَا حَبِيبَهُ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَلَهُ مِنْ أَنْفُسِنَا وَشَرَّفَنَا بِبِعْثَتِهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِاسْمِ العُبُودِيَّةِ وَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفًا لَهُ وَجَبَلَ القُلُوبَ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَخَالِصِ مَوَدَّتِهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ أَرْوَاحَ المُحِبِّينَ تَسْتَرْوِحُ بِذِكْرِهِ الطَّيِّبِ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ وَتَتَشَوَّقُ إِلَى مَعَاهِدِهِ الشَّرِيفَةِ وَرُؤْيَتِهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ حُبَّهُ مَرْكُوزًا فِي الطِّبَاعِ حَتَّى يَوَدُّ (1) المُؤْمِنُ أَنْ يَبْذُلَ فِي زِيَارَتِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ نَفْسَهُ وَمَالَهُ وَوَلَدَهُ وَسَوَادَ مُقْلَتِهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ قُلُوبَ العَاشِقِينَ تَطِيبُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَتَنْشَرِحُ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَسَمَاعِ مِدْحَتِهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ قَبْرَهُ الشَّرِيفَ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ مَنْ شَاهَدَهُ ظَفِرَ بِنَيْلِ مَقْصُودِهِ وَكَمَالِ بُغْيَتِهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ رُؤْيَتَهُ المُبَارَكَةَ حَقًّا وَحَفِظَهَا مِنْ تَخَيُّلَاتِ الشَّيْطَانِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَمَثَّلَ عَلَى شَكْلِهِ وَصُورَتِهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَفَضَّلَ عَلَى مَنْ رَآهُ بِالفَوْزِ وَالسَّعَادَةِ وَأَكْرَمَهُ فِي الدَّارَيْنِ بِشَفَاعَتِهِ، وَحُصُولِ رَغْبَتِهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْنَا حَجَّ بَيْتِهِ المُبَارَكِ لِمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَجَعَلَ مَنْ تَمَسَّكَ بِعُرْوَتِهِ الوُثْقَى مَاتَ مُومِنًا مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ وَظُلْمَةِ وَحْشَتِهِ، هَذَا وَقَدْ مَكَثُّ مُدَّةً مَدِيدَةً، وَأَيَّامًا وَشُهُورًا عَدِيدَةً، وَأَزْمِنَةً مُتَطَاوِلَةً قَدِيمَةً وَجَدِيدَةً، أَتَشَوَّقُ إِلَى رُؤْيَةِ تِلْكَ البِقَاعِ المُنَوَّرَةِ، وَالحُجُرَاتِ النَّقِيَّةِ المُطَهَّرَةِ، وَيَدُ الأَقْدَارِ تَعْكِسُ آمَالِي،

(2) وعَوامِلُ الأَعْذار تُغيِّرُ أَحْوالِي، وَكُلَّما وَرد رَكْبٌ مِنْ أَرْض الحِجاز يُهيِّجُ بَلابِلَ أَشْواقِي، وَيُرْسِلُ على صَفحاتِ الخُدُودِ دُمُوعَ آماقِي، وَقَدْ حارَ فِي عِلاجِي الطَّبِيبُ وَالرَّاقِي، وَتَعذَّرَتْ عَنِ التَّأْثِيرِ أَسْبابُ دَوائِي وَتِرْيَاقِي، وَلَمْ أَزَلْ أَسْبَحُ فِي أَوْدِيَةِ وُجْدِي وَغَرامِي، وَأَهِيمُ فِي مَفاوِزِ عِشْقِي وَصَبابَتِي وَهُيامِي، فَتارَةً أَنْتَفِضُ كَمَا يَنْتَفِضُ العُصْفُورُ، وَتارَةً أَتأَوَّهُ كَمَا يَتأَوَّهُ المَغْلُوبُ المَقْهُورُ، وَتارَةً أَهْتَزُّ كَمَا يَهْتَزُّ الغُصْنُ الرَّائِحُ، وَتارَةً أَصِيحُ كَمَا يَصِيحُ المُتَهَتِّكُ البائِحُ، وَتارَةً أَسْكُنُ وَأَئِنُّ، وَتارَةً أَضْطَرِبُ وَأَحِنُّ، وَتارَةً أُعَفِّرُ مَصُونَ شَيْبِي بِغُبارِ الزُّوَارِ، وَتارَةً أَضَعُ نِعالَهُمْ عَلَى رَأْسِي وَأَتَوَسَّلُ بِهِمْ إِلَى المَوْلَى الحَلِيمِ الغَفَّارِ، وَتارَةً أُسَلِّي نَفْسِي بِإِنْشادِ القَصائِدِ وَالأَشْعارِ، وَتارَةً أُصَبِّرُها بِذِكْرِ المَعاهِدِ وَالدِّيارِ، وَتارَةً أُشَوِّقُها إِلَى حَيِّ العَقِيقِ وَالبابِ، وَتارَةً أُواعِدُها بِزِيارَةِ سَيِّدِ الأَكْوانِ، وَتارَةً أَقْطَعُ لَيْلِي بِالبُكاءِ وَالأَنِينِ، وَتارَةً أَطْوِي نَهارِي بِالشَّوْقِ وَالحَنِينِ، وَتارَةً أُؤَلِّفُ بَعْضَ الصَّلَوَاتِ وَأَتَشَفَّعُ بِهَا إِلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، وَتارَةً (3) أَبْتَكِرُ بَعْضَ المُناجاةِ وَأَسْتَعْطِفُ بِهَا حَبِيبَ رَبِّ العالَمِينَ، وَتارَةً أَتَقَرَّبُ بِمَدْحِ عُبُودِيَّتِهِ الَّتِي سَمَّاهُ بِهَا مَوْلاهُ، وَتارَةً أُنَوِّهُ بِمَحْبُوبِيَتِهِ الَّتِي اخْتَصَّهُ بِهَا مِنْ بَرِيئَتِهِ وَاصْطَفاهُ، وَتارَةً أَطْلُبُ رُؤْيَتَهُ الَّتِي هِيَ مِفْتاحُ أَبْوابِ السَّعادَةِ، وَتارَةً أَسْأَلُ بِجاهِهِ حُسْنَ العاقِبَةِ وَالمَوْتَ عَلَى كَلِمَتَيِ الشَّهادَةِ، وَتارَةً أَسْتَفْهِمُ صَوادِحَ الأَطْيارِ، وَتارَةً اسْتَرْوِحُ بِنُسَيْماتِ الأَسْحارِ، وَتارَةً أُخاطِبُ الأَطْلالَ وَالرُّسُومَ وَالدِّيارَ، وَتارَةً أُسَلِّي النَّفْسَ بِتِلْكَ المَعاهِدِ وَأَقُولُ لَها لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيمَا حَكَمَ بِهِ عَلَيْهِ مَوْلاهُ إِخْتِيارٌ، وَتارَةً يَهْجُمُ عَلَيَّ وارِدُ الشَّوْقِ المُبَرِّحِ فَأَكْتُمُ لَواعِجَهُ وَأَتَحَسَّى عُقارَ الإِصْطِبارِ، وَتارَةً أَتَمايَلُ وَأَطْرَبُ وَأَصِيحُ عِنْدَ تَغَنِّي الحُداةِ وَسَماعِ القَصائِدِ وَالأَشْعارِ، وَتارَةً أَغِيبُ عَنْ حِسِّي فِي جَمالِ تِلْكَ البِقاعِ المُنَوَّرَةِ فَأَخْلَعُ العِذارَ وَأَهْتِكُ الأَسْتارَ، وَتارَةً أَكْشِفُ القِناعَ وَأُعَبِّرُ عَمَّا فِي ضَمِيرِي مِنْ مَحَبَّةِ سَيِّدِ الأَبْرارِ وَزَيْنِ المُرْسَلِينَ الأَخْيارِ، وَتارَةً أَتْرُكُ التَّدْبِيرَ وَالإِخْتِيارَ وَأَرْكُضُ تَحْتَ مَجارِي الأَقْدارِ، وَتارَةً أَبْسُطُ يَدَ الضَّراعَةِ فِي سَوادِ اللَّيْلِ وَأُنادِي (4) بِلِسانِ الفاقَةِ وَالإِضْطِرارِ، وَالخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ وَالإِنْكِسارِ، يَا خالِقَ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ، يَا حَلِيمُ يَا كَرِيمُ يَا رَحْمانُ يَا رَحِيمُ يَا عَفُوُّ يَا غَفَّارُ، يَا مَنْ يَأْتِي بِالفَرَجِ عِنْدَ المَضِيقِ وَيُيَسِّرُ الأُمُورَ وَيَقْضِي الأَوْطارَ، قَرِّبْ عَلَيَّ المَزارَ، وَيَسِّرْ عَلَيَّ فِيهِ المَشاقَّ وَالأَخْطارَ وَاحْمِلْنِي عَلَى جَناحِ الشَّوْقِ إِلَى مَكَّةَ الطَّيِّبَةِ

المَنْزِل وَالقَرَار، وَوَصَّلني إِلَى المَدينَةِ المُشَرَّفَةِ العَزيزَةِ الأَهْل وَالجوَار، مُتَمَثِّلاً بقَوْلِ بَعْض البُزَاةِ الأَحْرَار، وَالصَّالحِينَ الكِبَار، حِينَ هَجَم عَلَيْه وَاردُ الشَّوْق إِلَى أَمَاكِن النَّبيِّ المُخْتَار، فَعَبَّرَ عَمَّا فِي ضَميره بلِسَانِ المَقَال مِنْ غَيْر احْتِشَام وَلا اسْتِتَار، قَائِلاً: وَدِدْتُ أَنْ لَوْ كَانَ لِي طَبْلٌ بَيْنَ يَدَيَّ أَضْربُ فِيهِ وَيَسْمَعُ طَنِينَهُ أَهْلُ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ فَيُقَالُ طَبْلُ مَنْ هَذَا فَيُقَالُ طَبْلُ فُلانٍ الغَريبِ بِالمَغْرب الشَّائِق إِلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَحْبُوبِ الحَبِيبِ ثُمَّ يَأْخُذُ يَبْكِي وَيَضْربُ بِيَدِهِ عَلَى لَوْحِ أَمَامَهُ مِنْ شِدَّةِ حَالِهِ وَكَانَ يَقُولُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ حِينَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَصَائِدِهِ يَا فُلانُ طَالَ مَالِي أَشْتَاقُ الحَجَّ وَرُؤْيَةَ الحَبِيبِ وَالعَوَائِقُ تَصُدُّنِي وَلَعَلَّ اللهَ يَا وَلَدِي يُسَهِّلُ عَلَيْكَ ذَلِكَ فَإِنْ رَمَاكَ اللهُ إِلَى تِلْكَ الأَمَاكِنِ الطَّيِّبَةِ فَاحْمِلْ مَعَكَ قَصَائِدِي وَاقْرَأْهَا (5) عِنْدَ الرَّوْضَةِ المُشَرَّفَةِ وَقُلْ لِحَبِيبِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ خِدْمَةُ الشَّائِقِ إِلَيْكَ النَّائِي عَنْ دَارِكَ وَجِوَارِكَ وَهَذَا جُهْدُ المُقِلِّ الَّذِي لَمْ يَسْتَطِعْ إِلَيْكَ سَبِيلاً قَدْ أَقْصَتْهُ ذُنُوبُهُ عَنْ بَابِكَ فَاشْفَعْ لَهُ عِنْدَ المَوْلَى الكَرِيمِ عَسَى أَنْ يَنَالَ مَرْغُوبَهُ قَائِلاً عَلَى جِهَةِ التَّذَلُّلِ وَالإِفْتِقَارِ، وَالتَّمَلُّقِ وَالإِعْتِذَارِ، لِمَنْ بِيَدِهِ تَصَارِيفُ الأَحْكَامِ وَقَضَاءُ الأَوْطَارِ فِي أَبْيَاتٍ مِنْ نَظْمِهِ.

يَا حَامِلَ الضُّعَفَاءِ وَالأَقْوِيَاءِ وَمَنْ ❖ أَلْطَافُهُ تَكْشِفُ الأَسْوَاءَ وَالنَّصَبَا

قَلْبِي إِلَى طَيْبَةَ بِالشَّوْقِ يُزْعِجُنِي ❖ وَالجِسْمُ لاَ يَحْمِلُ الأَسْفَارَ وَالتَّعَبَا

وَالرِّجْلُ حَافِيَةٌ وَالكَفُّ فَارِغَةٌ ❖ وَالنَّفْسُ شَائِقَةٌ لاَ تَنْثَنِي عَجَبَا

وَالقَوْمُ قَدْ عَزَمُوا لِلْحَجِّ وَالتَأَمُوا ❖ وَالنَّوْمَ قَدْ حَرِمُوا مِمَّا بِهِمْ طَرَبَا

بِجَاهِ أَحْمَدَ فَاحْمِلْنِي بِمَكَّةَ فِي ❖ رِفْقٍ وَلُطْفٍ وَأَمْنٍ وَاقْطَعِ الحُجُبَا

وَتَارَةً يُخْمِدُ قَرِيحَتِي بَرْدُ الشِّتَاءِ وَاللَّيَالِي القَارَّةِ السُّودِ، وَتَارَةً يُزْعِجُنِي عَامِلُ الشَّوْقِ وَيَحْمِلُنِي عَلَى قَطْعِ المَفَاوِزِ المُهْلِكَةِ وَالغَرَائِبِ السُّودِ، وَتَارَةً أَقْطَعُ نَهَارِي بِالتَّحَسُّرِ وَالتَّأَسُّفِ وَأَسْهَرُ لَيْلِي فَأَبِيتُ كَمَا يَبِيتُ المَرْمُودُ، وَتَارَةً أَمْسَحُ دُمُوعِي بِأَنَامِلِ الإِنْكَارِ وَأَكْتُمُ مَا ظَهَرَ عَلَى وَجْهِي مِنْ شَوَاهِدِ الهُمُومِ وَالغُمُومِ وَالنُّكُودِ، وَتَارَةً أُرَاقِبُ طَيْفَ خَيَالِ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ فِي مَنَامِي وَأَقُولُ لَعَلَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَيَّ بِزِيَارَتِهِمَا وَيَجُودُ، وَتَارَةً (6) يُقَرِّبُهُمَا مِنِّي الفِكْرُ حَتَّى كَأَنِّي أَرَى عَرَائِسَهُمَا

المَجْلُوَّةَ فِي مَقامِهِما المَشْهُودِ، وَتَارَةً يَقْوَى عَلَيَّ وارِدُ الحُبِّ فَيُسَهِّلُ عَلَيَّ كُلَّ صَعْبٍ وَيَحْمِلُني عَلَى قَطْعِ الفَرَاسِخِ فِي مَحَبَّتِهِمَا وَالبُرُودِ، وَتارَةً يُقَوِّيني عارِضُ الفَالِ الصَّالِحِ وَيُبَشِّرُني طَائِرُهُمَا المَيْمُونُ بالوُصُولِ إلى بِقَاعِهِمَا المَحْفُوفَتَينِ باليُمْنِ وَالبَرَكَةِ وَالسُّعُودِ، وَتَارَةً أجِدُّ وَأَجْتَهِدُ فِي طَلَبِهِمَا بالحَزْمِ وَقُوَّةِ العَزْمِ وَفَاءً بالعُهُودِ وَإنْجازِ الوُعُودِ، وَتارَةً يَثْني عِنانِي الكِبَرُ فَأَخَافُ أنْ يَفُوتَ عَلَيَّ مَا رُمْتُهُ مِنْ بُلُوغِ المُنَى وَنَيْلِ المَقْصُودِ، وَتارَةَ أنْهَضُ فَيَحُلُّ عَزِيمَتِي عَارِضُ العَجْزِ وَالضَّعْفِ وَعَدَمُ القُدْرَةِ عَلَى القِيامِ وَالقُعُودِ، وَتارَةً أقُولُ:

أَلَا لَيْــــتَ الشَّبَابَ يَعُــــودُ يَوْمًا ❖ فَأُخْبِــــرُهُ بِمَا فَعَــــلَ المَشِيبُ

مِنْ وُجُودِ الأَسْبَابِ المَانِعَةِ مِنَ القُدُومِ إلَى تِلْكَ المَعَاهِدِ وَالوُفُودِ، وَتَارَةً يُذَكِّرُني خَاطِري مَا جَنَيْتُهُ فَأَقُولُ يَا عَجَبًا المُسِيءُ يَرْقَى مَرَاقِيَ أَهْلِ السِّرِّ وَالخُصُوصِيَّةِ وَيَسُودُ، وَتَارَةً يَهْدِيني نُورُ الفَهْمِ إلَى طَلَبِ التَّوْبَةِ وَالعَفْوِ وَالمَغْفِرَةِ فَأُنَادِي بِلِسَانِ التَّضَرُّعِ يَا وَاسِعَ الكَرَمِ وَالجُودِ، يَا مَنْ دُعَاءُ أَهْلِ مَحَبَّتِهِ مَقْبُولٌ لَدَيْهِ غَيْرُ مَرْدُودٍ، احْمِلْني عَلَى جَنَاحِ الشَّوْقِ إلَى تِلْكَ البِقَاعِ المُنَوَّرَةِ فَأَزُورُهَا كُلَّ عَامٍ وَأَعُودُ إلَيْهَا ثُمَّ أَعُودُ، فَأَكْرِمْ بِهَا مِنْ (7) سَيِّدَةٍ تَوَاطَأَتْ عَلَى مَحَبَّتِهَا الآبَاءُ وَالجُدُودُ وَعَطَّرَتْ نَوَاسِمَ رَيَّاهَا أَرْجَاءُ المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ وَسَائِرَ الأَقْطَارِ وَالجِهَاتِ وَجَمِيعَ الأَغْوَارِ وَالنُّجُودِ، وَحَجَّتْهَا المَلَائِكَةُ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِأَلْفَيْ عَامٍ وَطَارَ إلَيْهَا الحُجَّاجُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ وَطَافَ بِهَا العَرَبُ وَالعَجَمُ وَالحُمْرُ وَالسُّودُ، فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُمَتِّعَ أَبْصَارَنَا فِي جَمَالِ خَالِهَا المِسْكِيِّ وَبَهَاءِ حُلَلِهَا السُّودِ، وَيُرْوِيَ أَفْئِدَتَنَا مِنْ رَحِيقِ كَوْثَرِهَا المَعِينِ وَحَوْضِهَا المَوْرُودِ، وَيَفْتَحَ بِبَرَكَتِهَا فِي وُجُوهِنَا كُلَّ قُفْلٍ مُرْتَجٍّ وَبَابٍ مَسْدُودٍ، وَيُسَهِّلَ عَلَيْنَا المَسِيرَ إلَيْهَا فَيَصِيرُ رَكْبُنَا كُلَّ عَامٍ وَيَقِفُ بِعَرَفَاتِهَا وَيَعُودُ، إنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، مُتَفَضِّلٌ مُنْعِمٌ عَطُوفٌ وَدُودٌ، آمِينَ آمِينَ آمِينَ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

إجْمَـــاعُ الهُدَى فِي حُبِّ أَحْمَدَ أُدْرجَا ❖ فَمَـــــا لِي سِوَاهُ فِي الشَّدَائِدِ مُلْتَجَا
إِذَا ضَاقَ بِي أَمْرٌ وَكَـــانَتْ وَسِيلَتِي ❖ إِلَى اللهِ مَـدْحِـــي لِلنَّبِيِّ تَفَــرُّجَا
وَقِدَماً بِهِ قَدْ فَــــرَّجَ اللهُ كُرْبَتِي ❖ وَيَسَّـــرَ لِي مِنْ فَضْلِهِ كُلَّ مُرْتَجَا
وَجرَّبْتُ فِي دَفْعِ الــرَّدَى كُلَّ حِيلَةٍ ❖ فَلَمْ أَرَ فِي شَـــيْءٍ سِوَى مَدْحِهِ النَّجَا
فَمَا المَـدْحُ إِلاَّ مَا يَخُـــصُّ جَنَابَهُ ❖ وَمَدْحُ سِـــوَاهُ فِي الحَقِيقَةِ كَالهِجَا
وَلَمْ أَرَ فِي نَيْــلِ المُنَى كَتَوَسُّـــلٍ ❖ بِهِ سِيَـــمَا إِنْ غَلَّبَ السَّائِلُ الرَّجَا
وَأَخْلَصَ فِيهِ القَصْدَ لِلَّهِ وَحْـــدَهُ ❖ وَنَاجَــى بِهِ مَوْلاَهُ فِي ظُلْمَةِ الرَّجَا (8)
وَحَـــاشَ إِلاَهِي أَنْ يُخَيِّبَ سَائِلاً ❖ لِخَيْرِ عِبَــــادِ اللهِ كَانَ لَهُ اللَّجَا
فَيَارَبِّ فَاجْعَـــلْ لِي بِجَاهِ مُحَمَّدٍ ❖ حَبِيبِــكَ مِنْ كُلِّ الشَّدَائِدِ مَخْرَجَا
وَمُـــنَّ عَلَى ضَعْفِي وَنَوِّرْ بَصِيرَتِي ❖ بِنُـــورِكَ فِي لَيْلِ الخُطُوبِ إِذَا سَجَا
وَلاَ تَجْعَـلْ الدَّعْوَى مَقَامِي وَالهَوَى ❖ إِمَامِيَ وَاسْلُكْ بِي إِلَى الحَقِّ مَنْهَجَا
وَيَسِّرْ إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ وِفَـــادَةً ❖ لِعَبْدِكَ لاَ يَشْكُو كَلاَلاً وَلاَ وَجَـــا
وَأُخْرَى إِلَـــى خَيْرِ الوَرَى وَإِقَامَةً ❖ هُنَاكَ فَـمَا أَحْلَى المَقَامَ وَأَبْهَـــجَا
فَيَا طَيْـــبَ ذَاكَ العَيْشِ لَوْ نِلْتُهُ فَمَا ❖ أَشَدَّ إِذًا فَقْرِي إِلَيْــــهِ وَأَحْوَجَـــا
فَيَا خَيْرَ خَلْــــقِ اللهِ مَالِي أُذَادُ عَنْ ❖ حِمَاكَ وَقَدْ مَا كُنْتُ نَحْوَكَ مُزْعِجاً
إِذَا هَاجَ شَـــوْقِي رُمْتُ نَحْوَكَ رِحْلَةً ❖ فَعَادَ صَحِيــــحُ العَزْمِ مِنِّي أَعْوَجَا
فَكَمْ مَرَّةً صَمَّمْــــــتُ دُونَ تَرَدُّدٍ ❖ وَأَلْجَـــمَ مِنِّي العَزْمُ خَيْلاً وَأَسْرَجَا
فَيَصْرِفُ شُؤْمَ الذَّنْبِ وَجْهِي وَيَنْطَفِـــي ❖ مِنَ العَـزْمِ مَا قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلُ مُسْرَجَا
وَمَا ذَلِـكَ إِلاَّ مِنْ خِصَـــالٍ ذَمِيمَةٍ ❖ بِهَا صَالِحُ الأَعْمَالِ قَدْ صَـارَ بَهْرَجَا
سَلِ اللهَ يَرْزُقْنِي اتِّبَاعَكَ سَيِّـــدِي ❖ فَلَمْ يَنْجُ إِلاَّ بِاتِّبَاعِـــــكَ مَنْ نَجَا
وَصَلِّ وَسَلِّمْ يَا إِلاَهِي عَلَيْـــــهِ مَا ❖ غَدَا قَاطِعًا فِي سَيْـــرِهِ البَدْرُ أَبْرُجَا
صَلاَةً تَفُوقُ الحَصْرَ مِنْـــكَ أُعِدُّهَا ❖ لِصَالِحِ أَعْمَالِـــــي لِبَابِكَ مَعْرَجَا

وَتَارَةً يُثَبِّطُنِي قَيْظُ الهَوَاجِرِ وَالسَّمَائِمِ، وَتَارَةً أَرْكَبُ جَوَادَ العَزْمِ وَأَلْغِ مَقَالَةَ العَذُولِ وَاللاَّئِمِ، وَتَارَةً يُغْرِينِي عَامِلُ الشَّوْقِ فَأَنُوحُ كَمَا تَنُوحُ الحَمَائِمُ، وَتَارَةً أُصَبِّرُ نَفْسِي بِلَعَلَّ وَعَسَى وَأَقُولُ لَعَلَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا العَامُ وَقْتَ المَسِيرِ إِلَى تِلْكَ البِقَاعِ المُنَوَّرَةِ مَعَ أَكَابِرِ الأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَرْبَابِ العَمَائِمِ، وَتَارَةً يُعْجِبُنِي زَهْوُ زَمَنِ الرَّبِيعِ وَانْتِشَاقُ زَهْرِ الرُّبَى وَوَرْدِ الكَمَائِمِ، وَتَارَةً يَغْلِبُنِي طَرْفِي وَيُطْرِفُنِي

الكرا فأنامُ مَعَ (9) النوائم، وَتَارَةَ يُساعِدُني حُسْنُ الظَّنِّ فأُصَحِّحُ النِّيَّةَ وأقولُ: إنَّمَا الأَعْمَالُ بالخواتم، وَتارةً يُوقِظُني شاهِدُ العقل وَنذيرُ الشَّيْب وَيقُولانِ لِي: أَيَقْظانُ أَنْتَ أَمْ نَائِمٌ، وَتارةً يَعْتريني عارضُ الكسَل فأُعالجُ نَفْسِي باسْتِعْمَال الرُّقا وَالتَّمائم، وَتارَةً أَرْجعُ باللَّوْم عَلى نَفْسِي وأقولُ لها إنْ لَمْ تُشاهِدِي تِلْكَ الأَمَاكِنَ الشَّرِيفَةَ فعُمْرُكِ ضائعٌ وَعَيْشُكِ عَيْشُ البَهائم، وَتارةً أَشْتَغِلُ بالفُكاهَةِ وَزَهْوِ الأَعْراسِ وَالوَلائِم، وَأَتْرُكُ مَا أَنَا بصَدَدِهِ مِنْ زِيارَةِ الكَعْبَةِ الَّتي مَنْ طافَ بِهَا غُفِرَتْ لَهُ جَميعُ المَآثِمِ وَالجَرائِم.

كُنْتُ فِي نَوْمَةِ الشَّبَابِ فَمَا ❖ اسْتَيْقَظْتُ إِلاَّ وَلِمَّتي شَمْطَاءُ
وَتَمَادَيْتُ أَقْتَفي أَثَرَ القَوْ ❖ م فَطالَتْ مَسَافَةٌ وَاقْتِفَاءُ
فَوْرَ السَّائِرِينَ وَهْوَ أَمَامِي ❖ سُبُلٌ وَعْرَةٌ وَأَرْضٌ عَرَاءُ
حَمِدَ المُدْلِجُونَ غِبَّ سُرَاهُمْ ❖ وَكَفَى مَنْ تَخَلَّفَ الإِبْطَاءُ
رِحْلَةً لَمْ يَزَلْ يُفَنِّدُنِي الصَّيْـ ❖ فُ إِذَا مَا نَوَيْتُهَا وَالشِّتَاءُ
يَتَّقِي حَرَّ وَجْهِيَ وَالحَرَّ ❖ دُ وَقَدْ عَزَّ مِنْ لَظَى الإِتِّقَاءُ
ضِقْتُ ذَرْعًا مِمَّا جَنَيْتُ فَيَوْمِي ❖ قَمْطَرِيرٌ وَلَيْلَتِي دَرْعَاءُ
وَتَذَكَّرْتُ رَحْمَةَ اللهِ فَالبِشْـ ❖ ـرُ لِوَجْهِي أَنَا انْتَحِي تِلْقَاءُ
فَأَلَحَّ الرَّجَاءُ وَالخَوْفُ بِالقَلْـ ❖ ـبِ وَلِلْخَوْفِ وَالرَّجَا إِخْفَاءُ
صَاحِ لا تَأْسَ إِنْ ضَعُفْتَ عَنِ الطَّا ❖ عَةِ وَاسْتَأْثَرَ بِهَا الأَقْوِيَاءُ
إِنَّ لِلَّهِ رَحْمَةً وَأَحَقُّ الـ ❖ ـنَّاسِ مِنْهُ بِالرَّحْمَةِ الضُّعَفَاءُ
فَابْقَ فِي العُرْجِ عِنْدَ مُنْقَلَبِ الذَّوْ ❖ دِ فَفِي العَوْدِ تَسْبِقُ العَرْجَاءُ (10)

حَرَارَةُ شَوْقِي بالتَّنْوِيهِ بِقَدْرِ إِمَامِ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ وَعَرُوسِ تِلْكَ الحَضَرَاتِ سَيِّدِي وَمَوْلايَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيَّ بِزِيَارَتِهِ وَرُؤْيَةِ وَجْهِهِ فِي الحَيَاةِ قَبْلَ المَمَاتِ آمِينَ آمِينَ آمِينَ وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

يَا كَعْبَةَ الحُسْنِ الَّتِي قَدْ أَذْهَبَتْ ❖ نُسُكِي وَهَاجَتْ لَوْعَتِي وَشُجُونِي
مَاذَا يَضُرُّكِ لَوْ سَمَحْتِ بِقُبْلَةٍ ❖ فِي خَالِكِ المِسْكِيِّ لِلْمِسْكِينِ
آهاً لِقَلْبِي أَنْ يَزُورَ حِمَاكِ أَوْ ❖ بِالمِيلِ الأَخْضَرِ لَوْ كَحَّلْتُ جُفُونِي
صَيَّرْتِنِي فِي الوَصْلِ كَالأَلِفِ الَّتِي ❖ سَقَطَتْ وَعِنْدَ الوَقْفِ كَالتَّنْوِينِ

يَرْوِي حَدِيثَ صَبَابَتِي بِــكَ عُرْوَةٌ ❖ وَمَدَامِعِي تُمْلَــى عَلَى ابْنِ مَعِين
وَوَعَدْتِ صَبَّكِ بِالأُبَيْــرَقِ شُرْبَةً ❖ لَعَسَــى تُبَرِّدُ لَوْعَةَ المَحْــزُونِ
وَأَخَذْتِ قَلْبِي يَوْمَ كَــاظِمَةٍ بِهَا ❖ رَهْنًا فَمَــا وَفَّيْتِ بَعْضَ دُيُــونِ
لَا تَأْسَفِي إِنْ بِعْــتُ رُوحِي بِاللِّقَا ❖ اللهُ يُرْبِحُ صَفْقَــةَ المَغْبُــونِ
لِي حَرْفُ مَدٍّ مِنْ قَوَامِكِ فَاعْطِفِي ❖ بِإِقَامَةِ الغُصْنِ الرَّطِيــبِ وَلِينِي
وَأَدَاةُ تَنْفِيــسٍ لِقَلْبِي لَــمْ تَزَلْ ❖ أَبَــدًا تَلُوحُ بِطُرَّةٍ كَــالسِّينِ
بِحَيَــاةِ حُسْنِكِ يَا مَلِيكَةَ عَصْرِهَا ❖ لَا تُبَدِّلِينِــي فِي الغَــرَامِ بِدُونِي
زَحَفَــتْ طَلَائِعُ حَاجِبَيْكِ لِمُهْجَتِي ❖ وَكَمِينُ لَحْظِــكِ مُنْذِرٌ بِكَمِينِ
إِنْ كُنْتُ أَطْمَعُ فِي سِوَاكِ بِنَظْــرَةٍ ❖ يَــوْمًا فَلَا قَرَّتْ بِــذَاكَ عُيُونِي
هَا قَدْ مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْكِ فَسَاعِدِي ❖ وَخُذِي بِحَقِّــكِ فِي الهَوَى بِيَمِينِي
أَفْدِي الَّذِينَ تَرَحَّلُوا سَحَــرًا وَلَمْ ❖ يَرْثُوا لِشَجْوِي بَعْدَهُــمْ وَحَنِينِي
وَدَّعْتُ رُوحِي عِنْدَمَا وَدَّعْتُهُــمْ ❖ وَرَجَعْتُ مَالِي غَيْرُ رَجْعِ أَنِيــنِ
فَمَدَامِعِي غَسْلِي غَــدَاةَ تَيَمَّمُوا ❖ وَثِيَابُ سُقْمِــي لِلْبَــلَا تَكْفِينِي
يَا نَفْسُ لَا تَخْشَــيْ لَهِيبَ جَهَنَّمٍ ❖ وَتَبَشَّرِي إِنْ حَلَّ رَيْــبُ مَنُونِ (11)
ظَنِّــي إِذَا مَا زُرْتُ قَبْرَ مُحَمَّدٍ ❖ سَيُجِيرُنِي مِنْ حَــرِّهَا وَيَقِينِي
المُصْطَفَى الهَادِي البَشِيرُ الطَّاهِــرُ ❖ الطُّهْرُ الشَّفِيعُ الصَّادِقُ وَالمَأْمُــونُ
هُوَ رُوحُ تَوْحِيــدِي وَعَيْنُ حَقِيقَتِي ❖ وَكَمَالُ مَعْرِفَتِي وَعِصْمَةُ دِينِــي
وَبِهِ مَــلَاذِي فِي المَعَادِ وَعُــدَّتِي ❖ عِنْــدَ الإِلَاهِ وَمُنْجِدِي وَمُعِينِــي

نَفَائِسُ تَشَوُّقَاتٍ حُلْوَةُ البَدْءِ وَالإِخْتِتَامِ، وَنَوَافِحُ نَسَمَاتٍ تُحَرِّكُ لَوَاعِجَ الشَّيِّقِ الوَالِهِ وَأَحْوَالُ الصَّبِّ المُسْتَهَامِ، وَعَوَاطِفُ رَحَمَاتٍ تَهُبُّ مِنْ بِسَاطِ الأُنْسِ وَحَضْرَةِ مَوْلَانَا المَلِكِ العَلَّامِ، وَمَوَاهِبُ أَذْكَارٍ تُهَيِّجُ وَارِدَاتِ الشَّوْقِ المُبَرِّحِ وَبَوَاعِثُ الوَجْدِ وَالهُيَامِ، وَحَنِينُ بَوَازِلَ، وَنَغَمَاتُ حُدَاةٍ تُشَوِّقُ الأَرْوَاحَ إِلَى حَجِّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، وَزِيَارَةِ الضَّرِيحِ المُنَوَّرِ عَلَى صَاحِبِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ، وَطَيِّبُ التَّحِيَّاتِ وَالبَرَكَاتِ وَالإِجْلَالِ وَالإِعْظَامِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةَ عَبْدٍ أَفْنَاهُ الوَجْدُ وَالغَرَامُ وَمَنَعَهُ مِنَ الوُصُولِ إِلَى مَكَّةَ المُشَرَّفَةِ وَالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ مَا يَطْرَأُ

عَلَيْهِ مِنْ حَوَادِثِ اللَّيَالِي وَالأَيَّام وَعَوَارِض الأَمْرَاض وَالأَسْقَام فَإِذَا سَمِعَ الحَادِيَ يَحْدُو يَصِيرُ دَمْعُهُ فِي انْسِجَام وَنَارُ قَلْبِهِ فِي وَهْج وَاضْطِرَام وَيُرَغِّبُ اللّٰه بِجَاهِهِ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ بِحَجَّةِ الإِسْلامَ وَالطَّوَافِ بِالبَيْتِ الحَرَام وَأَدَاءِ المَنَاسِكِ المُعَظَّمَةِ عَلَى التَّمَام وَيُمَتِّعَ بَصَرَهُ فِي رَوْضَةِ حَبِيبِهِ الغَنَّاء مَعَ أَصْحَابِهِ (12) الأَجِلَّةِ الكِرَام وَضَرِيحِهِ المُنَوَّر بِنُورِ الوَحْيِ وَالإِلْهَام وَعَرَصَاتِهِ المُبَارَكَةِ الَّتِي تَرَدَّدَ إِلَيْهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَزَارَهَا أَكَابِرُ المُقَرَّبِينَ وَالمَلائِكَةُ العِظَامُ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى بِقَاعِهِ المُنَوَّرَةِ وَبِلادِهِ وَيَجْنَحُ إِلَى زِيَارَةِ مَكَّةَ المُقَدَّسَةِ فِي قِيَامِهِ وَقُعُودِهِ وَنَوْمِهِ وَسُهَادِهِ وَيُهْدِي رَسَائِلَهُ كُلَّ عَام إِلَى رُوحِ حَبِيبِهِ الطَّيِّبَةِ وَمَشَاهِدِ إِصْدَارِهِ وَإِيرَادِهِ وَيَجْعَلُ ذِكْرَهُ المُبَارَكَ فَوَاتِحَ أَحْزَابِهِ وَوَظَائِفِهِ وَأَوْرَادِهِ وَتَرْدَادَ جَوَاهِرِ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ حِصْنَهُ الحَصِينَ وَرُكْنَ سَنَدِهِ وَاعْتِمَادِهِ وَيَسْأَلُ اللّٰه بِجَاهِهِ أَنْ يَمْتَنَّ عَلَيْهِ بِزِيَارَةِ مَقَامِهِ المُنَوَّر وَيَجْعَلَهُ مِنْ حُجَّاجِ البَيْتِ العَتِيقِ وَقُصَّادِهِ آمِينَ آمِينَ آمِينَ وَالحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ خَيَّمَ جَيْشُ الغَرَام فِي صَمِيم أَحْشَائِهِ وَفُؤَادِهِ وَغَابَ فِي حُبِّ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ فَصَارَ لَهْجُهُ بِذِكْرِهِمَا إِثْمِيدَ مُقَلِهِ وَنَمطَ فِرَاشِهِ وَوِسَادِهِ وَجَعَلَ الصَّلاَةَ عَلَى حَبِيبِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بَيْتَ قَصِيدِهِ وَإِنْشَادِهِ، وَالتَّنْوِيهِ بِقَدْرِهِ رَأْسَ مَالِهِ وَزَادِهِ وَالوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ثَمَرَةَ حَجِّهِ وَجِهَادِهِ وَالمَسِيرِ إِلَيْهِ مُنْتَهَى قَصْدِهِ وَغَايَةَ مُرَادِهِ، وَيَسْأَلُ اللّٰه (13) بِجَاهِهِ أَنْ يَتَوَفَّاهُ فِي بِقَاعِهِ المُنَوَّرَةِ مَعَ أَحِبَّتِهِ وَعَشَائِرِهِ وَأَهْلِهِ وَأَوْلاَدِهِ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلاَةً يَجِدُ العَبْدُ بَرَكَتَهَا فِي خُلْوَتِهِ وَانْفِرَادِهِ وَيَتَّخِذُهَا عُدَّةً لِيَوْم حَشْرِهِ وَنَشْرِهِ وَمَعَادِهِ، بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

سَقَى اللهُ العَقِيقَ عَقِيقَ دَمْعٍ ❖ يَجُـودُ رُبَى الأَبَاطِمِ وَالوِهَادِ
وَرَوَى مُحَمَّدٌ رَامَةَ سُحْبَ غَيْثٍ ❖ عَـزَّ إِلَيْهِ تَحُلُّ عُرَى العِمَادِ
لِيَالِي كَمْ شَفَتْ وَصْلاً وَجَادَتْ ❖ بِبَرْدٍ لِمَا عَلَى رَغْمِ البِعَادِ
فَتَاةٌ مِنْ بَنَاتِ البَدْوِ تُعَـزَّى ❖ إِذَا انْتَسَبَ المِلاَحُ إِلَى مُرَادِ
تَرُوقُ لِعَيْنِ عَاشِقِهَا إِذَا مَا ❖ بَدَتْ كَالبَدْرِ فِي حُلَلِ السَّوَادِ
بِرُقْعَةٍ تَخَافُ عَلَى مُحَيَّى ❖ بَدِيعٍ جَمَالُهَا عَيْنُ الأَعَادِ
أَلُوذُ بِهَجْرِهَا أَبَداً وَآوِي ❖ إِلَى حَرَمٍ بِهِ رُكْنُ اسْتِنَادِ
وَأَلْثُمُ خَالَ وَجْنَتِهَا فَيُطْفِي ❖ لَهِيبَ سَعِيرٍ أَحْشَائِي الصَّوَادِ
لِجَامِعِ حُسْنِهَا أَسْلَمْتُ وَجْهِي ❖ فَطَرْيٌ فِي عَاكِفٌ وَالسَّقَمُ بَادِ
وَقِبْلَةُ وَجْهِهَا أَنَّى تَوَلَّتْ ❖ يُحَوِّلُ نَحْوَهَا وَجْهَ العِبَادِ
لِكَعْبَةِ بَيْتِهَا حَجِّي وَقَصْدِي ❖ لِأَشْرَفِ مُرْسَلٍ كَنْزُ اعْتِقَادِ
مُحَمَّدٌ الشَّفِيعُ غَدَا إِمَامَ الـ ❖ هُدَى رَبُّ النَّدَا البَرُّ الجَوَادُ
حَبِيبُ صَفْوَةِ الرَّحْمَانِ فِينَا ❖ وَهَادِينَا إِلَى سُبُلِ الرَّشَادِ
عَلَيْهِ صَلاَةُ رَبِّهِ مَعْ سَلاَمٍ ❖ تَخُصُّهُ فِي نُمُوٍّ وَازْدِيَادِ

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ شَائِقٍ عَاقَتْهُ العَوَائِقُ عَنِ الوُصُولِ إِلَى مَكَّةَ (14) ذَاتِ الجَمَالِ البَارِعِ وَالحُسْنِ الفَائِقِ، وَالطَّوَافِ بِرُكْنِهَا اليَمَانِي وَتَقْبِيلِ حَجَرِهَا المَخْصُوصِ بِالضِّيَاءِ الشَّارِقِ، وَاللَّمَعَانِ البَارِقِ، وَالإِحْتِمَاءِ بِحَرَمِهَا الأَمِينِ الَّذِي تَفْزَعُ إِلَيْهِ الخَلاَئِقُ فِي الشَّدَائِدِ وَالمَضَائِقِ، وَمَقَامِهَا المُحْتَرَمِ المَاحِي أَوْزَارَ مَنِ اسْتَجَارَ بِهِ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ وَتَحِقُّ الحَقَائِقُ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ غَائِبٍ فِي مَحَاسِنِ مَكَّةَ وَشُهُودِ جَمَالِهَا البَاهِرِ، مُسْتَغْرِقِ الفِكْرِ فِي أَوْصَافِ كَمَالاَتِهَا وَمَعَانِي سِرِّهَا البَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، يَمْدَحُهَا بِلِسَانِ حَالِهِ وَمَقَالِهِ فِي المَوَارِدِ وَالمَصَادِرِ، وَيَسْأَلُ اللهَ بِجَاهِهَا أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ بِتَمَتُّعِ بَصَرِهِ فِي رِيَاضِهَا الأَرْيَضِ وَانْتِشَاقِ نَوَاسِمِ زَهْرِهَا العَاطِرِ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ عَاشِق سَرَى حُبُّ مَكَّةَ فِي سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ وَعُرُوقِهِ وَأَوْصَالِهِ فَغَدَى يَهْتِفُ بِزِيَارَتِهَا فِي مَقَامِهِ وَتِرْحَالِهِ، وَيَتَمَنَّى الوُصُولَ إِلَيْهَا بِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ وَعِيَالِهِ وَيَلْقَى عَصَا التَّسْيَارِ بِهَا وَيَحْتَمِي بِحِمَاهَا مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الفَزَعِ الأَكْبَرِ وَفِتْنَةِ القَبْرِ وَعَذَابِهِ وَنَكَالِهِ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ كَئِيبٍ عِيلَ صَبْرُهُ وَاشْتَدَّ عَنَاؤُهُ فَمَاتَ (15) شَوْقًا إِلَى رُؤْيَةِ مَكَّةَ المُشَرَّفَةِ وَالمَوْتُ فِي هَوَاهَا عَسَلٌ وَسُكَّرٌ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ شَيِّقٍ لَاحَ لَهُ بَارِقُ حُسْنِهَا الأَحْمَدِيِّ فَاخْتَطَفَ عَقْلَهُ عِنْدَ مُشَاهَدَتِهَا وَانْبَهَرَ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ مَغْرُومٍ لَامَتْهُ العَوَاذِلُ فِي حُبِّهَا فَخَلَعَ العِذَارَ وَبَاحَ بِمَا كَتَمَ فِي ضَمِيرِهِ وَسَتَرَ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ عَاشِقٍ جَنَحَتْ رَكَائِبُهُ إِلَى مَعَالِهَا السَّعِيدَةِ فَعَاقَتْهُ الأَقْدَارُ عَنِ الوُصُولِ إِلَى تُرْبَتِهَا المُنَوَّرَةِ فَتَنَفَّسَ تَنَفُّسَ المَكْرُوبِ المَهْمُومِ وَزَفَرَ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ مُتَيَّمٍ خَيَّمَ جَيْشُ غَرَامِهَا فِي فُؤَادِهِ فَكَتَمَ مَا حَلَّ بِهِ مِنْ لَوَاعِجِ الوَجْدِ وَالهِيَامِ وَنَارُ شَوْقِهِ تَرْمِي بِشَرَرٍ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ وَالِهٍ كَحَّلَ جَفْنَهُ بِإِثْمِدِ مَحَبَّتِهَا فَشَرَدَ النَّوْمُ عَنْ مَحَاجِرِهِ وَفِي التَّشَوُّقِ إِلَيْهَا يَطْرُدُ الكَرَى وَيَحْلُو السَّهَرُ. (16)

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ مُولَعٍ بِهَا سَمِعَ ذِكْرَ أَوْصَافِهَا الجَمِيلَةِ فَتَوَاجَدَ طَرَبًا وَأَنْهَلَتْ مَدَامِعُهُ عَلَى الوَجَنَاتِ إِنْهِلَالَ المَطَرِ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمولاَنَا مُحمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ مُهْتَمٍّ بالوُصُولِ إِلَيْهَا حَتَّى شَغَلَهُ ذَلِكَ عَنْ أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَبَذَلَ نَفْسَهُ فِي دُنُوِّهِ مِنْهَا فَجَفَا الأَهْلَ وَالمَضَاجِعَ هَجَرَ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمولاَنَا مُحمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ مَشْغُوفٍ شَرِبَ خَمْرَ مَوَدَّتِهَا فِي حُجُورِ آبَائِهِ وَأُمَّهَاتِهِ وَبِذِكْرِ مَحَاسِنِهَا طَابَ وَاسْتَهْتَرَ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمولاَنَا مُحمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ رَاغِبٍ فِي زِيَارَتِهَا خَلَّفَتْهُ العَشَائِرُ فَاحْتَرَقَ كَبِدُهُ بِنَارِ الشَّوْقِ إِلَيْهَا وَانْفَطَرَ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمولاَنَا مُحمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ رَاجٍ فَضْلَ ثَوَابِهَا وَأَجْرِهَا وَنَيْلَ عَطَائِهَا الجَزِيلِ وَخَيْرِهَا وَكَيْفَ يَخِيبُ مَنْ وَقَفَ بِبَابِهَا يَتَوَسَّلُ بِجَاهِهَا إِلَى اللهِ وَفِي مَحَاسِنِهَا إِسْتَغْرَقَ الفِكْرَ وَجَدَّدَ النَّظَرَ.

طَيِّبَةٌ فِي لَحْظِهَا شَرَكٌ ❖ تَقْتَنِصُ الأُسْدَ فِي الأَجَمِ
لَمْ تَزَلْ تَرْعَى حَشَايَ وَلَمْ ❖ تَرْعَ عَهْدِي لاَ وَلاَ ذِمَمِ (17)
فَوَقَتْ بِالخِيفِ مُقْلَتَهَا ❖ فَسَبَتْ غِزْلاَنَ ذِي سَلَمِ
عَجَبًا مِنْهَا حِجَازِيَّةٌ ❖ تَسْتَحِلُّ الصَّيْدَ فِي الحَرَمِ
حَرَمَتْ وَصْلَ المَشُوقِ أَسًى ❖ وَأَبَاحَتْ فِيهِ سَفْكَ دَمِي
كَمْ سَبَتْ صَبًّا وَكَمْ آسَرَتْ ❖ عَاشِقًا فِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ
وَلَكَمْ أَصْمَتْ لَوَاحِظُهَا ❖ فِي الهَوَى مِنْ عَاشِقٍ وَكَمْ
قُمْ وَقَبِّلْ خَالَ وَجْنَتِهَا ❖ وَالْتَجِئْ لِلرُّكْنِ وَاسْتَلِمِ
ثُمَّ طُفْ بِالبَيْتِ وَاسْعَ وَكُنْ ❖ فِي رِضَى المَوْلَى عَلَى قَدَمِ
وَارْوِ مِنْ مِيزَابِ مُقْلَتِكَ ❖ الحَجَرَ إِنْ سَحَّتْ يَدُ الدِّيَمِ
ثُمَّ قِفْ بِالبَابِ مُلْتَزِمًا ❖ مِنْ حِمَاهَا خَيْرَ مُلْتَزَمِ
عَلَّ تَحْظَى مِنْ مَنَازِلِهَا ❖ فِي رُبَى التَّنْعِيمِ بِالنِّعَمِ
وَتَزُورُ المُصْطَفَى وَتَرَى ❖ حُجْرَةَ المُخْتَارِ لِلأُمَمِ
أَحْمَدُ الهَادِي البَشِيرُ شَفِيعُ ❖ البَرَايَا كَاشِفِ الغُمَمِ

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ عَمَّرَ اللّه قَلْبَهُ بِمَحَبَّةِ سَاكِنِ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ فَتَرَكَ المَالَ وَالأَهْلَ وَهَاجَرَ إِلَى بِقَاعِهَا المَحْفُوفَةِ بِالوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ عَمَّرَ اللّه قَلْبَهُ بِمَحَبَّةِ سَاكِنِ تِهَامَةَ وَنَجْدٍ فَجَفَا الكَرَى وَالمَضَاجِعَ وَجَدَّ فِي الوُصُولِ إِلَى مَكَّةَ المَخْصُوصَةِ بِاليُمْنِ وَالسَّعْدِ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ (18) صَلاَةَ عَبْدٍ عَمَّرَ اللّه قَلْبَهُ بِمَحَبَّةِ مَكَّةَ العَظِيمَةَ القَدْرِ وَالشَّأْنِ فَخَلَعَ العِذَارَ وَصَارَ يَتَمَايَلُ بِنَسِيمِ غَرَامِهَا تَمَايُلَ الثَّمِلِ النَّشْوَانِ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ عَمَّرَ اللّه قَلْبَهُ بِمَحَبَّةِ مَكَّةَ الطَّيِّبَةِ الأَهْلِ وَالجِيرَانِ فَتَرَكَ مَنَازِلَ مَنْ يَهْوَى وَحَنَّ شَوْقاً إِلَى حَيِّهَا القَاطِنِ بِالعَقِيقِ وَالبَانِ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ عَمَّرَ اللّه قَلْبَهُ بِمَحَبَّةِ مَكَّةَ المُفَضَّلَةِ عَلَى سَائِرِ الجِهَاتِ وَالأَقْطَارِ وَالبُلْدَانِ فَتَضَاعَفَتْ أَشْوَاقُهُ وَبَكَى حَتَّى خَدَدَتْ خُدُودُهُ بِصَوْبِ المَدَامِعِ وَطُوفَانِ الأَجْفَانِ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ عَمَّرَ اللّه قَلْبَهُ بِمَحَبَّةِ مَكَّةَ المُشَيَّدَةِ البِنَاءِ وَالأَرْكَانِ فَتَصَاعَدَتْ زَفَرَاتُهُ وَسَالَتْ عَبَرَاتُهُ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَةِ مَعَالِمِهَا الشَّرِيفَةِ وَمَوَاطِنِهَا المُنَوَّرَةِ الحِسَانِ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ عَمَّرَ اللّه قَلْبَهُ بِمَحَبَّةِ مَكَّةَ الشَّرِيفَةِ المَنَازِلِ وَالأَوْطَانِ فَتَكَاثَرَتْ بَوَاعِثُ وَجْدِهِ وَصَارَ يَقْطَعُ لَيْلَهُ بِالبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ (19) وَتَوَاصُلِ الأَحْزَانِ.

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدنَا وَمَولَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ

عمَّرَ اللهُ قلْبَهُ بمَحبَّةِ مكَّةَ والحطِيم وزَمْزَمَ والرُّكنِ المُستَلَم فهَاجَ وارِدُهُ وحثَّتْ رَكائِبُهُ إلى زِيارَةِ صَاحِبِ البَقِيع والمُصلَّى والعَلَم.

اللّهُمَّ صلِّ وسَلِّمْ علَى سَيِّدنا ومَولانَا مُحمَّدٍ وعلَى ءَالِ سَيِّدِنا مُحمَّدٍ صَلاةَ عَبدٍ عمَّرَ اللهُ قلْبَهُ بمَحبَّةِ مكَّةَ المُعظَّمَةِ الجَليلَةِ فحنَّ وأنَّ وكادَ يَطِيرُ بجَناحِ الشَّوْقِ إلَى دِيارِها المُنوَّرَةِ وأمَاكِنِها السَّعِيدَةِ الحفِيلَة.

فَصلِّ اللّهُمَّ عليْهِ وعلَى ءَالِه صَلاةً نَكُونُ بها مِمَّنْ قبَّلَ حَجرَها الأَسْعَدَ وشَفا بِلَثْمِهِ غَليلَهُ وهَاجَرَ إلى أرْضِها المُقدَّسَةِ وجَعلَها غُدُوَّهُ ورَواحَهُ ومُستَقَرَّهُ ومَقِيلَهُ بفَضْلِكَ وكرَمِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يا رَبَّ العَالَمِين.

فيَا كعْبَةَ الأشْواقِ هَلْ لِمُتيَّمٍ	يفُوزُ ولَوْ فِي العُمْرِ منْكِ بعُمْرَةٍ
ويَا قِبْلَةَ العُشَّاقِ مَاذا علَيْكِ لَوْ	سَمحْتِ لهُ فِي الحَالِ منْكِ بقُبْلَةٍ
صَددْتِ فجَانَسْتُ اللِّقا منْكِ بالقِلا	وعَايَنْتِ حقًّا مُنْيَتي فِي مَنِيَّتي
وأبْديْتِ فِي حقِّ الطِّباقِ بَدائِعًا	فقَيَّدْتِ أشْجانِي وأطْلَقْتِ عَبْرَتي
فمَوْتِي حَياتِي وانْقِطاعِي تَواصُلِي	ومَحْوِي ثَباتِي واجْتِمَاعِي تَشَتُّتي
بعَيْشِكِ جُودِي بالتَّواصُلِ وارْحَمِي	غَرِيبَ دِيارٍ مِنْ بِلادٍ بَعِيدَةٍ
وغَطِّيهِ بالسَّتْرِ الجَمِيلِ واسْبِلِي	علَيْهِ بحقِّ اللهِ ذَيْلَ الفُتُوَّةِ
ورَوِّيهِ منْ تِلْكَ السِّقايَةِ علَّهُ	يفُوزُ كمَا الرِّجَالُ فَازَ بشُرْبَةٍ (20)

اللّهُمَّ صلِّ وسَلِّمْ علَى سَيِّدنا ومَولانَا مُحمَّدٍ وعلَى ءَالِ سَيِّدِنا مُحمَّدٍ صَلاةَ عَبْدٍ عمَّرَ اللهُ قلْبَهُ بمَحبَّةِ البَيْتِ العَتِيقِ الَّذي تَذِلُّ إليْهِ رِقابُ الجَبابِرَةِ وتَخْضَعُ وتَطِيبُ قُلوبُ المُحبِّينَ بسَماعِ مَدائِحِهِ وإلَيْهِ آذانُها تُصْغِي وتَسْمَعُ وتَضْطَرِبُ أرْواحُ الشَّائِقِينَ عِنْدَ سَيْرِ الرَّكائِبِ إليْهِ وتَكادُ مِنْ أجْسادِها تَفِيضُ وتَنْزِعُ وتَحِنُّ المَطايَا شَوْقًا إلَى قُرْبَتِهِ وتَجِدُّ كُلَّ الجِدِّ فِي سَيْرِها وتَقْطَعُ وتَطْوِي مَسَائِفَ الوُصُولِ إلَى زِيارَتِهِ وعُيُونُها بالبُكاءِ مِنْ حُبِّهِ تَسِيلُ وتَدْمَعُ، وعُرُوقُها وأوْصَالُها مِنْ حَرارَةِ الشَّوْقِ ولَهِيبِ الجَوَى تَتزَلَّعُ وتَتقَطَّعُ، وأجْسادُها تَتكَلَّفُ المَشَاقَّ وتَحمِلُ الأَثْقالَ وكُؤُوسُ المَوْتِ تَتحَسَّى وتَتجرَّعُ، وحُداتُها تَضْرِبُها بسِياطِ الزَّجْرِ وهِيَ فِي كُلِّ عامٍ تَعُودُ إلَى زِيارَتِهِ وتَظْعَنُ إلَى مَواطِنِهِ وتَنْجَعُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةَ عَبْدٍ عَمَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِمَحَبَّةِ مَكَّةَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ قِبْلَةً تَسْجُدُ إِلَيْهَا الخَلاَئِقُ وَتَرْكَعُ، وَدُرَّةً تُقْتَبَسُ مِنْهَا الأَنْوَارُ وَعَلَى وُجُوهِ المُحِبِّينَ فِيهَا وَالمَحْبُوبِينَ لَدَيْهَا تَلُوحُ وَتَلْمَعُ، وَعَيْناً تَتَدَفَّقُ مِنْهَا جَداوِلُ المَوَاهِبِ وَالخَيْرَاتِ وَتَنْبُعُ، وَمَزَاراً تَسْكُنُ (21) أَحْوَالُ العَاشِقِينَ عِنْدَ مُشَاهَدَتِهِ وَتَهْجَعُ، وَمَقَاماً تُقْبَلُ الهِمَمُ بِهِ عَلَى اللَّهِ وَتَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ بِكُلِّيَتِهَا وَتَجْمَعُ، وَمَصَبَّ رَحَمَاتٍ تَرْكَعُ الخَلاَئِقُ فِيهِ وَبِجَاهِهِ تَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ وَتَتَشَفَّعُ، وَبَيْتاً حَجَّهُ حَبِيبُكَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَبَّلَ حَجَرَهُ الأَسْعَدَ وَطَافَ بِهِ وَوَدَّعَ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلاَةً تَعُمُّنَا بَرَكَتُهَا فِي الدَّارَيْنِ وَتَنْفَعُ، وَتَطْرُدُ عَنَّا جَمِيعَ الأَسْوَاءِ وَالنِّقَمِ وَالبَلاَيَا وَتَدْفَعُ، وَنَكُونُ بِهَا مِمَّنْ يَعْمَلُ بِمُقْتَضَى السُّنَّةِ وَالكِتَابِ وَبِقَوْلِ الحَقِّ يَصْرَحُ وَيَصْدَعُ بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

لَوْلاَ المُحَصَّبُ وَالعَقِيقُ وَالعَلَمُ	مَا غَنَّتِ العِيسَ الحُدَاةُ وَلَعْلَعُوا
وَلَمَّا سَرَتْ لِلْمَازِمِيرِ قَلاَئِصُ	تَطْوِي بِأَيْدِيهَا الفَلاَةَ وَتَقْطَعُ
أَنَّى يَقِرُّ قَرَارُهَا وَفُؤَادُهَا	بِأُهَيْلِ ذَيَّاكَ الغُوَيْرِ مُولَعُ
كَمْ حَمَلَتْ مَالاَ تُطِيقُ وَصَدْرُهَا	فِي الحُبِّ مِنْ تِلْكَ الأَبَاطِحِ أَوْسَعُ
سِيقَتْ بِقَعْقَاعِ المَهَامِهِ فَانْبَرَتْ	وَالرُّوحُ مِنْهَا فِي السِّيَاقِ تَقَعْقَعُ
وَتَعَلَّمَتْ ضَرْبَ الحَصَا فَبَدَا لَهَا	سَفَرٌ يَدُومُ وَنَقْلَةٌ تُتَوَقَّعُ
لاَ أَرْتَضِي بَدَلاً بِهَا فَلَكَمْ لَهَا	عَطْفٌ عَلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَمَوْضِعُ
صَارَتْ بِنَا عَنَقاً وَمَدَّتْ لِلَّوَا	عُنُقاً وَمُقْلَتُهَا تَسِيلُ وَتَدْمَعُ
فَرَوَتْ بِدَمْعِهَا الحَجِيجَ وَعَبَّرَتْ	عَنْ مَاءِ عَبْرَتِهَا الغُيُوثُ الهُمَّعُ
هَذِي المَطِيُّ وَإِنْ سَلَبْنَ عُقُولَهَا	أَبَداً لِمَالِكِهَا تُطِيعُ وَتَسْمَعُ (22)
وَتَحِنُّ لِلْبَيْتِ العَتِيقِ وَتَجْتَلِي	وَادِي العَقِيقِ وَكُلَّ عَامٍ تَنْجَعُ
وَتَهِيمُ وَجْداً بِالبَقِيعِ وَأَهْلِهِ	وَتَزُورُ هَاتِيكَ البِقَاعَ وَتَرْجِعُ

مَنَازِلٌ وَمَشَاهِدٌ وَدِيَارٌ، وَمَعَاهِدٌ وَشِيحٌ وَأَرَاكٌ وَأَشْجَارٌ، وَبَوَازِلٌ وَحُدَاةٌ وَنَغَمَاتٌ

وَأَوْتَارٌ، وَهَوْدَجٌ تَحْمِلُ سَرَاةً وَنُجَبَاءَ وَأَخْيَارٍ، وَوَجْدٌ وَهَيَمَانٌ يَفْعَلُ مَعَهُمَا الصَّبْرَ وَالإِصْطِبَارَ، وَوُجُوهٌ تَتَلَوَّنُ شَوْقاً إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ المُبَارَكِ المَقَامِ وَالمَزَارِ، وَنَوَاسِمُ نَفَحَاتٍ تَهُبُّ مِنْ بِقَاعِهِ المُنَوَّرَةِ وَأَمَاكِنِهِ العَظِيمَةِ الجَاهِ وَالمِقْدَارِ،

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾،

قَالَ ابْنُ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ: المُرَادُ بِالبَيْتِ الكَعْبَةُ الَّتِي وَضَعَهَا اللهُ فِي الأَرْضِ قُبَالَةَ البَيْتِ المَعْمُورِ كَمَا رُوِيَ أَنَّ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَمَّا أُهْبِطَ مِنَ الجَنَّةِ وَحَجَّ البَيْتَ لَقِيَتْهُ المَلاَئِكَةُ فَقَالُوا لَهُ بُرَّ حَجُّكَ يَا آدَمُ لَقَدْ حَجَجْنَا هَذَا البَيْتَ قَبْلَكَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، قَالَ فَمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ؟ قَالُوا كُنَّا نَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَكَانَ آدَمُ يَقُولُهَا فِي طَوَافِهِ ثُمَّ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِهَذَا البَيْتِ عُمَّاراً مِنْ ذُرِّيَّتِي»،

فَأَوْحَى (23) اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ إِنِّي مُعَمِّرٌ بَيْتِي بِنَبِيٍّ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ اسْمُهُ ابْرَاهِيمُ أَتَّخِذُهُ خَلِيلاً لأَقْضِيَ عَلَى يَدِهِ عِمَارَتَهُ، فَلَمَّا جَاءَ الطُّوفَانُ عَلَى عَهْدِ سَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ رَفَعَ اللهُ البَيْتَ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ وَكَانَ مِنْ زُمُرُّدٍ أَخْضَرَ وَفِيهِ قَنَادِيلُ مِنَ الجَنَّةِ فَأَخَذَ جِبْرِيلُ الحَجَرَ الأَسْوَدَ وَأَوْدَعَهُ فِي جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ صِيَانَةً لَهُ مِنَ الغَرَقِ فَكَانَ مَكَانُ البَيْتِ خَالِياً إِلَى زَمَنِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَلَمَّا وُلِدَ إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى يَبْنِي بَيْتاً وَيَذْكُرُ اسْمَ اللهِ فِيهِ فَقَالَ: يَا رَبِّ بَيِّنْ لِي صِفَتَهُ فَأَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ سَحَابَةً عَلَى قَدْرِ الكَعْبَةِ فَسَارَتْ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَقَفَتْ فِي مَوْضِعِ البَيْتِ وَنُودِيَ يَا إِبْرَاهِيمُ ابْنِ عَلَى ظِلِّهَا لاَ تَزِيدُ وَلاَ تَنْقُصُ فَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يُعَلِّمُهُ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَكَذَا عِنْدَ غَيْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنَ المُفَسِّرِينَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾،

وَاضِحَاتٌ دَالَّاتٌ عَلَى تَوْفِيرِ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَقَوْلُهُ:

﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾،

يَعْنِي آمِناً مِنَ النَّارِ وَقِيلَ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ وَقِيلَ آمِناً مِنَ السُّؤَالِ، وَقَوْلُهُ:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾،

الاسْتِطَاعَةُ أَنْ يَكُونَ قَادِراً عَلَى الزَّادِ وَالرَّاحِلَةِ وَأَنْ يَصِحَّ بَدَنُ (24) العَبْدِ وَأَنْ يَكُونَ الطَّرِيقُ آمِناً ثُمَّ قَالَ:

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾،

وَمَنْ كَفَرَ بِالحَجِّ فَلَمْ يَرَ حَجَّهُ بِرّاً وَلاَ تَرْكَهُ إِثْماً، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لَمَّا كَانَ بَعْدَ الطُّوفَانِ الَّذِي أَغْرَقَ اللهُ فِيهِ قَوْمَ سَيِّدِنَا نُوح عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَفَعَ البَيْتَ المَعْمُورَ الَّذِي كَانَ بَنَاهُ سَيِّدُنَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى مَوْضِعِ البَيْتِ فَيَبْنِيَ عَلَى أَسَاسِهِ فَانْطَلَقَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَلَمْ يَرَ لَهُ أَثَراً وَخَفِيَ عَلَيْهِ مَكَانُهُ فَبَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَحَابَةً عَلَى قَدْرِ البَيْتِ الحَرَامِ فِي الطُّولِ وَالعَرْضِ فِيهَا رَأْسٌ وَلَهُ لِسَانٌ يَتَكَلَّمُ وَعَيْنَانِ فَقَامَتْ عَلَى ظَهْرِ البَيْتِ الحَرَامِ بِخَيَالِهَا ثُمَّ قَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ ابْنِ عَلِي قَدْرِي وَخَيَالِي، قَالَ فَأَخَذَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي البِنَاءِ عَلَى قَدْرِهَا وَخَيَالِهَا فَأَسَّسَ عَلَيْهَا البَيْتَ الحَرَامَ فَذَهَبَتِ السَّحَابَةُ ثُمَّ بَنَاهُ حَتَّى فَرَغَ مِنْهُ فَطَافَ بِهِ أُسْبُوعاً فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا يَبْلُغُ مَدَى صَوْتِي قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْكَ بِالنِّدَاءِ وَعَلَيْنَا البَلاَغ (25) وَفِي رِوَايَةٍ عَلَيْكَ الأَذَانُ وَعَلَيْنَا البَلاَغُ فَلَمَّا أَمَرَهُ بِذَلِكَ صَعِدَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيس وَنَادَى يَا عِبَادَ اللهِ أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ بَنَا بَيْتاً وَأَمَرَكُمْ بِحَجِّهِ فَحُجُّوهُ فَأَسْمَعَ مَنْ فِي الأَرْضِ فَأَجَابَهُ الإِنْسُ وَالجِنُّ وَالحَجَرُ وَالمَدَرُ وَالشَّجَرُ وَالجِبَالُ وَالرِّمَالُ وَكُلُّ رَطْبٍ وَيَابِس وَأَسْمَعَ مَنْ فِي المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَأَجَابُوهُ مِنْ بُطُونِ الأُمَّهَاتِ وَمِنْ أَصْلاَبِ الرِّجَالِ كُلٌّ يَقُولُ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ لاَ

شَرِيكَ لَكَ فَإِنَّمَا يَحُجُّ اليَوْمَ مَنْ أَجَابَ يَومَئِذٍ فَمَنْ لَبَّى مَرَّةً حَجَّ مَرَّةً وَمَنْ لَبَّى مَرَّتَيْنِ حَجَّ مَرَّتَيْنِ وَمَنَّ لَبَّى ثَلَاثاً حَجَّ ثَلَاثاً وَمَنْ لَبَّى أَكْثَرَ حَجَّ بِقَدْرِ ذَلِكَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾،

أَيْ: رَجَّالَةً،

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾،

أَيْ: رُكْبَاناً عَلَى ضُمَّرٍ مِنْ طُولِ السَّفَرِ،

﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾،

أَيْ: بَعِيدٍ غَامِضٍ.

لَمَّا رَأَيْتُ مُنَادِيهُمْ أَلَمَّ بِنَا ❖ شَدَدْتُ مِزَارَ إِحْرَامِي وَلَبَّيْتُ
وَقُلْتُ لِلنَّفْسِ جِدِّي الآنَ وَاجْتَهِدِي ❖ وَسَاعِدِينِي فَهَذَا مَا تَمَنَّيْتُ
لَوْ جِئْتُكُمْ قَاصِداً أَسْعَى عَلَى بَصَرِي ❖ لَمْ أُودِّ حَقّاً وَأَيُّ حَقٍّ أَدَّيْتُ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ دَامَتْ فِي طَاعَةِ اللهِ سَكَنَاتُهُ وَحَرَكَاتُهُ، (26) وَأَفْضَلِ مَنْ عَمَّ العِبَادَ خَيْرُهُ وَفَضْلُهُ وَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتُهُ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي فَضْلِ مَكَّةَ المُشَرَّفَةِ وَالبَيْتِ الحَرَامِ:

«هَذَا البَيْتُ دِعَامَةُ الإِسْلَامِ فَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ يَطْلُبُ هَذَا البَيْتَ مِنْ حَاجٍّ أَوْ مُعْتَمِرٍ كَانَ مَضْمُوناً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ إِنْ قَبَضَهُ إِلَيْهِ وَإِنْ رَدَّهُ رَدَّهُ بِأَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ»،

وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾،

لِأَنَّهُ خُلِقَ قَبْلَ الأَرْضِ بِأَلْفَيْ عَامٍ، وَسُمِّيَ عَتِيقاً لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْتَقَهُ مِنْ أَيْدِي

الجَبَابِرَةِ فَلَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ جَبَّارٌ قَطُّ بَلْ كُلُّ مَنْ قَصَدَهُ بِسُوءٍ هُلِكَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الوَاسِطِي: إِنَّمَا سُمِّيَ عَتِيقاً لِأَنَّهُ مَنْ طَافَ بِهِ صَارَ عَتِيقاً مِنَ النَّارِ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَتِيقاً، فَمَنْ لَمْ يَتَوَجَّهْ إِلَى الكَعْبَةِ لَمْ تُقْبَلْ صَلاتُهُ وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ بِوِلايَةِ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمْ تُقْبَلْ زَكَاتُهُ وَانْشَدُوا:

طُوبَى لِمَنْ طَافَ بِالبَيْتِ العَتِيقِ ❖ وَقَدْ لَجَأَ إِلَى اللهِ فِي سِرٍّ وَإِجْهَارِ
وَحَازَ بِالسَّعْيِ كُلَّ القَصْدِ حِينَ سَعَى ❖ وَطَافَ جَهْراً بِأَرْكَانٍ وَأَسْتَارِ
ذَاكَ السَّعِيدُ الَّذِي قَدْ نَالَ مَنْزِلَةً ❖ عَلْيَاءَ فِي دَهْرِهِ مِنْ كُلِّ أَوْطَارِ
وَكُلُّ مَنْ طَافَ بِالبَيْتِ العَتِيقِ نَجَا ❖ حَقاً وَقَدْ رَاحَ مَعْتُوقاً مِنَ النَّارِ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ (27) وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ حَبَّبْتَ فِي القُلُوبِ أَرْضَهُ وَوَطَنَهُ، وَأَكْرَمِ مَنْ خَصَّصْتَهُ بِالأَوْصَافِ الجَمِيلَةِ وَالأَفْعَالِ المُسْتَحْسَنَةِ، الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ مَكَّةَ المُشَرَّفَةِ وَبَيْتِ اللهِ الحَرَامَ مَا ذَكَرَهُ سَيِّدُنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ طَائِفاً مَعَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالبَيْتِ الحَرَامِ فَقُلْتُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي مَا هَذَا البَيْتُ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ لِي: يَا عَلِيُّ أَسَّسَ اللهُ تَعَالَى هَذَا البَيْتَ فِي دَارِ الدُّنْيَا كَفَّارَةً لِذُنُوبِ أُمَّتِي، فَقُلْتُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي مَا هَذَا الحَجَرُ الأَسْوَدُ، قَالَ: تِلْكَ جَوْهَرَةٌ كَانَتْ فِي الجَنَّةِ أَهْبَطَهَا اللهُ تَعَالَى إِلَى الدُّنْيَا لَهَا شُعَاعٌ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ فَاشْتَدَّ سَوَادُهَا وَتَغَيَّرَ لَوْنُهَا مُنْذُ مَسَّتْهَا أَيْدِي المُشْرِكِينَ، فَرُوِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَعَدَ البَيْتَ الحَرَامَ بِأَنْ يَحُجَّهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ فَإِنْ نَقَصُوا كَمَّلَهُمْ مِنَ المَلائِكَةِ وَإِنَّ الكَعْبَةَ تُحْشَرُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَالعَرُوسِ المَزْفُوفِ وَكُلُّ مَنْ حَجَّهَا مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِهَا وَيَسْعَوْنَ حَوْلَهَا حَتَّى تَدْخُلَ الجَنَّةَ فَيَدْخُلُونَ مَعَهَا، وَفِي الحَدِيثِ:

«إِنَّ الحَجَرَ الأَسْوَدَ يَاقُوتَةٌ مِنْ يَوَاقِيتِ الجَنَّةِ وَأَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ فَيَشْهَدُ لِمَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ وَصِدْقٍ».

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى (28) اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُهُ كَثِيراً، وَقَبَّلَهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَالَ: إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقبِّلُكَ مَا قبَّلْتُكَ، فَقَالَ لَهُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لاَ تَقُلْ ذَلِكَ بَلْ هُوَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، فَقَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا أَبَا الحَسَنِ هَا هُنَا تُسْكَبُ العَبَرَاتُ وَتُجَابُ الدَّعَوَاتُ، فَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: يَا أَمِيرَ المُومِنِينَ بَلْ هُوَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى، قَالَ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: لأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا أَخَذَ المِيثَاقَ عَلَى الذُّرِّيَةِ كَتَبَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً ثُمَّ أَلْقَمَهُ هَذَا الحَجَرُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِلْمُومِنِينَ بِالوَفَاءِ وَيَشْهَدُ عَلَى الكَافِرِينَ بِالجُحُودِ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ النَّاسِ عِنْدَ الاسْتِلاَمِ: اللَّهُمَّ إِيمَاناً بِكَ وَتَصْدِيقاً بِكِتَابِكَ وَوَفَاءً بِعَهْدِكَ وَاتِّبَاعاً لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنِ الحَسَنِ البَصْرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: الصَّلاَةُ بِمَكَّةَ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلاَةٍ وَصَوْمُ يَوْمٍ بِمِائَةِ أَلْفِ يَوْمٍ وَصَدَقَةُ دِرْهَمٍ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَكَذَلِكَ كُلُّ حَسَنَةٍ بِمِائَةِ أَلْفِ حَسَنَةٍ.

يَا كَعْبَةَ اللهِ لِي غَرَامٌ ❖ إِلَيْكَ لَمْ يُثْنِهِ مَلاَمُ
أَنْتِ لَنَا تَشْفَعِينَ حَقّاً ❖ عِنْدَ حَبِيبٍ لَهُ ذِمَامُ
وَالحَسَنَاتُ دَأْباً تُضَاعَفُ ❖ فِيكِ لِزُوَّارِكِ الكِرَامِ (29)

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ مَلأَتْ قَلْبَهُ بِجَلاَلِ هَيْبَتِكَ فَأَصْبَحَ لِجَنَابِكَ العَلِيِّ مُبَجِّلاً وَمُعَظِّماً، وَأَعَزِّ مَنْ هَيَّمَتِ المُحِبَّ فِي بُحُورِ أَذْكَارِهِ فَصَارَ فِي سَائِرِ أَوْقَاتِهِ مُصَلِّياً عَلَيْهِ وَمُسَلِّماً، الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ مَكَّةَ وَالبَيْتِ الحَرَامِ أَنَّهُ قَالَ:

«يَنْزِلُ عَلَى هَذَا البَيْتِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ رَحْمَةً سِتُّونَ لِلطَّائِفِينَ وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ وَعِشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ»،

وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ:

«إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَنْظُرُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَهْلُ الحَرَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الحَرَمِ أَهْلُ المَسْجِدِ الحَرَامِ فَمَنْ رَآهُ طَائِفاً غَفَرَ لَهُ وَمَنْ رَآهُ مُصَلِّياً غَفَرَ لَهُ وَمَنْ رَآهُ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ غَفَرَ لَهُ»،

وَرُوِيَ: مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ سَبْعَمِائَةِ أَلْفٍ مِنَ

المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ بِيَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سِلْسِلَةٌ مِنْ ذَهَبٍ إِلَى البَيْتِ الحَرَامِ فَيَقُولُ لَهُمْ اذْهَبُوا فَزُمُّوهُ بِهَذِهِ السَّلاسِلِ ثُمَّ قُودُوهُ إِلَى المَحْشَرِ فَيَأْتُونَهُ فَيَزُمُّونَهُ بِتِلْكَ السَّلاسِلِ وَيَمُدُّونَهُ وَمَلَكٌ يُنَادِي يَا كَعْبَةَ اللهِ سِيرِي فَتَقُولُ: لَسْتُ بِسَائِرَةٍ حَتَّى أُعْطَى سُؤْلِي فَيُنَادِي مَلَكٌ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ سَلِي تُعْطَيْ فَتَقُولُ الكَعْبَةُ: يَا رَبِّ شَفِّعْنِي فِي جِيرَانِي الَّذِينَ دُفِنُوا حَوْلِي مِنَ المُومِنِينَ فَتَسْمَعُ النِّدَاءَ قَدْ (30) أَعْطَيْتُكِ سُؤْلَكِ، قَالَ: فَيُحْشَرُ مَوْتَى مَكَّةَ بِيضَ الوُجُوهِ كُلُّهُمْ مُحْرِمُونَ مُجْتَمِعُونَ حَوْلَ الكَعْبَةِ يُلَبُّونَ ثُمَّ تَقُولُ المَلائِكَةُ: سِيرِي يَا كَعْبَةَ اللهِ فَتَقُولُ لَسْتُ بِسَائِرَةٍ حَتَّى أُعْطَى سُؤْلِي فَيُنَادِي مَلَكٌ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ سَلِي تُعْطَيْ فَتَقُولُ الكَعْبَةُ يَا رَبِّ عِبَادُكَ المُومِنُونَ وَفَدُوا إِلَيَّ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ شُعْثاً غُبْراً تَرَكُوا الأَهْلَ وَالأَوْلادَ وَالأَحِبَّاءَ وَخَرَجُوا شَوْقاً إِلَيَّ زَائِرِينَ مُسَلِّمِينَ طَائِعِينَ حَتَّى قَضَوْا مَنَاسِكَهُمْ كَمَا أَمَرْتَهُمْ فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُشَفِّعَنِي فِيهِمْ وَتُؤَمِّنَهُمْ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ وَتَجْمَعَهُمْ حَوْلِي فَيُنَادِي المَلَكُ وَيَقُولُ: فَإِنَّ فِيهِمْ مَنِ ارْتَكَبَ الذُّنُوبَ بَعْدَكِ وَأَصَرَّ عَلَى الكَبَائِرِ حَتَّى وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّمَا أَسْأَلُكَ الشَّفَاعَةَ فِي المُذْنِبِينَ الَّذِينَ ارْتَكَبُوا الذُّنُوبَ العِظَامَ وَالأَوْزَارَ حَتَّى وَجَبَتْ لَهُمُ النَّارُ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: قَدْ شَفَّعْتُكِ فِيهِمْ وَأَعْطَيْتُكِ سُؤْلَكِ فَيُنَادِي مَلَكٌ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ: أَلا مَنْ زَارَ الكَعْبَةَ فَلْيَعْتَزِلْ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ فَيَعْتَزِلُونَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ فَيَجْعَلُهُمُ اللهُ تَعَالَى حَوْلَ البَيْتِ الحَرَامِ بِيضَ الوُجُوهِ آمِنِينَ مِنَ النَّارِ يَطُوفُونَ وَيُلَبُّونَ، ثُمَّ يُنَادِي مَلَكٌ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ: أَلا يَا كَعْبَةَ القُدْسِيِّ فَتَقُولُ (31) الكَعْبَةُ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ وَالخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ لا شَرِيكَ لَكَ ثُمَّ يَمُرُّ بِهَا إِلَى المَحْشَرِ فَسُبْحَانَ مَنْ جَلَّى عَرُوسَ الكَعْبَةِ البَيْتِ الحَرَامِ عَلَى مَنْ كَانَ لَهَا مِنَ الأَنَامِ أَهْلاً وَخَصَّ بِزَمْزَمَ وَالمَقَامَ مَنْ قَامَ بِوَاجِبِهِ فَرْضاً وَنَفْلاً وَاصْطَفَى لِلْمَرْوَةِ وَالصَّفَا مَنْ سَعَى عَلَى قَدَمِ الوَفَا وَاسْتَبْدَلَ مِنَ الجَفَا وَصْلاً فَيَا لَهَا مِنْ عَرُوسٍ حَنَّتْ إِلَيْهَا النُّفُوسُ فَرَاحَ المَحْبُوبُ فِي حُبِّهَا أَسْرَى وَقَتْلاً وَنَادَى مُنَادِي الحَبِيبِ بِالتَّرْحِيبِ أَهْلاً وَسَهْلاً.

مَـــرْحَباً مَرْحَباً وَأَهْلاً وَسَهْلاً	❖	بِعَـــرُوسٍ عَلَى المُحِبِّينَ تُجَلَّى
لَبِسَـــتْ خِلْعَةَ الجَمَالِ وَزُفَّتْ	❖	سَلَبَـــتْ لِلْمُشَوَّقِ قَلْباً وَعَقْلاً
قَدْ هَجَرْنَا الدِّيَارَ وَالأَهْلَ شَوْقاً	❖	وَقَطَعْنَـــا القِفَارَ وَعْراً وَسَهْلاً

وَأتَيْـــنَا شُعْثــاً وَغُبراً نُلبِّي ❖ وَدُمُوعُ الأَشْــوَاقِ تَزْدادُ هَطْلاَ
ثُمَّ بِعْنَا النُّفُــوسَ بَيْعَ سَمَاحٍ ❖ وَعَلِمْـــنَا بِأنَّ وَصْلَكِ أغْلَى
كَمْ مُشوّقٍ قَدْ رَامَ مِنْكِ وِصَالاً ❖ قُبَيْلَ المَوْتِ لَمْ يَنَلْ مِنْكِ وَصْلاَ
تَحْتَ ظِلِّ الإِرَاكِ أَضْحَى طَرِيحاً ❖ بَاكِيَ العَيْنِ عَنْ حِمَاكَ مُخَلاَّ
عَاقَـــهُ حَظُّهُ فَعَــادَ حَزِينًا ❖ وَزَمَـــانُ السُّرُورِ عَنْهُ تَوَلَّى
أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ فِي الأَرْضِ جَمْعًا ❖ كَطَوَافِ القُدُومِ وَالسَّعْيُ أَحْلَى
وَالْتِزَامُ السُّتُورَ وَالدَّمْعُ تَجْرِي ❖ مِـنْ سُرُورٍ وَكَعْبَةُ اللّهِ تُجَلَّى
رُفِعَتْ بِرَفْعِ الجَمَالِ وَقَــالَتْ ❖ أَلْــفُ سَهْلاً بِالزَّائِرِينَ وَأَهْلاَ
قَدْ عَفَى اللّهُ عَنْكُــمْ وَحَبَاكُمْ ❖ بِرِضَـــاهُ وَزَادَكُمْ مِنْهُ فَضْلاَ
فَاشْكُرُوا اللّهَ قَدْ دَعَــاكُمْ إِلَيْهَا ❖ وَأَعَــادَ العَسِيرَ يَا قَوْمُ سَهْلاَ (32)
بَادِرُوا الآنَ لِلطَّــوَافِ وَقُومُوا ❖ قَدْ صَفَى الوَقْتُ وَالحَبِيبُ تَجَلَّى
مَا تَرَى الصَّيْدَ عِنْدَهَا كَيْفَ يُحْمَى ❖ وَكَـــذَا الطَّيْرُ فَوْقَهَا مَا تَعَلَّى
عَنْ قَرِيبٍ نَسِيـــرُ فِي عَرَفَاتٍ ❖ ثُمَّ نَرْمِـــي مِنَ المَآثِمِ حِمْلاَ
وَيُنَادِي بِالبِشْرِ فِينَــا مُنَادِي ❖ عِنْدَمَا يَنْظُـــرُ النَّهَارُ تَوَلَّى
قَدْ عَفَى اللّهُ عَنْكُمْ وَحَمَــاكُمْ ❖ مِنْ جَحِيمٍ بِهَا الطُّغَـــاةُ أَذِلاَّ
فَانْفِرُوا بَارَكَ المُهَيْمِنُ فِيكُـــمْ ❖ وَارْكَبُوا النُّجُبَ يَا كِرَاماً أَجِلاَّ
وَأَتَيْنَا عِنْــدَ الصَّبَاحِ جَمِيعاً ❖ نَحْوَ وَادِي مِنىً وَأَرْضِ المُصَلاَّ
فَرَمَيْنَا الجِمَـــارَ لَمَّا قَدِمْنَا ❖ وَأَتَــانَا السُّرُورُ وَالحُزْنُ وَلَّى
وَحَلَقْنَا الرُّؤُوسَ مِنْ بَعْدِ نَحْرٍ ❖ وَاتَّبَعْـــنَا فِعَالَ مَنْ كَانَ قَبْلاَ
وَقَضَيْنَا مَنَاسِكَ الحَــجِّ حَتَّى ❖ عَادَمَا حَـــرَّمَ المُهَيْمِـــنُ حِلاَّ
وَشَـــدَدْنَا المَطِيَ نَحْوَ نَبِـــيٍّ ❖ أَطْيَبِ العَالَمِينَ فَرْعاً وَأَصْــلاَ
أَحْمَـــدُ المُصْطَفَى شَفِيعُ البَرَايَا ❖ فَـــازَ مَنْ زَارَ قَبْــرَهُ وَتَمَلاَّ
فَعَلَيْـــهِ مِنَ الإِلاَهِ صَـــلاَةٌ ❖ وَسَلاَمٌ عَلَـــى المَدَى لَيْسَ يَبْلَى

فَسُبْحَانَ مَنْ شَرَّفَ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ وَخَصَّهَا بِالإِجْلاَلِ وَالإِعْظَامِ وَاجْتَبَاهَا وَاصْطَفَاهَا وَجَعَلَ قُبَاءَهَا مُنَاخاً رَحْباً لِمَنْ حَلَّ بِهَا وَحَالَ حَوْلَ حِمَاهَا وَحَرَمَاءَ آمِناً لِمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ وَوَفَّى مَا عَلَيْهِ حِينَ وَفَاهَا وَوِجْهَةً لِمَنْ وَاجَهَهَا وَأَرَادَ عَنْهُ جَاهاً، وَهِيَ

الَّتي هَاجَرَ مِنْهَا الحَبِيبُ وَمَا هَجرَهَا وَلاَ قَلاَهَا وَلاَ انْقَلبَ قَلْبُهُ إِلَى قِبْلَةٍ سِوَاهَا حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي آيَةٍ سَمِعَهَا وَتَلاَهَا:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾.

فَوَلِّ بِوَجْهِكَ الحَسَنِ المُفَدَّى	إِلَيْهَا حَيْثُمَا اتَّجَهَ اتجَاهَا (33)
فَإِنَّ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ قِدَماً	لأَجْلِ رِضَاكَ عَنَّا قَدْ بَنَاهَا
وَإِسْمَاعِيلُ طَافَ بِهَا وَلَبَّى	وَطَهَّرَهَا لِمُشْتَاقٍ أَتَاهَا
هُوَ البَلَدُ الأَمِينُ وَأَنْتَ حِلٌّ	فَطَأْهَا يَا أَمِينُ فَأَنْتَ طَاهَا
وَوَجِّهْ حَيْثُ كُنْتَ كَذَا إِلَيْهَا	وَلاَ تَعْدِلْ إِلَى شَيْءٍ سِوَاهَا
فَوَجْهُ اللهِ قِبْلَةُ كُلِّ حَيٍّ	لِمَنْ شَهِدَ الحَقِيقَةَ وَاجْتَلاَهَا
وَهَذَا البَيْتُ بَيْتُ اللهِ فِيهِ	تُسَرُّ النَّفْسُ إِذَا بَلَغَتْ مُنَاهَا
وَهَذَا الحِجْرُ وَالحَجَرُ المُفَدَّى	وَزَمْزَمُ وَالحَطِيمُ وَمَا زَمَاهَا
فَهَلْ لَكَ عِنْدَ مَشْهَدِهِ كَفَاهَا	وَزَمْزَمُ عِنْدَ زَمْزَمِهِ شَفَاهَا
فَيَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللهِ طُوفُوا	بِكَعْبَتِهَا وَلَبُّوا فِي ذُرَاهَا
فَطُوبَى ثُمَّ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى	لِنَفْسٍ فِي مِنَى بَلَغَتْ مُنَاهَا
فَقُلْ لِلسَّاكِنِينَ بِكُلِّ فَجٍّ	لَكُمْ ثَجٌّ وَعَجٌّ فِي ثَنَاهَا
وَلاَ يُجْزِي سِوَى الإِخْلاَصُ حَقّاً	وَنِيَّتُهُ الَّتِي فِيهَا نَوَاهَا
وَإِقْلاَعٌ عَنِ العِصْيَانِ جَهْراً	وَتَحْذِيرٌ لِنَفْسِكَ عَنْ هَوَاهَا
وَإِرْفَاقٌ وَإِنْفَاقٌ وَبَذْلٌ	لِذِي الحَاجَاتِ مِمَّا قَدْ عَرَاهَا
وَتَقْوَى اللهِ أَفْضَلُ كُلِّ زَادٍ	لِنَفْسٍ بِالتُّقَى عَرَفَتْ هُدَاهَا
فَقُلْ بِلِسَانِ عَزْمِكَ فِي رُبَاهَا	إِذَا شَاهَدْتَ فِي المَعْنَى سَنَاهَا
إِلَيْكَ شَدَدْتُ يَا مَوْلاَيَ رَحْلِي	وَجِئْتُ وَمُهْجَتِي تَشْكُو قِلاَهَا
وَهَا أَنَا جَارُ بَيْتِكَ يَا رَجَائِي	وَبِالأَسْتَارِ مُمْتَسِكٌ عُرَاهَا
وَلِلْجِيرَانِ وَالضِّيفَانِ حَقٌّ	عَلَى الجَارِ الكَرِيمِ إِذَا دَعَاهَا
إِلَيْكَ شَفِيعُنَا الهَادِي المُفَدَّى	وَمَنْ قَدْ حَلَّ جَهْراً فِي حِمَاهَا
شَفِيعُ الخَلْقِ يَوْمَ الحَشْرِ حَقّاً	رَسُولُ اللهِ أَقْوَى النَّاسِ جَاهَا
عَلَيْهِ مِنَ المُهَيْمِنِ كُلَّ وَقْتٍ	صَلاَةٌ غَيْرُ مُنْحَصِرٍ مَدَاهَا

فَيا لَهَا مِنْ كَعْبَةٍ جَعلَهَا اللهُ مِنْ أَشْرَفِ الأَرْض (34) بُقْعَةً وَأَعْظَمهَا رِفعَةً وَأَكْثَرُهَا بَرَكَةً وَوجَاهَةً وَجَاهاً وَدعَى إِلَيْهَا نُفُوسَ أَهْلِ مُجَالَسَتِهِ فَفَازَتْ بِمُؤَانَسَتِهِ وَصَفَا عَيْشُهَا عِنْدَ الصَّفَا لِمَا صَافَاهَا وَهَيَّمَهَا فِي أَوْدِيَةِ وَجْدِهَا عِنْدَمَا رَفَعَ عَنْهَا حِجَابَ بُعْدِهَا وَالحرَّ مَقَامَ القُرْبِ رَقَّاهَا وَزَمْزَمَ لَهَا مُزَمْزِمُ الشَّوْقِ عِنْدَ زَمْزَمَ وَمِنْ رَائِقِ زُلالِهِ سَقَاهَا وَأَلْبَسَهَا خِلَعَ التَّكْرِيمِ عِنْدَ الحطِيمِ فَحَطَّ عَنْهَا كُلَّ ذَنْبٍ عَظِيمٍ وَعَفَا عَنْ زُلَلِهَا وَخُطَاهَا فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا الزُّوَارُ مِنْ جَمِيعِ الأَقْطَارِ نَادَتْهُمْ بِلِسَانِ حَالِهَا وَقَدْ رَفَعَتِ الأَسْتَارَ عَنْ جَمَالِهَا وَأَبْدَتْ نُورَهَا وَسَنَاهَا.

إِلَيَّ إِلَيَّ يَا عُشَّاقَ حُسْنِي ❖ فَهَذَا الوَقْتُ وَقْتٌ لاَ يُضَاهَا
فَكَأْسُ وِصَالِهَا قَدْ دَارَ صِرْفًا ❖ وَشَمْسُ جَمَالِهَا أَبْدَتْ سَنَاهَا
وَقَالَتْ دُونَكُمْ وَصْلِي وَقُرْبِي ❖ تَمَنَّوا أَنْ تَحُوزُوا قُرْباً وَجَاهَا
فَأَيْنَ يُصَابُ مِثْلُ عَرُوسِ حُسْنِي ❖ وَمَا فِي الكَوْنِ مَعْشُوقٌ سِوَاهَا
وَقَدْ سَعِدَتْ عُيُونٌ قَدْ رَأَتْهَا ❖ وَقَدْ شَقِيَتْ عُيُونٌ لاَ تَرَاهَا

إِخْوَانِي مَا كُلُّ بَيْتٍ مَكَّةَ وَلاَ كُلُّ جَبَلٍ عَرَفَاتَ وَلاَ كُلُّ زَادٍ يُوصِلُ، فَيَا مَنْ فَاتَهُ الحجُّ وَلَمْ يَجِدْ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَضَى عُمُرُهُ فِي اللَّهْوِ وَقَدْ حَمَلَ مِنَ الذُّنُوبِ حِمْلاً ثَقِيلاً وَجَرَّرَ مِنْهُ فِي مَيْدَانِ العِصْيَانِ بِالغَفْلَةِ ذُيُولاً وَطَلَبَ النَّجَاةَ فَلَمْ يَجِدْ إِلَيْهَا وُصُولاً بَادِرْ بِالحجِّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحرَامِ وَاجْعَلْ لَكَ نُورَ الإِسْلاَمِ دَلِيلاً فَقَدْ قَالَ مَنْ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَلاَ تَحُدُّهُ العُقُولُ وَالأَفْكَارُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ عَدِيلاً وَلاَ مَثِيلاً: (35)

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾.

فَطُوبَى لِمَنْ حَجَّهُ وَأَدْرَكَ رِبْحاً وَمَغْنَماً وَدَخَلَ حَرَمَهُ الَّذِي هُوَ أَمْنٌ لِمَنْ دَخَلَهُ وَحِماً أَمَا شَاقَهُ الرَّكْبُ إِذَا سَارَ إِلَى ذَاكَ الجنَابِ مُتَيَّماً، أَمَا أَطْرَبَهُ الحادِي إِذَا حَدَا بِاسْمِ الحبِيبِ مُتَرَنِّماً وَغَنَّى بِذِكْرِهِ مُزَمْزِماً مُتَيِّماً

يَا سَائِقاً غَنَّى النِّيَاقَ وَزَمْزَماً ❖ أَبْشِرْ فَقَدْ جِئْتَ المَقَامَ وَزَمْزَمَا
كَمْ كُنْتَ تَذْكُرُنَا مَنَازِلَ مَكَّةَ ❖ وَتَقُولُ إِنَّ بِهَا المُنَى وَالمَغْنَمَا
بَرِّدْ بِمَاءِ سِقَايَةِ العَبَّاسِ مَا ❖ كَابَدْتَهُ طُولَ الطَّرِيقِ مِنَ الظَّمَا

وانْهَضْ وَهَرْوِلْ بَيْنَ مَرْوَةَ وَالصَّفَا ❖ وَادْخُلْ إِلَى الحِجْرِ الكَرِيمِ مُسَلِّمَا
وَمَقَامَ إِبْرَاهِيـــــمَ زُرْهُ مُبَادِراً ❖ وَلِحَجْرِ إِسْمَاعِيلَ ضَلَّ مُعَظِّمَا
وَانْظُرْ عَرُوسَ البَيْتِ يُجْلَى حُسْنُهَا ❖ لِلنَّاظِرِينَ وَلُـــذْ بِهِ مُسْتَعْظِمَا
فَهِيَ الَّتِي ظَهَرَتْ فَضَائِلُهَا فَــلاَ ❖ تَخْفَى وَهَلْ يَخْفَى ضِيَا قَمَرِ السَّمَا
لَمْ يَلْقَهَا الإِنْسَانُ إِلاَّ بَاكِـــياً ❖ فَرِحًا بِهَا أَوْ ضَــاحِكاً مُتَبَسِّمَا
وَالنُّورُ مِنْ أَرْجَائِهَا لاَ يَخْتَفِــي ❖ أَبَداً وَإِنْ جَــنَّ الظَّلاَمُ وَأَعْتَمَا
وَمِنَ العَجَائِــبِ أَنَّهَا مَحْرُوسَةٌ ❖ وَالصَّيْدُ فِيــهَا لاَ يَزَالُ مُحَرَّمَا
وَالطَّيْرُ لاَ يَعْلُو عَلَى أَرْكَــانِهَا ❖ إِلاَّ لِيُشْفَـــــى إِذْ غَـــدَا مُتَأَلِّمَا
تَخْتَالُ فِي حُلَلِ السَّــوَادِ وَبَابُهَا ❖ بِالنُّـــــورِ دَامَ مُبَرْقَعاً وَمُلَثَّمَا
هِيَ كَعْبَةُ المَوْلَى الكَرِيمِ وَكُلُّ مَنْ ❖ وَافَى إِلَيْهَا حَقُّـــهُ أَنْ يُكْــرَمَا
مَا مِنْهُمُ إِلاَّ ذَلِيلٌ خَاضِـــــعٌ ❖ بَاكٍ عَلَـــــى زَلاَّتِهِ مُتَنَدِّمَـــا
يَارَبِّ قَدْ وَقَفَتْ بِبَابِكَ عُصْبَةٌ ❖ يَرْجُــونَ مِنْكَ تَفَضُّلاً وَتَكَرُّمَا
ذَا طَالِبٌ فَضْلاً وَذَا مُتَنَصِّـــلٌ ❖ مِـــمَّا جَنَاهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَقَدَّمَا

حَدِيثٌ مَشْهُورٌ، سَعْيٌ مَشْكُورٌ، بَيْتٌ مَزُورٌ، حَجٌّ (36) مَبْرُورٌ، حَضْرَةُ سَعَادَةٍ وَفَوْزٌ وَبُرُورٌ، وَمَوَاسِمُ عِزٍّ وَأَعْيَادُ هَنَاءٍ وَحُبُورٍ، وَأَوْقَاتُ خَيْرٍ وَفَرَحٍ وَسُرُورٍ، وَعِتْقُ رِقَابٍ مِنَ النَّارِ وَتَضْعِيفُ ثَوَابٍ وَأُجُورٍ، وَأَعْمَالٌ تُوَرِّثُ الحُلُولَ فِي فَرَادِيسِ الجِنَانِ وَالفَوْزَ بِالنَّعِيمِ المُقِيمِ وَالوِلْدَانِ وَالحُورِ،

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾،

فَسُبْحَانَ مَنْ شَرَّفَ هَذَا البَيْتَ العَتِيقَ، فَرُكْنُ مَنْ رَكَنَ إِلَيْهِ نَجَا مِنَ الهَمِّ وَالضِّيقِ، وَبَابُ سَعَادَةٍ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَكَتَبَ اللهُ لَهُ تَوْقِيعَ النَّجَاةِ وَالتَّوْفِيقِ، وَمِيزَابٌ تَصُبُّ مِنْهُ الرَّحَمَاتُ عَلَى مَنْ سَلَكَ إِلَى الخَيْرِ أَقْوَمَ طَرِيقٍ، وَحَجَرٌ يَشْهَدُ لِمَنْ قَبَّلَهُ بِالوَفَاءِ وَالتَّصْدِيقِ، وَحَجَرٌ سَبَى القُلُوبَ بِالمَحَبَّةِ إِلَيْهِ وَالتَّشْوِيقِ وَحَرَمٌ تَأْتِي إِلَيْهِ الوُفُودُ مُشَاةً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، وَسُبْحَانَ مَنْ فَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ الأَمَاكِنِ وَالأَقْطَارِ، وَجَعَلَ تُرَابَهُ لِلأَبْصَارِ

زَنْجَبيلاً، ووَعدَ مَنْ طافَ بهِ بتَضْعيفِ الأَجْرِ والثَّوابِ وبسَقْيِه مِنْ شَرابِ الدُّنُوِّ والإِقْتِرابِ، رَحيقاً سَلْسَبيلاً، فهذِهِ صِفَةُ كَعْبَةِ اللهِ الَّتي مَنْ عَظَّمَها كانَ مُعَظَّماً مُبَجَّلاً، ومَنْ أَقْبَلَ عليْهَا كانَ مَوْلاهُ عليْهِ مُقْبلاً، فكَمْ مِنْ مُحِبٍّ ماتَ شَوْقاً إِلَيْهَا ولَمْ يَبْلُغْ مِنْهَا أَملاً، وقدْ فرَضَ مَوْلانَا حَجَّهَا علَى عِبادِهِ فتَسارَعُوا (37) إِلَيْهَا طَاعَةً وامْتِثَالاً، وشَدُّوا إِلَيْهَا الرِّحالَ رُكْباناً ورجَالاً، ودَعاهُمْ لِحَضْرَةِ قُرْبِهِ فمَا اسْتَبْعَدُوا فِي حُبِّهِ بَعيداً ولاَ اسْتَصْعَبُوا أَهْوالاً، فَلِلَّهِ دَرُّ أَقْوامٍ دَعاهُمْ مَوْلاهُمْ إِلَى جَنابِهِ فسَارُوا إِلَى بَابِهِ شُعْثاً غُبراً وعَرَّفَهُمْ بعَرَفاتٍ، أَنَّهُ قدْ تَجاوَزَ عنِ الذُّنُوبِ والزَّلاَّتِ، فسَجَدُوا لَهُ شُكْراً وزَمْزَمَ لَهُمُ الحادي بذِكْرِ زَمْزَمَ والعَقيقِ فأَلْقَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الشَّوْقِ لَهَباً وجَمْراً وحَرَّكَهُمْ بنَسِيمِ وَجْدِهِ فَبَاحُوا بمَا كَتَمُوا فِي صُدُورِهِمْ عِياناً وجَهْراً.

يا كَعْبَةَ الحُسْنِ كَمْ مِنْ عاشِقٍ قُتِلَ	شَوْقاً إِلَيْكِ وَرامَ الوَصْلَ مَا وَصَلاَ
قدْ يَتَّمَتِ بَعْدَهُ الأَوْلادَ حِينَ سَرَى	وَظَلَّ يَبْكي بدَمْعٍ فاضَ مُنْهَمِلاَ
وكَمْ غَريبٍ يَحارُ فِي هَواكِ غَدَى	وآخَرُ ظَلَّ فِي البَيْداءِ مُنْجَدِلاَ
وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الزُّوَّارِ قُرْبُكُمْ	إِلَى مَقامٍ بهِ الأَمْنُ لِمَنْ دَخَلاَ
فَلاَ تَخافُو فأَنْتُمْ فِي ضِيافَتِهِ	هُوَ الكَريمُ الَّذي بالجُودِ مَا بَخِلاَ

فَلِلَّهِ دَرُّ أَقْوامٍ رَعَوا خِدْمَةَ مَوْلاهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ رِبْحاً ومَغْنَماً، ورَأَوْا أَنْ تَضيعَ الأَوْقاتُ فِي غَيْرِ (38) الطَّاعَاتِ خُسْراناً ومَغْرَماً، وأَوْقَفَهُمْ علَى عَرَفاتِ قُرْبِهِ فأَضْحَى كُلٌّ مِنْهُمْ بحَبْلِ حُبِّهِ مُعْتَصِماً، غَفَرَ ذُنُوبَهُمْ، وبَلَّغَ مَطْلُوبَهُمْ، ونَشَرَ لَهُمْ بالسَّعادَةِ عَلَماً.

يا فَوْزَ أَقْوامٍ أَتَوْا لجَنابِهِ	فأَباحَهُمْ مِنْهُ الرِّضَا والمَغْنَمَا
قَوْمٌ علَى عَرَفاتٍ قدْ وَقَفُوا وَقَدْ	باهَى بِهِمْ ذُو العَرْشِ أَمْلاكَ السَّمَا
إِذْ قَالَ يَا أَهْلَ السَّمَاوَاتِ انْظُرُوا	وَفْدِي وَكُلٌّ قدْ أَضَرَّ بهِ الظَّمَا
أُشْهِدُكُمْ أَنْ قدْ غَفَرْتُ ذُنُوبَهُمْ	وغَفَرْتُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ تَكَرُّمَا

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ لاَحَ بَدْرُهُ فِي أُفُقِ السَّعادَةِ وحَلَّ، وأَنْصَحِ مَنْ جَمَعَ أَحْوالَ الخَلائِقِ عَلَى اللهِ وَدَلَّ،

الَّذِي رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجِّ بَيْتِ اللهِ الحرَامِ فقَالَ فِي بَعْضِ خُطَبِهِ:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا. فَقَالَ رَجُلٌ أَفِي كُلِّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ ثُمَّ قَالَ أَيْضاً يَا رَسُولَ اللهِ أَفِي كُلِّ عَامٍ قَالَ: لَا، وَلَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَ وَلَوْ وَجَبَ لَمَا اسْتَطَعْتُمْ».

وَقَالَ أَيْضاً فِي حَدِيثٍ آخَرَ:

«تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ».

وَقَالَ أَيْضاً:

«الحُجَّاجُ وَالعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ إِنْ دَعَوْهُ (39) أَجَابَهُمْ وَإِنْ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ».

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ:

«الحُجَّاجُ وَالعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ إِنْ سَأَلُوهُ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ وَإِنْ دَعَوْهُ اسْتَجَابَ لَهُمْ وَإِنْ شَفَعُوا شُفِّعُوا».

وَقَالَ:

«العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ».

وَقَدْ قَالَ العُلَمَاءُ: المَبْرُورُ لَيْسَ بَعْدَهُ مَعْصِيَةٌ، وَقِيلَ لِمَنْ حَجَّ يَا هَذَا إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَخْتِمُ عَلَى عَمَلِ الحَاجِّ بِطَابَعٍ مِنْ نُورٍ فَإِيَّاكَ إِنْ تَفُكَّ ذَلِكَ الخَاتَمَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

أَبْشِرْ فَحَجُّكَ مَقْبُولٌ وَمَبْرُورٌ ❖ وَكُلُّ سَعْيِكَ مَحْمُودٌ وَمَشْكُورُ
وَمَا تَصَدَّقْتَ فِي أَرْضِ الحِجَازِ بِهِ ❖ فَأَجْرُهُ لَكَ عِنْدَ اللهِ مَذْخُورُ
وَكُلُّ سَعْيٍ وَمَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ ❖ فَإِنَّهُ لَكَ بَعْدَ الرِّبْحِ مَوْفُورُ
فَإِنْ حَجَجْتَ وَلَمْ تَأْتِ بِمَعْصِيَةٍ ❖ نِلْتَ المُرَادَ وَأَنْتَ اليَوْمَ مَسْرُورُ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ حَبِيبِكَ البَاهِرِ الحَقِيقَةِ وَالكُنْهِ، وَصَفِيِّكَ العَلِيِّ السَّنَدِ، فِيمَا يُرْوَى عَنْهُ مِنَ الأَحَادِيثِ وَيُوخَذُ مِنْهُ، الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ وَالنِّيَابَةِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ أَتَاهُ أَبُو رَزِينٍ العُقَيْلِي فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لاَ يَسْتَطِيعُ الحَجَّ وَالعُمْرَةَ فَقَالَ: حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ، وَقَالَتْ سَيِّدَتُنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ عَلَى النِّسَاءِ (40) مِنْ جِهَادٍ قَالَ: نَعَمْ عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لاَ قِتَالَ فِيهِ: الحَجُّ وَالعُمْرَةُ وَالحُجَّاجُ وَالعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ، إِخْوَانِي كَيْفَ تَتَخَلَّفُونَ عَنِ الحَجِّ وَقَدْ فَرَضَهُ اللهُ عَلَى العِبَادِ، وَكَيْفَ لاَ تَرْغَبُونَ فِيهِ وَهُوَ ذَخِيرَةٌ لَكُمْ يَوْمَ المَعَادِ، وَكَيْفَ لاَ تَهْتَمُّونَ بِهِ وَقَدْ قِيلَ: لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ بِالحَجَّةِ الوَاحِدَةِ المُوصِي بِهَا وَالمُنَفِّذُ لَهَا وَالحَاجُّ عَنْهُ.

فَهُمْ وَفْـــدِي إِذَا مَا حَضَرُوا ❖ عِنْدَ بَيْتِي طَالِبِيـــنَ الزُّلْفَى
أُعْطِهِمْ مَـــا سَأَلُونِي جَهْرَةً ❖ وَأُنِلْهُمْ مِـــنْ جِنَانِي غُرَفَا
وَإِذَا مَا اجْتَمَعُـــوا أَسْمَعْتُهُمْ ❖ مِنْ جَنَابِي أَنَّ مَوْلاَكُمْ عَفَا
فَأَبْشِرُوا بِالفَوْزِ مِنِّي وَالرِّضَا ❖ قَدْ دَنَا الوَصْلُ وَقَدْ زَالَ الجَفَا

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ حَبِيبِكَ القَوِيِّ المَحَبَّةِ فِيكَ وَالإِيمَانِ، وَصَفِيِّكَ اللاَّهِجِ بِذِكْرِكَ فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ حَجِّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، وَمَا لِلْحَاجِّ فِيهِ مِنَ الأُجُورِ العَظِيمَةِ وَالحَسَنَاتِ الجِسَامِ، وَذَكَرَهُ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حَيْثُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَلِمَاتٌ أَسْأَلُ عَنْهُنَّ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ عَمَّا جِئْتَ تَسْأَلُ وَإِنْ شِئْتَ سَأَلْتَنِي فَأُخْبِرُكَ» فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا جِئْتُ أَسْأَلُكَ (41) فَقَالَ «جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الحَاجِّ مَالَهُ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ وَمَالَهُ حِينَ يَقِفُ بِعَرَفَاتَ وَمَالَهُ حِينَ يَرْمِي الجِمَارَ وَمَالَهُ حِينَ يَحْلِقُ رَأْسَهُ وَمَالَهُ حِينَ يَقْضِي آخِرَ طَوَافِهِ بِالبَيْتِ» فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أَخْطَأْتَ مِمَّا كَانَ فِي نَفْسِي شَيْئاً قَالَ:

«فَإِنَّ لَهُ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى رِحْلَتِهِ لاَ يَخْطُو خُطْوَةً إِلاَّ كُتِبَتْ لَهُ بِهَا

حَسَنَةٌ وَحُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ فَإِذَا وَقَفَ بِعَرَفَةَ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: انْظُرُوا يَا مَلَائِكَتِي إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثاً غُبْراً أُشْهِدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ قَطْرِ الْمَاءِ وَرَمْلِ عَالِجٍ وَإِذَا رَمَى الْجِمَارَ لَا يَدْرِي أَحَدٌ مَالَهُ حِينَ يُوَفِّيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِذَا حَلَقَ رَأْسَهُ فَلَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَقَطَتْ مِنْ رَأْسِهِ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِذَا قَضَى آخِرَ طَوَافِهِ بِالْبَيْتِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»،

رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَسْأَلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ يَسْأَلُهُ أَيْضاً فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَخَا ثَقِيفٍ إِنَّ أَخَاكَ الأَنْصَارِيَّ قَدْ سَبَقَكَ بِالْمَسْأَلَةِ فَاجْلِسْ حَتَّى نَبْدَأَ بِحَاجَتِهِ» فَتَغَيَّرَ وَجْهُ الثَّقَفِي فَقَالَ الأَنْصَارِيُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِبْدَأْ بِحَاجَةِ الثَّقَفِي فَإِنِّي رَأَيْتُهُ آنِفاً قَدْ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَأَخَافُ (42) أَنْ يَكُونَ قَدْ وَجَدَ عَلَيْكَ فَدَعَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلأَنْصَارِيِّ بِخَيْرٍ وَقَدَّمَ مَسْأَلَةَ الثَّقَفِيِّ حَتَّى فَرَغَ مِنْ مُرَادِهِ ثُمَّ قَالَ: «يَا أَخَا الأَنْصَارِي سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِالَّذِي تَسْأَلُنِي عَنْهُ»، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنِي كَمَا حَدَّثْتَ صَاحِبِي الثَّقَفِي فَهُوَ أَعْجَبُ إِلَيَّ فَقَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ خُرُوجِكَ مِنْ بَيْتِكَ تَؤُمُّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ مَالَكَ فِيهِ وَجِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ وُقُوفِكَ بِعَرَفَةَ مَالَكَ فِيهِ وَجِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ رَمْيِكَ الْجِمَارَ مَالَكَ فِيهِ وَجِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ حَلْقِكَ رَأْسَكَ مَالَكَ فِيهِ وَجِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ طَوَافِكَ بِالْبَيْتِ مَالَكَ فِيهِ أَجِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ غَيْرِهِ؟» فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنَّهُ لَلَّذِي أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ فَقَالَ:

«فَأَمَّا خُرُوجُكَ مِنْ بَيْتِكَ تَؤُمُّ الْمَسْجِدَ فَيَكْتُبُ اللهُ لَكَ بِكُلِّ خُطْوَةٍ تَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَحُطُّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً وَيَرْفَعُ لَكَ بِهَا دَرَجَةً وَأَمَّا رَكْعَتَاكَ لِلطَّوَافِ فَكَعِتْقِ رَقَبَةٍ وَأَمَّا سَعْيُكَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فَكَعِتْقِ سَبْعِينَ رَقَبَةً وَأَمَّا وُقُوفُكَ بِعَرَفَاتٍ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَطَّلِعُ عَلَى أَهْلِ عَرَفَاتٍ فَيَقُولُ: عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثاً غُبْراً أَتَوْنِي مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ فَيُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ (43) فَلَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ مِثْلُ رَمْلِ عَالِجٍ وَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَقَطْرِ الْمَطَرِ وَالْبَحْرِ غَفَرَهَا لَكَ وَأَمَّا رَمْيُكَ الْجِمَارَ فَإِنَّهُ مَذْخُورٌ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ تَجِدُهُ وَأَمَّا حَلْقُكَ رَأْسَكَ فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ

شَعْرَةٍ تَقَعُ مِنْكَ نُورٌ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَمَّا طَوَافُكَ بِالبَيْتِ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ طَوَافٌ تَطُوفُهُ وَلَا ذَنْبَ عَلَيْكَ وَيَأْتِي مَلَكٌ فَيَضَعُ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْكَ ثُمَّ يَقُولُ قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا مَضَى فَأَحْسِنْ فِيمَا بَقِيَ، امْضُوا مَغْفُورًا لَكُمْ وَمَنْ شَفَعْتُمْ فِيهِ».

فَلِلَّهِ دَرُّ الفَائِزِينَ بِالحَجِّ لَقَدْ بَلَغُوا الأَمَانِيَ وَأَدْرَكُوا الأَمَانَ وَسَاعَدَهُمْ عَلَى نَيْلِ مَقَاصِدِهِمْ الزَمَانُ فَازُوا بِحَجِّ البَيْتِ الحَرَامِ وَقَدْ كَفَّرَ عَنْهُمْ مَوْلَاهُمْ الذُّنُوبَ وَالآثَامَ فَيَا فَوْزَهُمْ وَقَدْ سَارَتْ بِهِمُ المَطَايَا وَحَطَّ عَنْهُمْ ثِقَلَ الخَطَايَا وَالعِصْيَانِ وَفَازُوا بِنَيْلِ المَطْلُوبِ وَحَصَّلُوا عَلَى القَبُولِ وَالرِّضْوَانِ.

فَازُوا بِنَيْلِ الأَمَانَةِ وَأَدْرَكُوا مَطْلُوبَهُمْ ❖ مِنَ الإِلَـهِ وَطَافُوا بِالبَيْتِ وَالأَرْكَانِ
وَبِالمَقَامِ اتَّصَلُوا وَبِالحَطِيمِ تَمَتَّعُوا ❖ وَشَاهَدُوا النُّورَ فِيهِ بِكُلِّ مَكَانِ
طُوبَى لَهُمْ قَدْ نَالُوا مَا أَمَّلُوا مِنْ قَصْدِهِمْ ❖ لَمَّا سَعَوْا بَيْنَ الصَّفَا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَانِ
يَا بَالِغِينَ مُنَاهُمْ وَفَائِزِينَ بِحَجِّهِمْ ❖ بُشْرَاكُمْ أَدْرَكْتُمْ كُلَّ الرِّضَى بِأَمَانِ
فُزْتُمْ بِمَا أَمَلْتُمْ وَاللهُ عَنْكُمْ قَدْ عَفَا ❖ عَنْ كُلِّ مَا قَدْ فَعَلْتُمْ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ (44) إِمَامِ السَّرَاتِ الأَعْيَانِ وَنُورِ بَصِيرَةِ أَهْلِ العُلُومِ وَالعِرْفَانِ، الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ الحَجِّ وَمَا فِيهِ مِنَ الخَيْرَاتِ الجِسَامِ وَاسْتِلَامِ الرُّكْنِ اليَمَانِيِّ وَالطَّوَافِ بِالبَيْتِ الحَرَامِ أَنَّهُ قَالَ:

«إِسْتَكْثِرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِالبَيْتِ فَإِنَّهُ مِنْ أَجَلِّ شَيْءٍ تَجِدُونَهُ فِي صُحُفِكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَغْبَطِ عَمَلٍ تَجِدُونَهُ فِي الخَيْرِ».

وَقَالَ:

«إِنَّ مَنْ طَافَ أُسْبُوعاً فِي المَطَرِ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ طَافَ بِالبَيْتِ خَمْسِينَ مَرَّةً خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

وَقَالَ:

«ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ وَالمَرِيضُ حَتَّى يُعَافَى وَالحَاجُّ حَتَّى يَقْدُمَ»،

وَقَالَ:

«مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الرُّكْنَ اليَمَانِيَ لِيَسْتَلِمَهُ خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ فَإِذَا اسْتَلَمَهُ وَقَالَ بِسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ فَإِذَا طَافَ بِالبَيْتِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ سَبْعِينَ أَلْفَ حَسَنَةٍ وَمَحَى عَنْهُ سَبْعِينَ أَلْفَ سَيِّئَةٍ»،

وَقَالَ:

«اغْتَنِمُوا هَذِهِ الفَوَائِدَ وَالرِّبْحَ فَمَنِ اجْتَهَدَ وَجَدَّ وَجَدَ وَلَيْسَ مَنْ سَهِرَ كَمَنْ رَقَدَ»،

وَالفَضَائِلُ وَالفَوَائِدُ تَحْتَاجُ إِلَى وَثْبَةٍ كَوَثْبَةِ أَسَدٍ لَقَدْ سَارَ الأَحْبَابُ فِي لَيْلِ العَزْمِ وَنِمْتُمْ وَرَبِحُوا فِي مُعَامَلَتِهِمْ وَمَا غَنِمْتُمْ لَوْ تَفَكَّرْتُمْ فِيمَا فَاتَكُمْ لَنَدِمْتُمْ يَا مُنْقَطِعِينَ عَنِ القَوْمِ إِنْ لَمْ تَنْهَضُوا (45) لِلَحَاقِ الإِخْوَانِ فَابْكُوا مَعِي عَلَى البُعْدِ وَالحِرْمَانِ.

إِذَا مَا دَعَا دَاعٍ إِلَى البَيْتِ وَالحَجَرِ ❖ أَجَابَتْهُ أَجْفَانٌ مَدَامِعُهَا تَجْرِي
وَلِي كُلَّمَا سَارَ الرِّكَابُ إِلَى مِنىً ❖ حَنِينٌ وَأَشْوَاقٌ تَجِلُّ عَنِ الحَصْرِ
فَجِسْمِي مُقِيمٌ فِي الدِّيَارِ وَمُهْجَتِي ❖ فَخِيفُ مِنىً مَعَ كُلِّ رَكْبٍ لَهُ يَسْرِي
أُعَلِّلُ بِالصَّبْرِ الفُؤَادَ وَإِنْ دَنَا ❖ أَوَانُ سَيْرِ الرَّكْبِ لَمْ يُغْنِنِي صَبْرِي
وَأَذْكُرُ أَهْوَالَ الطَّرِيقِ وَأَجْرَهَا ❖ فَيَسْهُلُ عِنْدِي مَا أَخَافُ مِنَ العُسْرِ
فَإِنْ خِفْتُ مِنْ فَقْرٍ تَقُولُ عَزِيمَتِي ❖ تَقَدَّمْ فَكَمْ بِالفَخْرِ فَازَ أَخُو فَقْرِ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ حَبِيبِكَ الوَاضِحِ البُرْهَانِ وَالدَّلِيلِ وَصَفِيِّكَ المَخْصُوصِ بِالمَجْدِ المُؤَثَّلِ وَالشَّرَفِ الأَصِيلِ، الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ مَكَّةَ وَمَنَاسِكِ حَجِّ البَيْتِ الحَرَامِ وَيَوْمِ عَرَفَةَ وَالوُقُوفِ بِهَا وَمَا أَعَدَّ اللهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الأُجُورِ العِظَامِ أَنَّهُ قَالَ:

«مَنْ أَتَى هَذَا البَيْتَ»،

وَفِي رِوَايَةٍ:

«مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ وَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»،

وَقَالَتْ سَيِّدَتُنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ»،

وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا عَنِ الحِكْمَةِ فِي أَسْرَارِ الحَجِّ وَمَا فِي المَنَاسِكِ الشَّرِيفَةِ مِنَ المَعَانِي اللَّطِيفَةِ فَقَالَ:

«لَيْسَ مِنْ أَفْعَالِ (46) الحَجِّ وَلَوَازِمِهِ شَيْءٌ إِلَّا وَفِيهِ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ وَنِعْمَةٌ سَابِقَةٌ وَنَبَأٌ وَشَأْنٌ وَسِرٌّ يَقْصُرُ عَنْ وَصْفِهِ كُلُّ لِسَانٍ، فَأَمَّا الحِكْمَةُ فِي التَّجَرُّدِ عِنْدَ الإِحْرَامِ فَإِنَّ مِنْ عَادَةِ النَّاسِ إِذَا قَصَدُوا أَبْوَابَ المَخْلُوقِينَ لَبِسُوا فَخْرَ ثِيَابِهِمْ مِنَ اللِّبَاسِ فَكَأَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: القَصْدُ إِلَى بَابِي خِلَافُ القَصْدِ إِلَى أَبْوَابِهِمْ لَأُضَاعِفُ لَهُمْ أُجُورَهُمْ وَثَوَابَهُمْ، وَفِيهِ أَيْضاً أَنْ يَتَذَكَّرَ العَبْدُ بِالتَّجَرُّدِ عَلَى الإِحْرَامِ التَّجَرُّدَ عَنِ الدُّنْيَا عِنْدَ نُزُولِ الحِمَامِ كَمَا كَانَ أَوَّلاً لَمَّا أُخْرِجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ مُجَرَّداً عَنِ الثِّيَابِ، وَفِيهِ أَيْضاً شَبَهٌ بِحُضُورِ المَوْقِفِ يَوْمَ الحِسَابِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ».

تَجَرَّدْ عَنِ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا ❖ خَرَجْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدٌ
وَتُبْ مِنْ ذُنُوبٍ مُوبِقَاتٍ جَنَيْتَهَا ❖ فَمَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ هَذِي مُخَلَّدُ

وَأَمَّا الاغْتِسَالُ عِنْدَ الإِحْرَامِ فَالحِكْمَةُ ظَاهِرُ الأَحْكَامِ وَهِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُرِيدُ أَنْ يَعْرِضَ الحُجَّاجَ عَلَى المَلَائِكَةِ لِيُبَاهِيَ بِهِمُ الأَنَامَ وَلَا يُعْرَضُونَ عَلَى المَلَائِكَةِ الكِرَامِ إِلَّا وَهُمْ مُطَهَّرُونَ مِنَ الأَدْنَاسِ وَالآثَامِ، وَفِيهِ أَيْضاً حِكْمَةٌ أُخْرَى وَهِيَ أَنَّ الحُجَّاجَ يَضَعُونَ أَقْدَامَهُمْ عَلَى مَوَاضِعِ أَقْدَامِ الأَنْبِيَاءِ الأَبْرَارِ فَيَكُونُونَ قَبْلَ ذَلِكَ قَدِ اغْتَسَلُوا لِيَنَالُوا بَرَكَتَهُمْ فِي تِلْكَ الآثَارِ كَمَا قَالَ تَعَالَى (47) وَهُوَ أَصْدَقُ القَائِلِينَ:

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ﴾،

تَطَهَّرْ مِنَ الذَّنْبِ يَا مُذْنِبُ ❖ إِذَا شِئْتَ مِنْ بَابِهِ تُقَرَّبُ

وَكُنْ رَاضِياً بِالَّذِي تَرْتَضِي ❖ فَإِنَّ رِضَا الحُـــبِّ يُسْتَعْذَبُ

وَأَمَّا الحِكْمَةُ فِي التَّلْبِيَّةِ فَإِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا نَادَاهُ إِنْسَانٌ جَلِيلُ القَدْرِ أَجَابَهُ بِالتَّلْبِيَّةِ وَحُسْنِ الكَلامِ فَكَيْفَ بِمَنْ نَادَاهُ مَوْلاَهُ المَلِكُ العَلاَّمُ وَدَعَاهُ إِلَى جَنَابِهِ لِيُكَفِّرَ عَنْهُ الذُّنُوبَ وَالآثَامَ وَإِنَّ العَبْدَ إِذَا قَالَ: لَبَّيْكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى هَا أَنَا دَانٍ إِلَيْكَ وَمُتَجَلٍّ عَلَيْكَ فَسَلْ مَا تُرِيدُ فَأَنَا أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ.

عَبْـــــدٌ دَعَاهُ لِقُرْبِهِ مَوْلاَهُ ❖ فَأَجَابَـهُ بِاللُّطْفِ حِينَ دَعَاهُ
وَأَتَى يُلَبِّيـــــهِ بِفَرْطِ تَذَلُّلٍ ❖ يَا فَـــــوْزَهُ بِالرِّبْـحِ إِذْ لَبَّاهُ

أَمَّا الحِكْمَةُ فِي الوُقُوفِ بِعَرَفَةَ وَأَخْذِ الجِمَارِ مِنَ المُزْدَلِفَةِ فَإِنَّ فِيهِ أَسْرَاراً لِذَوِي العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ فَمَعْنَاهُ كَأَنَّ العَبْدَ يَقُولُ سَيِّدِي حَمَلْتُ جَمَرَاتِ الذُّنُوبِ وَالأَوْزَارِ وَقَدْ رَمَيْتُهَا فِي طَاعَتِكَ بِالإِقْرَارِ إِنَّكَ أَنْتَ الكَرِيمُ الغَفَّارُ.

إِلَيْكَ مِنْ هَجْرِكَ أَبْغِي الفِرَارَ ❖ وَأَنْـــتَ مَازِلْتَ مُقِيلَ العِثَارِ
فَاغْفِــــرْ لِعَبْدٍ رَاحَ فِي قَلْبِـهِ ❖ مِـنْ أَلَمِ الأَوْزَارِ وَقْدُ الجِمَارِ

وَأَمَّا الحِكْمَةُ فِي الذِّكْرِ عِنْدَ المَشْعَرِ الحَرَامِ وَمَا فِيهِ مِنَ الأُجُورِ العِظَامِ فَكَأَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ (48) خَيْرٍ مِنْ مَلَئِهِ فَإِذَا ذَكَرْتُمُونِي عِنْدَ المَشْعَرِ الحَرَامِ ذَكَرْتُكُمْ بَيْنَ المَلاَئِكَةِ الكِرَامِ وَكَتَبْتُ لَكُمْ تَوْقِيعَ الأَمَانِ مِنْ حُلُولِ الإِنْتِقَامِ.

ذَكَرْتُكَ يَا سُؤْلِي وَغَايَةَ مَقْصِدِي ❖ وَأَنْـــتَ لَنَا يَا سَيِّـــدِي خَيْرَ ذَاكِرِ
فَجُدْ بِقَبُولٍ مِنْكَ أَرْجُـــو بِهِ المُنَى ❖ فَذِكْرُكَ فِي قَلْبِي وَسِرِّي وَخَاطِرِي

وَأَمَّا الحِكْمَةُ فِي حَلْقِ الرَّأْسِ بِمِنىً فَفِيهِ حِكْمَةٌ يَبْلُغُ بِهَا العَبْدُ جَمِيعَ المُنَا وَذَلِكَ أَنَّ فِيهِ يَقْظَةٌ وَتَذْكِيرٌ لاَ يَفْهَمُهَا إِلاَّ العَالِمُ النِّحْرِيرُ لأَنَّ الحَاجَّ إِذَا وَقَفَ بِعَرَفَةَ وَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ المَشْعَرِ الحَرَامِ وَضَحَّى بِمِنىً وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَطَهَّرَ بَدَنَهُ مِنَ الأَدْنَاسِ وَالآثَامِ كَتَبَ اللهُ لَهُ ثَوَاباً وَضَاعَفَ لَهُ أُجُوراً وَوَقَاهُ جَحِيماً وَسَعِيراً

وَكَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ يَوْمَ القِيَامَةِ نُورٌ وَأُعْطِيَ تَوْقِيعَ الأَمَانِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ المَكْنُونِ:

﴿مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾،

إِلَى بَابِكُمْ سَعْيِـــي وَإِنِّي مُقَصِّـرٌ ❖ فَقِيـــرٌ إِلَيْكُمْ فَارْحَمُوا ذِلَّةَ العَبْدِ
فَإِنْ تَطْرُدُونِي لَيْـسَ لِي غَيْرُ بَابِكُمْ ❖ وَإِنْ أَنْتُــمْ عَنِّي رَضِيتُمْ فَيَا سَعْدِي

وَأَمَّا الحِكْمَةُ فِي الطَّوَافِ وَمَا فِيهِ مِنَ المَعَانِي وَالأَلْطَافِ فَإِنَّ الطَّائِفَ بِالبَيْتِ يَقُولُ بِلِسَانِ حَالِهِ عِنْدَ دُعَائِهِ وَابْتِهَالِهِ: سَيِّدِي أَنْتَ المَقْصُودُ وَأَنْتَ الرَّبُّ المَعْبُودُ أَتَيْتُ إِلَيْكَ مَعَ جُمْلَةِ الوُفُودِ وَطُفْتُ بِبَيْتِكَ المَشْهُودِ وَوَقَفْتُ بِبَابِ (49) كَرَمِكَ أَرْجُو الكَرَمَ وَالجُودَ وَقَدْ سَبَقَ خِطَابُكَ لِخَلِيلِكَ الأَمِينِ فِي الكِتَابِ المُبِينِ،

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾،

بِسُجُـودِ الجِبَاهِ فِي الأَرْضِ ذُلاًّ ❖ بِطَـوَافِ الحُجَّاجِ عِنْدَ القُدُومِ
جُدْ عَلَيْــــنَا بِتَوْبَةٍ يَا إِلَاهِي ❖ ثُمَّ اصْـرِفْ عَنَّا جَمِيعَ الهُمُومِ

وَأَمَّا الحِكْمَةُ فِي الوُقُوفِ بِعَرَفَاتَ وَمَا فِيهِ مِنَ المَعَانِي البَدِيعَةِ الصِّفَاتِ فَإِنَّ فِيهِ تَشْبِيهاً وَتَذْكِيراً بِالوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ الجَلِيلِ جَلَّ جَلَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً مُنْكَشِفِي الرُّؤُوسِ وَاقِفِينَ عَلَى أَقْدَامِ الحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ يَضُجُّونَ بِالبُكَاءِ وَالعَوِيلِ وَيَدْعُونَ رَبَّهُمْ دُعَاءَ عَبْدٍ فَقِيرٍ ذَلِيلٍ كَمَا قِيلَ،

وَقَفْــــتُ بِالذُّلِّ فِي أَبْوَابِ عِزِّكُمْ ❖ مُسْتَشْفِـعاً مِنْ ذُنُوبِي عِنْدَكُمْ بِكُمُ
أُعَفِّـرُ الخَــــدَّ ذُلاًّ بِالتُّرَابِ عَسَى ❖ أَنْ تَقْبَلُونِــي وَتَرْضَوْنِي عَبِيدَكُمُ
فَإِنْ رَضِيتُمْ فَيَــا عِزِّي وَيَا شَرَفِي ❖ وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَمَـــنْ أَرْجُوهُ غَيْرَكُمُ
لاَ بَلَّــغَ اللهُ عَنِّي طِيــــبَ رُؤْيَتِهَا ❖ إِنْ طَابَ لِلسَّمْعِ يَوْماً غَيْرُ ذِكْرِكُمُ
إِنْ مُتُّ فِي حُبِّكُمْ شَوْقاً فَيَــاشَرَفِي ❖ وَيَا سُرُورِي لِمَوْتِــي فِيكُـمُ بِكُمُ
وَإِنْ نَوَيْتُ اصْطِبَاراً عَنْ مَحَبَّتِكُــمْ ❖ عَدِمْتُ طِيبَ مَسَـــرَّتِي بِأُنْسِكُمُ
نَسِيتُ كُلَّ طَرِيقٍ كُنْتُ أَعْرِفُــهَا ❖ إِلاَّ طَـــرِيقاً تُؤَدِّينِي لِحُبِّكُـــمُ
أَنَا المُقِرُّ بِذَنْبِي فَاصْفَحُوا كَـرَماً ❖ فَبِانْكِسَـــارِي وَذُلِّي قَـدْ أَتَيْتُكُمُ

لاَ تَطْرُدُونِي فَإِنِّي قَدْ عُرِفْتُ بِكُــمْ ❖ وَصِرْتُ مِــنَ الوَرَى أُدْعَى بِعَبْدِكُمْ

فَلِلَّهِ دَرُّ أَقْوَام دَعَاهُمْ مَوْلاَهُمْ إِلَى البَيْتِ العَتِيق (50) فَأَجَابُوا دَاعِيَ الوَجْدِ وَالتَّشْوِيق فَسَارُوا إِلَيْهِ مُشْتَاقاً عَلَى قَدَمِ التَّصْدِيقِ وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ، يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ.

مَا أَشْوَقَنِي إِلَى نَسِيم الرَّنْدِ يُشْفِي سَقَمِي إِذَا أَتَى مِنْ نَجْدٍ وَالشِّيحُ أَنَّهُ مُشَيِّدُ الوَجْدِ شَوْقِي لَهُمْ شَوْقٌ وَوَجْدِي وَجْدٌ وَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ المُوَفَّق رَحْمَتُ اللهِ عَلَيْهِ قَالَ: حَجَجْتُ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَام وَطُفْتُ بِهِ أُسْبُوعاً وَقَبَّلْتُ الحَجَرَ الأَسْوَدَ وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ وَاسْتَنَدْتُ إِلَى جِدَارِ الكَعْبَةِ وَأَنَا أَبْكِي وَأَقُولُ: كَمْ أَتَرَدَّدُ إِلَى هَذَا البَيْتِ وَأَحْضُرُ وَلاَ أَدْرِي هَلْ قُبِلْتُ أَمْ لاَ ثُمَّ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ نَوْماً خَفِيفًا فَبَيْنَمَا أَنَا بَيْنَ النَّائِم وَاليَقْظَانِ إِذْ سَمِعْتُ هَاتِفاً يَقُولُ: يَا عَلِيَّ بْنَ المُوَفَّقِ قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَتَكَ أَفَتَدْعُو أَنْتَ إِلَى بَيْتِكَ إِلاَّ مَنْ تُحِبُّ.

النَّاسُ بِطِيــبِ وَصْلِهِمْ قَدْ سَعِدُوا ❖ وَأَنَا المُضْنَــى بِهَجْــرِهِمْ مُنْفَرِدُ
مَا وَجَــدُوا فِي حُبِّهِمْ مَا أَجِــدُ ❖ مَا جُنَّ بِهِمْ مِثْــلَ جُنُونِــي أَحَدُ

وَقِيلَ وَقَفَ بَكْرٌ وَمُطْرَفٌ بِعَرَفَةَ فَلَمَّا عَجَّ الحَجِيجُ بِالبُكَاءِ وَالضَّجِيج بَكَى بَكْرٌ وَقَالَ مَا أَحْسَنَهُ مِنْ مَقَام لَوْلاَ أَنَا فِيهِمْ فَقَالَ مُطْرَفٌ وَقَدْ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَانْتَقَعَ لَوْنُهُ: اللَّهُمَّ لاَ تَرُدَّهُمْ مِنْ أَجْلِي.

مَا ضَرَّ رِيحَ الصَّبَا لَوْ نَا سَمَتَ حَرْقِي ❖ وَاسْتَنْقَذَتْ مُهْجَتِي مِنْ أَسْرِ أَشْوَاقِ (51)
دَاءٌ تَقَادَمَ عِنْــدِي مَنْ يُعَالِجُــهُ ❖ وَمَنْ يَكُونُ لَهُــمْ مَنْ هَجْرِهِمْ رَاق
يَمْضِي الزَّمَانُ وَآمَــالِي تُطَالِبُنِي ❖ بِمَــنْ أُحِبُّ عَلَــى مُطْلٍ وَإِمْلاَق
وَا ضَيْعَةَ العُمْرِ لاَ المَاضِي انْتَفَعْتُ بِهِ ❖ وَلاَ حَصَّلْتُ عَلَــى شَيْءٍ مِنَ البَاقِي

وَيُرْوَى عَنْ مُحَمَّدِ بَنِ المُنْكَدِرِ أَنَّهُ حَجَّ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ حَجَّةً فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا قَالَ وَهُوَ وَاقِفٌ بِعَرَفَاتَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي وَقَفْتُ فِي مَوْقِفِي هَذَا ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ وَقْفَةً فَوَاحِدَةٌ عَنْ فَرْضِي وَالثَّانِيَةُ عَنْ أَبِي وَالثَّالِثَةُ عَنْ أُمِّي وَأُشْهِدُكَ يَارَبِّ أَنِّي قَدْ وَهَبْتُ الثَلاَثِينَ لِمَنْ وَقَفَ مَوْقِفِي هَذَا وَلَمْ تَتَقَبَّلْ مِنْهُ فَلَمَّا

دُفِعَ مِنْ عرفَاتٍ وَنزَلَ بالمُزْدَلِفَةِ نُودِيَ فِي المَنَامِ: يَا بنَ المُنْكَدِرِ أَتتَكَرَّمُ عَلَى مَنْ خَلَقَ الكَرَمَ أَتجُودُ عَلَى مَنْ خَلَقَ الجُودَ إنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لَكَ وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لَقَدْ غَفَرْتُ لِمَنْ وَقَفَ بِعَرَفَاتَ قَبْلَ أنْ أَخْلُقَ عَرَفَاتَ بِأَلْفَيْ عَامٍ.

مَنْ تَجَلَّى لَنَا أَنَارَ الوُجُودَا ❖ مَانِحٌ يَمْنَحُ المُحِبِّينَ جُودَا
وَدَعَى أُمَّةَ الغَرَامِ إلَيْهِ ❖ فَأَتَاهُ أَهْلُ الوَفَاءِ وُفُودَا
وَأَتَى المُذْنِبُونَ مَا بَيْنَ بَاكٍ ❖ خُدِدِّ الدَّمْعُ مِنْ جَوَاهُمْ خُدُودَا
ثُمَّ نَادَوْا: يَا دَائِمَ الجُودِ يَا مَنْ ❖ لَمْ يَزَلْ مُحْسِناً كَرِيمًا وَدُودَا
أَنْتَ قِدْماً وَعَدْتَ مَنْ تَابَ بِالعَفْوِ ❖ وَمَا قَدْ جِئْنَاكَ نَرْجُوا الوُعُودَا
سَمِعُوا القَوْلَ قَدْ مَحَوْنَا الخَطَايَا ❖ وَرَحِمْنَا المَهْجُورَ وَالمَطْرُودَا
وَجَبَرْنَا بِالعَفْوِ كُلَّ كَسِيرٍ ❖ كَانَ قِدْماً يَشْكُو الجَفَا وَالصُّدُودَا(52)

وَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ المُوَفَّقِ رَحمَةُ اللهِ عَلَيْهِ قَالَ: حَجَجْتُ فِي بَعْضِ السِّنِينَ فَنِمْتُ بَيْنَ المَسْجِدِ الَّذِي بِالخِيفِ وَمِنىً فَرَأَيْتُ مَلَكَيْنِ قَدْ نَزَلاَ مِنَ السَّمَاءِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: يَا عَبْدَ اللهِ أَتَعْلَمُ كَمْ مَنْ حَجَّ بَيْتَ رَبِّنَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَالَ: لاَ قَالَ سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرِي كَمْ قُبِلَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: لاَ قَالَ: سِتَّةُ أَنْفُسٍ ثُمَّ ارْتَفَعَا فِي الهَوَاءِ فَقُمْتُ وَأَنَا مَرْعُوبٌ وَقُلْتُ وَا خَيْبَتَاهُ أَيْنَ أَكُونُ فِي هَذِهِ السِّتَّةِ أَنْفُسٍ فَلَمَّا وَقَفْتُ بِعَرَفَةَ وَبِتُّ بِالمُزْدَلِفَةِ رَأَيْتُ المَلَكَيْنِ وَقَدْ نَزَلاَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى عَادَتِهِمَا فَسَلَّمَ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ وَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَتَدْرِي مَا حُكْمُ رَبِّكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ قَالَ: لاَ قَالَ: فَإِنَّهُ وَهَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السِّتَةِ المَقْبُولِينَ مِائَةَ أَلْفٍ وَقَدْ قُبِلُوا جَمِيعًا قَالَ: فَانْتَبَهْتُ وَبِي مِنَ السُّرُورِ مَا لاَ يَعْلَمُهُ إلاَّ اللهُ تَعَالَى إذْ قَبِلَ الحُجَّاجَ جَمِيعَهُمْ وَمَنَحَهُمْ بِرّاً وُجُوداً وَلَمْ يَجْعَلْ مِنْهُمْ شَقِيّاً وَلاَ مَحْرُوماً وَلاَ مَطْرُوداً.

قُلْ لِلَّذِي أَلِفَ الذُّنُوبَ وَأَجْرَمَا ❖ وَغَدَا عَلَى زَلاَّتِهِ مُتَنَدِّمَا
لاَ تَيْأَسَنَّ مِنَ الجَمِيلِ فَعِنْدَنَا ❖ فَضْلٌ يُنِيلُ التَّائِبِينَ تَكَرُّماً
يَا مَعْشَرَ العَاصِينَ جُودِي وَاسِعٌ ❖ تُوبُوا فَدُونَكُمُ المُنَى وَالمَغْنَمَا
لاَ تَخْتَشُوا مِنْ قُبْحِ ذَنْبٍ سَالِفٍ ❖ إنِّي أُحِبُّ بِأَنْ أَجُودَ وَأَرْحَمَا

وَرُوِيَ أَنَّ رَابِعَةَ العَدَوِيَّةَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهَا حَجَّتْ إلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ حَافِيَةً تَمْشِي

عَلى أَقْدَامِهَا وَتُوتِرُ بِمَا (53) يُفْتَحُ عَلَيْهَا مِنَ الطَّعَام فَلَمَّا وَصلَتْ إلَى الكَعْبَةِ خَرَّتْ مَغْشِياً عَلَيْهَا فَلَمَّا أَفَاقَتْ وَضَعَتْ خَدَّهَا عَلَى البَيْتِ وَأَنْشَدَتْ بَيْتاً مُفْرَداً:

هَـــذِهِ دَارُهُمْ وَأَنْـــتَ مُحِبٌّ ❖ مَا بَقَـــاءُ الدُّمُوعِ فِي الآمَـــاقِ

ثُمَّ إِنَّهَا طَافَتْ وَسَعَتْ فَلَمَّا أَرَادَتِ الوُقُوفَ بِعَرَفَةَ حَاضَتْ فَبَكَتْ وَقَالَتْ: سَيِّدِي وَمَوْلاَيَ لَوْ وَقَعَ لِي هَذَا مِنْ غَيْرِكَ لَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ فَكَيْفَ وَقَدْ وَقَعَ لِي مِنْكَ فَسَمِعَتْ قَائِلاً يَقُولُ: يَا رَابِعَةُ قَدْ قَبِلْنَا الحُجَّاجَ كُلَّهُمْ مِنْ أَجْلِكِ وَجَبَرْنَاهُمْ لِأَجْلِ كَسْرِكِ.

أَقَامَ الهَوَى العُذْرِيِّ لِي فِيكُـــمْ عُذْراً ❖ فَمِنْ أَجْلِ ذَا لَمْ أَسْتَطِعْ عَنْكُمْ صَبْراً
وَأَصْبَحْتُ مَشْغُوفاً أَتِيهِ عَلَـى الوَرَى ❖ وَأُوسِعُ مَنْ قَدْ لاَمَنِي فِي الهَوَى عُذْرَا
فَإِنْ كُنْتُ أُصْغِي لِلْعَذُولِ فَقَـــادِرٌ ❖ عَلَى أَنَّهُ بِالحَالِ مِنْ غَيْرِهِ أَدْرَى
وَلِي قَمَرٌ فِي أَرْضِ نَجْـــدٍ مَحَلُّهُ ❖ عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَخْجَلَ الشَّمْسَ وَالبَدْرَا
وَلَمَّـــا تَبَـــدَّا حُسْنُـــهُ وَجَـــمَـــالُـــهُ ❖ وَلاَحَ لِعَيْنِي نُورُ طَلْعَتِهِ الغَرَّا
وَهَبْتُ لَهُ رُوحِي وَقُلْتُ لَـــكَ الحَشَـا ❖ مَحَلُّكَ يَا مَنْ حُسْنُهُ حَيَّرَ الفِكْرَا
إِذَا قَالَ يَا عَبْـــدِي أَقُولُ ذَكَرْتَنِي ❖ لَقَـــدْ تَمَّ إِسْعَادِي وَذَا أَوَّلُ البُشْرَى
فَيَارَبِّ بِالهَـــادِي البَشِيرِ الَّذِي رَقَى ❖ عَلَـــى ذِرْوَةِ الأَفْلاَكِ فِي لَيْلَةِ الإِسْرَا
وَأَرْسَلْتَـــــهُ فِيـــنَا بَشِيراً وَمُنْذِراً ❖ وَمَازَالَ فِي يَـــوْمِ المِيعَادِ لَنَا ذُخْرَا
أَذِقْنَا جَمِيعاً بَرْدَ عَفْوِكَ وَاهْـــدِنَا ❖ إِلَى خَيْرِ أَسْبَابٍ بِـــهَا نَغْنَمُ الأَجْرَا
وَشَفِّعْهُ فِينَا فِي ذُنُوبٍ تَرَاكَـــمَتْ ❖ فَقَدْ أَثْقَلَتْ مِنَّا الكَوَاهِـــلَ وَالظَّهْرَا
نَبِيٌّ لَهُ فِي المُعْجِـــزَاتِ خَـــوَارِقٌ ❖ تُحَيِّرُ فِي إِدْرَاكِهَا العَقْلَ وَالفِكْرَا (54)
فَضَائِلُ لَوْ أَنَّ الـــوَرَى كُلِّفُوا لَهَا ❖ بَيَاناً وَحَصْراً مَا أَطَاقُـــوا لَهَا حَصْرَا
عَلَيْهِ سَـــلاَمُ اللهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا ❖ وَمَا حَمَلَتْ مِنْ طِيبِهِ لِلْـــوَرَى نَشْرَا

قَالَ مُؤَلِّفُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَجَعَلَ فِي أَعْلَى الفَرَادِيسِ مُسْتَقَرَّهُ وَمَثْوَاهُ: لَمَّا وَصَلْتُ فِي فَضَائِلِ مَنَاسِكِ الحَجِّ إِلَى الوُقُوفِ بِعَرَفَةَ، ظَهَرَ لِي أَنْ أَذْكُرَ فَضَائِلَ يَوْمِ عَرَفَةَ وَصِيَامَهُ وَلَيْلَتَهَا المُشَرَّفَةَ، وَمَا ذَكَرَهُ فِيهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الأُجُورِ الجَزِيلَةِ وَوَصَفَهُ، وَأَرْدَفَهَا بِفَضَائِلِ العَشْرِ

مِنْ ذي الحِجَّةِ الحَرام، وَفضائل عِيدِ الفِطْرِ وَالأَضْحى لِيَتَوَصَّلَ بِذلِكَ المُحِبُّ إلى بُلُوغِ القَصْدِ وَنَيْلِ المَرام، وهِيَ هَذِه.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا وَمَوْلانا مُحَمَّدٍ وَعَلى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَاحِبِ الشِّيَمِ الطَّاهِرَةِ وَالأَخْلاقِ الحَمِيدَةِ، وَيَنْبُوعِ المَعَارِفِ الوَهْبِيَّةِ وَالعُلُومِ المَفِيدَةِ، الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضَائِلِ يَوْمِ عَرَفَةَ المُعَظَّمَةِ المَجِيدَةِ، أَنَّهُ قَال:

«لا يَبْقَى أَحَدٌ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ»،

فَقَالَ رَجُلٌ لأَهْلِ عَرَفَةَ يَا رَسُولَ اللهِ خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً قَالَ:

«بَلْ لِلنَّاسِ عَامَّةً وَمَنْ صَامَ يَوْمَ عَرَفَةَ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِعَدَدِ مَنْ صَامَ ذَلِكَ اليَوْمَ وَبِعَدَدِ مَنْ لَمْ يَصُمْهُ مِنَ المُسْلِمِينَ ثَوَاباً وَيُشَيِّعُهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِلَى المَحْشَرِ وَعِنْدَ نَصْبِ المِيزَانِ وَمِنَ (55) المَوْقِفِ إِلَى الصِّرَاطِ وَمِنَ الصِّرَاطِ إِلَى الجَنَّةِ وَيُبَشِّرُونَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا مَرْكُوبُهُ بِبِشَارَةٍ جَدِيدَةٍ».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ قُطْبِ السِّيَادَةِ الرَّفِيعِ القَدْرِ وَالمَقَام، وَطَوْدِ المَجَادَةِ المُؤَيَّدِ بِالمُعْجِزَاتِ البَاهِرَةِ وَالخَوَارِقِ العِظَام، الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ يَوْمِ عَرَفَةَ المَلْحُوظَةِ بِعَيْنِ الإِجْلاَلِ وَالإِعْظَام، أَنَّهُ قَالَ:

«إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ نَشَرَ اللهُ رَحْمَتَهُ فَلَيْسَ مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ عِتْقاً مِنْهُ وَمَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى فِي يَوْمِ عَرَفَةَ حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ قَضَاهَا اللهُ لَهُ وَصَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالَّتِي بَعْدَهُ وَمَنْ صَامَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ أَعْطَاهُ اللهُ ثَوَابَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلَى بَلاَئِهِ وَمَنْ صَامَ يَوْمَ عَرَفَةَ أَعْطَاهُ اللهُ ثَوَابَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ (56) صَاحِبِ القَلْبِ النَّظِيفِ المُنَوَّرِ وَالجَسَدِ الشَّرِيفِ الطَّاهِرِ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ يَوْمِ عَرَفَةَ وَثَوَابِهَا المَذْكُورِ فِي الأَحَادِيثِ المُسَطَّرِ أَنَّهُ قَالَ:

«صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ سَنَةً مَاضِيَةً وَسَنَةً مُسْتَقْبَلَةً».

وَالحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ بَيْنَ عِيدَيْنِ وَهُمَا يَوْمَا سُرُورٍ لِلْمُومِنِ وَلاَ سُرُورَ لِلْمُومِنِ أَكْثَرُ مِنْ غُفْرَانِ ذَنْبِهِ، وَيَوْمُ عَاشُورَاءَ بَعْدَ العِيدَيْنِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لِسَنَةٍ وَاحِدَةٍ لِأَنَّهُ لِسَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَكَرَامَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَتَضَاعَفُ عَلَى غَيْرِهِ، وَمَنْ صَامَ يَوْمَ عَرَفَةَ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ وَضَّحَ مِنْهَاجَ الدِّينِ وَبَيَّنَهُ وَأَفْضَلِ مَنْ حَبَّبْتَ فِي القُلُوبِ أَرْضَهُ وَوَطَنَهُ وَمَسْكَنَهُ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ لَيْلَةِ عَرَفَةَ وَمَا مَعَهَا مِنَ اللَّيَالِي الخَمْسِ الجَلِيلَةِ المُسْتَحْسَنَةِ أَنَّهُ قَالَ:

«مَنْ أَحْيَى هَذِهِ اللَّيَالِي الخَمْسَ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ لَيْلَةَ عَرَفَةَ وَلَيْلَةَ التَّرْوِيَّةِ وَلَيْلَةَ النَّحْرِ وَلَيْلَةَ الفِطْرِ وَلَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، وَاخْتَارَ اللهُ الزَّمَانَ وَأَحَبُّ الأَزْمِنَةِ إِلَيْهِ الأَشْهُرُ الحُرُمُ وَأَحَبُّ الأَشْهُرِ الحُرُمِ إِلَيْهِ ذُو الحِجَّةِ وَأَحَبُّ ذِي الحِجَّةِ إِلَيْهِ تَعَالَى العَشْرُ الأَوَّلُ وَأَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا أَيَّامُ العَشْرِ يَعْنِي [57] أَيَّامَ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ وَفِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ ذِي الحِجَّةِ وُلِدَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَمَنْ صَامَ ذَلِكَ اليَوْمَ كَانَ لَهُ كَفَّارَةُ ثَمَانِينَ سَنَةٍ وَمَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ وَلاَ أَحَبُّ إِلَى اللهِ العَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ أَيَّامِ العَشْرِ فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ، وَإِنَّ ثَلاَثَةً تُصَافِحُهُمُ المَلاَئِكَةُ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ الشُّهَدَاءُ وَصَائِمِي رَمَضَانَ وَعَرَفَةَ وَمَنْ صَامَ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ ذِي الحِجَّةِ وَأَوَّلَ يَوْمٍ مِنَ المُحَرَّمِ فَقَدْ خَتَمَ السَّنَةَ المَاضِيَةَ بِصَوْمٍ وَاسْتَقْبَلَ القَبْلَةَ بِصَوْمٍ جَعَلَ اللهُ لَهُ كَفَّارَةَ خَمْسِينَ سَنَةً».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ يَسْتَشْفِي بِهِ المَرْءُ مِنْ أَلَمِهِ وَوَجَعِهِ وَأَكْرَمِ مَنْ يَلْجَأُ إِلَيْهِ المُضْطَرُّ فِي حَالِ خَوْفِهِ وَرَجَائِهِ وَطَمَعِهِ، الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ عَرَفَةَ المُتَعَبِّدِ بِهَا النَّاسِكُ فِي حَالِ زُهْدِهِ وَوَرَعِهِ أَنَّهُ دَعَا لِأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فَأُجِيبَ بِأَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا خَلاَ الظَّالِمَ فَإِنِّي آخِذٌ لِلْمَظْلُومِ مِنْهُ حَقَّهُ فَقَالَ:

«أي ربِّ إن شئت أعطيت المظلوم من الجنَّة وغفرت للظالم فلم يجبه عشيَّة عرفة فلمَّا أصبح بالمزدلفة أعاد الدُّعاء فأجيب إلى ما سأل فضحك النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم فسأله أبو (58) بكر وعمر رضي الله عنهما عن ذلك فقال: إنَّ عدوَّ الله إبليس لمَّا علم أنَّ الله تعالى قد استجاب دعائي وغفر لأمَّتي أخذ التُّراب وجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكني ما رأيت من جزعه».

اللَّهُمَّ صلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا وَمَوْلانَا مُحَمَّدٍ وعَلَى ءَالِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ بساط الحَضْرَةِ المُعَظَّم، وَخَازِنِ سرِّ النُّبُوءَةِ الجَلِيلِ المُفَخَّم، أَنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ يَوْمَ عَرَفَةَ وَلَهُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ جَنَاحٍ مُكَلَّلَةٌ بِالدُّرِّ وَاليَاقُوتِ مَنْسُوجَةٌ بِأَلْوَانِ الجَوَاهِرِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ وَيَقُولُ لَكَ: إِذْهَبْ إِلَى الطَّائِفِ فَإِنَّ فِيهَا أَلْفاً وَخَمْسمِائَةِ صَنَمٍ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فَخَرَجَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ فَأَعْرَضُوا وَأَرْسَلُوا جَارِيَةً فَقَالَتْ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فَسَأَلَتْهُ عَنْ مَسَائِلَ فَأَجَابَهَا فَقَالَتْ لَهُ: إِكْشِفْ عَنْ ظَهْرِكَ فَلَمَّا رَأَتْ خَاتَمَ النُّبُوءَةِ قَبَّلَتْهُ وَأَسْلَمَتْ فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَى أَبِيهَا وَأَخْبَرَتْهُ بِإِسْلاَمِهَا أَخَذَ أَوْتَاداً مِنْ حَدِيدٍ مَحْمِيَّةٍ عَلَى النَّارِ وَعَذَّبَهَا فَقَالَتْ: هَذَا لِمَنْ يَطْلُبُ الفِرْدَوْسَ قَلِيلٌ فَلَمَّا (59) مَاتَتْ طَرَحَهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَفَّنَهَا وَصَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ: «والذي نفسي بيده ما ماتت حتَّى رأت منزلتها في الجنَّة»، ثُمَّ جَاءَ جِبْرِيلُ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ القَوْمَ قَدِ اجْتَمَعُوا لِقِتَالِكُمْ بِكِلاَبٍ ضَارِيَّةٍ فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلُوا الكِلاَبَ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهمَّ بحقِّ يوم عرفة أصرف عنِّي هذه الكلاب» فَخَضَعَتْ لَهُ فَقَالَ: «عليك بأصحابك» فَوَثَبَتِ الكِلاَبُ عَلَيْهِمْ فَرَمَوْهَا بِالحِجَارَةِ فَوَقَعَ حَجَرٌ فِي وَجْهِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلَ خَمْسَةٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ وَقَالَ كُلٌّ مِنْهُمْ: إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُطِيعَكَ فِيمَا تُرِيدُ فَبَكَى وَقَالَ: «إنَّ الله أرسلني رحمة ولم يبعثني عذاباً» ثُمَّ قَالَ: «اللَّهمَّ بحقِّ آدم وموسى وإبراهيم وعيسى ورمضان ويوم عرفة ارزقهم الإيمان»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَوَاللهِ لَقَدْ صَلَّيْنَا الظُّهْرَ وَالقَوْمُ أَجْمَعُونَ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سُلْطَانِ المَمْلَكَةِ المُؤَيَّدِ المَنْصُورِ وَصَاحِبِ العَمَلِ الصَّالِحِ وَالسَّعْيِ المَشْكُورِ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ يَوْمِ عَرَفَةَ وَثَوَابِهَا المَشْهُورِ أَنَّهُ قَالَ:

«يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: يَا مَلاَئِكَتِي أُنْظُرُوا إِلَى عِبَادِي (60) أَتَوْنِي شُعْثاً غُبْراً مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ أُشْهِدُكُمْ أَنِّي غَفَرْتُ لَهُمْ أَجْمَعَ»،

ثُمَّ قَالَ:

«لاَ يَبْقَى يَوْمَ عَرَفَةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلاَّ يَغْفِرُ لَهُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ لِمُعَرِّفٍ أَوْ لِغَيْرِ مُعَرِّفٍ فَقَالَ: لِمُعَرِّفٍ وَلِغَيْرِ مُعَرِّفٍ»،

وَقَالَ:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ تَعَالَى تَطَاوَلَ عَلَيْكُمْ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ فَغَفَرَ لَكُمْ إِلاَّ التَّبِعَاتِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَوَهَبَ سَيِّئَكُمْ لِمُحْسِنِكُمْ وَأَعْطَى لِمُحْسِنِكُمْ مَا سَأَلَ فَارْجِعُوا بِسْمِ اللهِ»،

فَلَمَّا كَانَ جَمْعٌ قَالَ:

«إِنَّ اللهَ غَفَرَ لِصَالِحِكُمْ وَشَفَّعَ صَالِحَكُمْ فِي طَالِحِكُمْ فَتَنْزِلُ الرَّحْمَةُ وَالمَغْفِرَةُ فَتَعُمُّهُمْ ثُمَّ تُفَرَّقُ المَغْفِرَةُ فِي الأَرْضِ فَتَقَعُ عَلَى كُلِّ تَائِبٍ فَمَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ وَيَدَهُ وَإِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ عَلَى جَبَلِ عَرَفَاتٍ يَنْظُرُونَ مَا يَصْنَعُ اللهُ بِهِمْ فَإِذَا نَزَلَتِ الرَّحْمَةُ دَعَا هُوَ وَجُنُودُهُ بِالوَيْلِ وَالثُّبُورِ».

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ السَّرَاتِ البُدُورِ وَصَحَابَتِهِ الجَهَابِذَةِ الصُّدُورِ صَلاَةً تُبَهِّجُ بِهَا وُجُوهَنَا بِنُورِ الفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَتُكْرِمُ بِهَا مَثْوَانَا بَيْنَ يَدَيْكَ يَوْمَ البَعْثِ وَالنُّشُورِ وَتُبَوِّئُنَا بِهَا مِنْ فَرَادِيسِ جِنَابِكَ أَعَالِيَ الغُرَفِ وَالقُصُورِ بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَارَبَّ العَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ (61) خَيْرِ مَنْ أَتَيْتَهُ نُبُوَّةً وَعِلْماً وَحُكْماً وَأَكْمَلِ مَنْ وَهَبْتَ لَهُ مِنْ أَسْرَارِ حُكْمِكَ حَظًّا وَافِرًا وَقِسْماً الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ هَذِهِ اللَّيَالِي الأَرْبَعِ وَيَوْمِي العِيدَيْنِ مَا تَقَرُّ بِهِ

العَيْنُ مَغْفِرَةً وَرحْمَةً أَنَّهُ قَالَ:

«أَرْبَعُ لَيَالٍ يُفْرِغُ اللهُ فِيهَا الرَّحْمَةَ عَلَى عِبَادِهِ إِفْرَاغاً وَهِيَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبَ وَلَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ وَلَيْلَةُ الفِطْرِ وَلَيْلَةُ الأَضْحَى وَأَعْظَمُ هَذِهِ اللَّيَالِي لَيْلَةُ الأَضْحَى وَالفِطْرِ».

وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«زَيِّنُوا أَعْيَادَكُمْ بِالتَّكْبِيرِ وَفِي رِوَايَةٍ زَيِّنُوا العِيدَيْنِ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ».

وَقَالَ:

«أَكْثِرُوا مِنَ التَّكْبِيرِ لَيْلَةَ عِيدِ النَّحْرِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثاً فَإِنَّهُ يَهْدِمُ الذُّنُوبَ هَدْماً وَإِنَّمَا سُمِّيَ العِيدُ عِيداً لِعُودِهِ بِالفَرَحِ وَالسُّرُورِ».

وَقَالَ بَعْضُهُمْ سُمِّيَ عِيداً لأَنَّهُ يَوْمٌ شَرِيفٌ كَرِيمٌ فَيَنْبَغِي لِلعَاقِلِ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِالتَّعْظِيمِ وَالتَّبْجِيلِ للهِ تَعَالَى وَيُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ لأَنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يَسْمَعُ فِيهِ النَّفْخَةَ وَالصَّعْقَةَ فَضَرْبُ الطُّبُولِ مُذَكِّرَةٌ لَهَا وَالنَّفْخُ فِي البُوقِ مُذَكِّرٌ لِلنَفخِ فِي الصُّورِ وَاجْتِمَاعُ النَّاسِ فِي المُصَلَّى مُذَكِّرٌ لاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِي القِيَامَةِ عَلَى اخْتِلاَفِهِمْ وَاخْتِلاَفِ أَحْوَالِهِمْ فَمِنْهُمْ لاَبِسٌ بَيَاضاً وَمِنْهُمْ لاَبِسٌ سَوَاداً وَمِنْهُمْ رَاجِلٌ (62) وَمِنْهُمْ رَاكِبٌ وَمِنْهُمْ فَرِحٌ وَمِنْهُمْ مَحْزُونٌ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْقَلِبُ إِلَى نِعْمَةٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْقَلِبُ إِلَى نِقْمَةٍ وَالنَّاسُ فِي انْتِظَارِهِمُ الإِمَامَ كَالنَّاسِ فِي انْتِظَارِهِمُ المَحْشَرَ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ وَالإِشَارَةُ فِي الخُطْبَةِ وَاسْتِمَاعُ النَّاسِ إِلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُحَاسِبُ وَيُعَاقِبُ وَالخَلْقُ سُكُوتٌ وَمَرَاتِبُهُمْ فِي المُصَلَّى تُشْبِهُ مَرَاتِبَهُمْ فِي القِيَامَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي ظِلِّ العَرْشِ وَكَذَلِكَ انْصِرَافُهُمْ مِنَ المُصَلَّى بَعْضُهُمْ مَقْبُولٌ وَبَعْضُهُمْ مَرْدُودٌ، وَعَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمَ العِيدِ فَجَعَلَ يَحْثُو التُّرَابَ وَالرَّمَادَ عَلَى رَأْسِهِ فَقِيلَ هَذَا يَوْمُ السُّرُورِ وَالفَرَحِ وَالزِّينَةِ وَأَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا فِيهِ فَقَالَ لِمَنْ قُبِلَ صَوْمُهُ، وَرُوِيَ أَنَّ يَوْمَ العِيدِ يَوْمٌ سَعِيدٌ يَسْعَدُ فِيهِ نَاسٌ وَيَشْقَى فِيهِ آخَرُونَ فَطُوبَى لِمَنْ قُبِلَتْ أَعْمَالُهُ فِيهِ وَوَيْلٌ لِمَنْ رُدَّ عَلَيْهِ فِيهِ

عمله فهو يوم يُهنَّأُ فيه من قبل عمله ويُعزَّى فيه من رُدَّ عليه فاجتنبوا رحمكم الله فيه قبيح الأعمال واسعوا فيه في مرضاة مولاكم الكبير المتعال عسى أن تصلح لكم الأحوال تُتقبَّل منكم الأعمال وتنالوا فيه كرامةً ورضىً ومغفرةً وغنماً.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ (63) صاحب الأفعال الجميلة الحسنة والأقوال الطيِّبة الجليلة المُستحسنة الذي رُوي عنه في فضل عيد الأضحى والأضحية الجزيلة الثَّواب والأجر أنَّه قال:

«مَنْ ضَحَّى أُضْحِيَةً فَإِنَّهُ يَجِدُهُ يَوْمَ الْبَعْثِ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ قَائِماً عَلَى رَأْسِ الْقَبْرِ وَإِذَا شَعْرُهُ مِنْ قُضْبَانِ الذَّهَبِ وَعَيْنَاهُ مِنْ يَاقُوتِ الْجَنَّةِ وَقَرْنَاهُ مِنْ ذَهَبٍ فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ فَمَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْكَ؟ فَيَقُولُ أَنَا قُرْبَانُكَ الَّذِي قَرَّبْتَ فِي الدُّنْيَا ارْكَبْ عَلَى ظَهْرِي فَيَرْكَبُ عَلَيْهِ وَيَذْهَبُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلَى ظِلِّ الْعَرْشِ».

ورُوي

«أَنَّهُ إِذَا ضَرَبَ الْعَبْدُ قُرْبَانَهُ بِالأَرْضِ فَذَبَحَهُ كَانَتْ أَوَّلُ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ كَفَّارَةً لِذَنْبِهِ وَلَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةٌ».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ روض المحاسن العطر النَّشر وعروس الحضرات العليِّ الجاه والقدر الذي رُوي عنه في فضل الأضحية الجزيلة الثَّواب والأجر أنَّه قال:

«عَظِّمُوا ضَحَايَاكُمْ فَإِنَّهَا عَلَى الصِّرَاطِ مَطَايَاكُمْ».

ورُوي أنَّ إبليس لعنه الله يُؤذِّنُ أي يصيح في كلِّ عيدٍ فتجتمع عليه الأبالسة فيقولون يا سيِّدنا ممَّ غضبك (64) من السَّماء أم من الأرض أم من الجبال نكسِّرها فيقول: إنَّ الله قد غفر لأمَّة محمَّدٍ في هذا اليوم فعليكم أن تشغلوهم باللَّذَّات وشرب الخمر حتَّى يغضب الله عليهم، وخلق الله الجنَّة في يوم عيد الفطر وفيه تاب الله على سحرة فرعون وغرس شجرة طوبى واصطفى جبريل للوحي وصلاته صلاَّها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قبل الأضحى، ورُوي أنَّ

عِيدَ الأَضْحى أَفْضَلُ مِنْ عِيدِ الفِطْرِ لأَنَّهُ فِي أَفْضَلِ أَيَّامِ السَّنَةِ وَهِيَ أَيَّامُ العَشْرِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ حَبِيبِكَ الشَّفِيعِ المُشَفَّعِ المَقْبُولِ وَصَفِيِّكَ الفَاضِلِ المُفَضَّلِ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ وَرَسُولٍ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ سَبْعَ ثَمَرَاتٍ يَوْمَ عِيدِ الفِطْرِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى المُصَلَّى وَقَالَ العُلَمَاءُ: يَسْتَحِبُّ أَنْ يَأْكُلَ شَيْئاً قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى صَلاَةِ عِيدِ الفِطْرِ، وَرُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فَضْلِ لَيْلَةِ الفِطْرِ الوَارِدِ شَرَفُهَا فِي المَعْقُولِ وَالمَنْقُولِ أَنَّهُ قَالَ:

«إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الفِطْرِ سُمِّيَتْ لَيْلَةَ الجَائِزَةِ فَإِذَا كَانَتْ غَدَاةُ الفِطْرِ يَبْعَثُ اللهُ المَلاَئِكَةَ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَيَهْبِطُونَ إِلَى الأَرْضِ (65) فَيَقِفُونَ عَلَى أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَيُنَادُونَ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ جَمِيعُ الخَلاَئِقِ إِلاَّ الإِنْسُ وَالجِنُّ فَيَقُولُونَ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ أُخْرُجُوا إِلَى رَبٍّ كَرِيمٍ يُعْطِي الجَزِيلَ وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ فَإِذَا بَرَزُوا إِلَى مُصَلاَّهُمْ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا مَلاَئِكَتِي مَا جَزَاءُ الأَجِيرِ إِذَا عَمِلَ عَمَلَهُ فَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ: إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا وَمَوْلاَنَا جَزَاؤُهُ أَنْ تُوَفِّيَهُ أَجْرَهُ فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أُشْهِدُكُمْ يَا مَلاَئِكَتِي أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ مِنْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِمْ رِضَائِي وَمَغْفِرَتِي فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: فَوَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ تَسْأَلُونِي اليَوْمَ فِي جَمْعِكُمْ هَذَا شَيْئاً لآخِرَتِكُمْ إِلاَّ أَعْطَيْتُكُمْ وَلاَ لِدُنْيَاكُمْ إِلاَّ نَظَرْتُ إِلَيْكُمْ، وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لأَسْتُرَنَّ لَكُمْ عَلَيْكُمْ عَثَرَاتِكُمْ مَا رَغِبْتُمُونِي، فَوَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ أُخْزِيَنَّكُمْ وَلاَ فَضَحْتُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ أَصْحَابِ الأُخْدُودِ فَانْصَرِفُوا مَغْفُوراً لَكُمْ قَدْ أَرْضَيْتُمُونِي وَرَضِيتُ عَنْكُمْ، فَطُوبَى ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ خَلَعَتْ عَلَيْهِ خِلَعَ القَبُولِ وَبَلَغَ مِنْ رِضَى مَوْلاَهُ عِنَايَةَ القَصْدِ وَالسُّؤْلِ».

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلاَةً تُنَوِّرُ بِهَا أَفْئِدَتَنَا مِنْ شَرَابِ رَحِيقِ وِدَادِكَ المَعْلُولِ وَتُرْخِي بِهَا عَلَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ رِدَاءَ سِتْرِكَ المَسْدُولِ بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَارَبَّ العَالَمِينَ. (66)

يَا أَيُّـــــهَا الفَرْحَانُ يَوْمَ العِيدِ ❖ بِلِبَاسِـــــهِ فِي العِيدِ كُلَّ جَدِيدِ
وَعَلَى المَطَــاعِمِ وَالمَشَارِبِ مُقْبِلٌ ❖ وَعَلَى المَنَــاكِحِ مِنْ حِسَانٍ قُدُودِ

وَيَجُرُّ ذَيْلَ التِّيـهِ مَا بَيْنَ الوَرَى ❖ فَتَبَـخْتَـــــرَ بِطُرُوزِهِ وَبُرُودِ
وَبِمَالِـــــهِ وَبِعِــــزِّهِ وَبِجَاهِهِ ❖ أَمِنَ الزَّمَانَ وَفَجْـــأَةَ التَّبْدِيدِ
وَلِبَطْنِهِ وَلِعَيْنِهِ وَلِجِسْمِـــــــهِ ❖ قَصَدَ النَّعِيمَ بِوَقْتِـــــهِ المَعْهُودِ
وَعَلَى المَعَاصِي وَالمَلاَهِي عَاكِفٌ ❖ لاَ ذِكْرٌ يَخْطُرُ فِيــهِ لِلْمَعْبُودِ
فَكَـأَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي رَمَضَانَ فِي ❖ سِجْنٍ وَأُخْرِجَ مِنْهُ يَــوْمَ العِيدِ
فَغَدَا يُعَوِّضُ مَا مَضَى مُسْتَدْرِكاً ❖ مَا فَاتَهُ مِنْ مَآثِمٍ مَعْـــــدُودِ
وَيُضَاحِكُ الأَقْرَانَ ضِحْكاً فَاحِشاً ❖ وَيَمِيـــــلُ بِالأَوْتَارِ مِيلَةَ عُودِ
وَالنَّفْسُ مَزْبَلَـــةٌ لِكُلِّ قَبِيحَةٍ ❖ شَنْعَاءَ تَكْسِـفُ نُورَ ذِي تَسْدِيدِ
سَاوَيْتَ فِي هَذَا البَهَائِمَ هَلْ تَرَى ❖ تَمْتَازُ عَنْهَا بِالتُّقَـــى المَحْمُودِ
هَـــلاَّ بَكَيْتَ بِيَوْمِ عِيدِكَ لَوْعَةً ❖ كَيْ لاَ يَكُونَ الصَّــوْمُ بِالمَرْدُودِ
يَوْمُ الجَوَائِزِ يَوْمُ عِيدِكَ لِلْوَرَى ❖ فَيَفُوزُ بِالإِحْسَانِ كُـلُّ رَشِيدِ
إِنَّ القَبُولَ مُغَيَّــبٌ هَلاَّ خَشِيتَ ❖ بِـــأَنْ تَكُونَ رَفِيقَ كُلِّ طَرِيدِ
فَالعِيدُ أَنْ تُعْطِيَ الجَوَائِزَ وَالرِّضَا ❖ وَالعَفْـوَ عَنْ جُرْمٍ حَلِيفِ وَعِيدِ
وَالعِيدُ عَوْدُ اللهِ جَـلَّ جَلاَلُـهُ ❖ فَضْلاً عَلَيْكَ بِأَحْسَنِ التَّعْوِيدِ
وَالعِيدُ أَنْ يَبْقَى فُؤَادُكَ رَوْضَـةً ❖ بِالنُّورِ مُخْضَرّاً بِلاَ تَحْدِيـــدِ
وَالعِيدُ أَنْ يَبْقَى مُطِيعاً طَاهِراً ❖ مِنْ غَيْرِ مَا دَنَسٍ وَنَقْضِ عُهُـودِ
وَالعِيدُ أَنْ يَبْقَى لِسَانُكَ ذَاكِراً ❖ وَمُطَابِقاً لِلْقَلْبِ فِي التَّرْدِيـــدِ
وَالعِيدُ أَنْ يَبْقَى بِوَجْهِكَ حُسْنُهُ ❖ مِنْ نُورِ طَاعَةِ رَبِّكَ المَعْبُـــودِ
وَالعِيدُ أَنْ تُعْطَى البَرَاءَةَ مِنْ لَظَى ❖ أَوْ تُشْــرِكُ السُّعَدَا بِنَيْلِ سُعُودِ
وَالعِيدُ أَنْ تُبْنَى لَكَ الغُـرُفَاتُ فِي ❖ أَعْلَى الجِنَانِ لِيَوْمِكَ المَشْهُودِ (67)
وَالعِيدُ أَنْ تُجَلَّى عَلَيْكَ عَرَائِسُ ❖ الفِرْدَوْسِ بِالتَّزْوِيجِ يَــوْمَ وُرُودِ
وَالعِيدُ أَنْ يُثْنَى عَلَيْكَ بِحَضْرَةٍ ❖ صَمَدِيَّةٍ مَيْمُــونَةِ المَــوْعُودِ
وَالعِيدُ أَنْ تَزْهُوَ بِكَ البُقَعُ الَّتِي ❖ تَأْوِي إِلَيْهَا طَالِــباً السُّجُودِ
وَالعِيدُ أَنْ تَنْوِيَ التَّنَعُّمَ طَاعَـةً ❖ إِذْ ذَاكَ سُنَّـــةُ أَحْمَدَ المَحْمُودِ

إِيَّابٌ وَرُجُوعٌ إِلَى مَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ مِنْ ذِكْرِ فَضَائِلِ مَنَاسِكِ الحَجِّ المُفْتَرَضِ عَلَى الإِسْلاَمِ، وَسَهَرٌ وَهُجُوجٌ وَتَشَوُّقٌ إِلَى مَعَالِمِ الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ العَالِيَةِ القَدْرِ وَالمَقَامِ، وَمَشَاهِدُ وَرُبُوعٌ، تَرَدَّدَ إِلَيْهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَزَارَتْهَا المَلاَئِكَةُ الكِرَامُ،

فَيَا سَعَادَةَ مَنْ جدَّ السَيْرَ إِلَيْهَا، وَأَفْنَى عُمْرَهُ فِي طَلَبِهَا، وَجَعَلَ الوُقُوفَ بِبَابِهَا غَايَةَ القَصْدِ وَالمَرَام.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ بَنَى بُيُوتَ العِزِّ وَالشَّرَفِ وَرَفَعَهَا، وَأَعْظَمِ مَنْ شَلَّ عُرُوشَ أَهْلِ الكُفْرِ وَالضَّلاَلِ وَوَضَعَهَا، الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ حَجِّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، وَمَقْبَرَتَيْ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ المَحْفُوفَتَيْنِ بِالإِجْلاَلِ وَالإِعْظَامِ، أَنَّهُ قَالَ:

«مَنْ حَجَّ أَوِ اعْتَمَرَ فَمَاتَ مِنْ حِينِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ صَبَرَ عَلَى حَرِّ مَكَّةَ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ تَبَاعَدَتْ مِنْهُ جَهَنَّمُ مَسِيرَةَ مِائَتَيْ عَامٍ وَتَقَرَّبَتْ مِنْهُ الجَنَّةُ مَسِيرَةَ مِائَتَيْ عَامٍ».

وَقَالَ:

«الحَجُونُ وَالبَقِيعُ يُؤْخَذُ بِأَطْرَافِهِمَا وَيُنْثَرَانِ فِي الجَنَّةِ».

وَهُمَا (68) مَقْبَرَتَا مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ المَخْصُوصَتَانِ بِالتَّوْقِيرِ وَالاحْتِرَامِ، وَقَدْ وَقَفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقْفَةً عَلَى ثَنْيَةِ المَقْبَرَةِ وَلَيْسَ بِهَا يَوْمَئِذٍ مَقْبَرَةٌ فَقَالَ:

«يَبْعَثُ اللهُ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ البُقْعَةِ وَمِنْ هَذَا الحَرَمِ كُلِّهِ سَبْعِينَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ يَشْفَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي سَبْعِينَ أَلْفٍ وُجُوهُهُمْ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ وَأَنَّ الكَعْبَةَ تُحْشَرُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَالعَرُوسِ المَزْفُوفَةِ وَكُلُّ مَنْ حَجَّهَا مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِهَا وَيَسْعَوْنَ حَوْلَهَا حَتَّى تَدْخُلَ الجَنَّةَ فَيَدْخُلُونَ مَعَهَا».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ لاَحَ بَدْرُهُ فِي أُفُقِ السِّيَادَةِ وَاكْتَمَلَ، وَأَجَلِّ مَنِ احْتَوَى جَسَدُهُ عَلَى المَكَارِمِ وَالمَحَاسِنِ وَاشْتَمَلَ، الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ الحَجِّ المَبْرُورِ أَيِ المُتَقَبَّلِ العَمَلِ، وَالعُمْرَةِ وَمَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا مِنْ كَثْرَةِ الثَّوَابِ فِي سَابِقِ الأَزَلِ، أَنَّهُ قَالَ:

«إِنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَإِنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَإِنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنْ مُعْظَمِ الخَطَايَا وَالزَّلَلِ».

وَقَالَ:

«أيُّما رَجُلٌ خرجَ مِنْ بَيْتِه حاجّاً أَوْ مُعْتَمِراً فَكُلَّما رَفَعَ قَدَماً أَوْ وَضَعَها تَناثَرَتِ الذُّنُوبُ مِنْ جِسْمِهِ كَما يَتَناثَرُ الوَرَقُ مِنَ الشَّجَرِ فَإِنْ وَرَدَ المَدِينَةَ وَصافَحَنِي (69) بِالسَّلامِ صافَحَتْهُ المَلائِكَةُ وَإِنْ وَرَدَ مِيقاتَهُ وَاغْتَسَلَ طَهَّرَهُ اللهُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَإِنْ تَجَرَّدَ مِنْ ثِيابِهِ وَلَبِسَ ثَوْبَ إِحْرامِهِ جَرَّدَ اللهُ عَنْهُ السَّيِّآتِ وَإِنْ أَهَلَّ بِالتَّلْبِيَّةِ أَجابَهُ الرَّبُّ سُبْحانَهُ وَتَعالَى لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَهَا أَنَا أَسْمَعُ كَلامَكَ وَأَنْظُرُ إِلَيْكَ، وَإِنْ دَخَلَ مَكَّةَ وَسَعَى بَيْنَ الصَّفا وَالمَرْوَةِ وَاصَلَ اللهُ لَهُ الخَيْراتِ، وَرَفَعَ لَهُ الدَّرَجاتِ، وَإِنْ وَافَى عَرَفَةَ مَحَلَّ المُناجاةِ، وَضَجَّتِ الأَصْواتُ بِالحاجاتِ، نَظَرَ الجَلِيلُ جَلَّ جَلالُهُ إِلَيْهِمْ فَيُباهِي بِهِمُ المَلائِكَةَ فَيَقُولُ: يا مَلائِكَتِي هَؤُلاءِ عَبِيدِي قَدْ أَتَوْا إِلَيَّ شُعْثاً غُبْراً مِنْ كُلِّ مَكانٍ، وَنَصَّبُوا الأَبْدانَ، وَأَنْفَقُوا الأَمْوالَ وَتَرَكُوا الأَهْلَ وَالأَوْطانَ، فَوَعِزَّتِي وَجَلالِي لأَهَبَنَّ المُسِيءَ مِنْهُمْ لِلْمُحْسِنِ وَلأُخْرِجَنَّهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُمْ أُمَّهاتُهُمْ وَإِذا رَمَوْا الجَمَراتِ وَحَلَقُوا الرُّؤُوسَ وَزارُوا البَيْتَ وَطافُوا بِهِ وَسَعَوْا بَيْنَ الصَّفا وَالمَرْوَةِ وَفَرَغُوا مِنْ حَجِّهِمْ نَاداهُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مُنادٍ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ إِرْجِعُوا مَغْفُوراً لَكُمْ فاسْتَأْنِفُوا العَمَلَ».

تَجَلَّى لَهُـــمْ شَوْقاً فَأَفْنَى وُجُودَهُمْ	وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَجْسامِهِمْ مَفْصِلٌ أَصْلا
وَأَضْحَوْا نَشاوَى مِنْ مُـــدامَةِ حُبِّهِ	وَأَرْواحُهُـــمْ تَسْمُو إِلَى المَلإِ الأَعْلَى
تَفانَوْا عَلَى دَيْرِ الغَرامِ فَأَصْبَحُـــوا	بِسَيْفِ الهَوَى فِي حُبِّ مَحْبُوبِهِمْ قَتْلا (70)
سَقاهُمْ كُؤُوسَ الحُبِّ صِرْفاً وَحَبَّذا	كُؤُوسُ اتِّصالِ الوُدِّ عَنْ ذِكْرِكُمْ تَمْلا
وَناداهُمْ وَاللَّيْـــلُ قَدْ مَشَ سِتْـرَهُ	وَأَوْرَدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ المَـــوْرِدَ الأَحْلَى
وَأَشْهَدَهُمْ أَنْوارَ حُسْـــــنِ جَمالِهِ	وَبَوَّأَهُمْ مِنْ قُرْبِهِ الفَضْـلَ وَالوَصْلا
فَهامُــــوا بِهِ لَمَّا رَأَوْهُ صَبَـــابَةً	وَقَدْ عَدِمُوا فِي حُبِّهِ الذِّهْـنَ وَالعَقْلا
وَقالَ أَبْشِـــرُوا ثُمَّ انْظُرُوا وَتَمَتَّعُوا	فَهَذا جَمالِــــي قَدْ بَدا لَكُمْ يُجْلَى
فَيا مَعْشَـــرَ الأَحْبابِ يُهَنِيكُمُ اللِّقا	فَسَعْدُكُــــمُ وافَى وَحُزْنُكُمُ وَلَّى
فَيارَبِّ بِالهَــــادِي البَشِيرِ مُحَمَّـدٍ	نَبِيٍّ زَكَى فَرْعاً كَما قَدْ زَكَّى أَصْلا
وَمَنْ قَدْ رَقَى نَحْوَ السَّماءِ مُشَـرَّفاً	وَفَضَّلْتَــــهُ حَقّاً وَأَلْهَمْتَــــهُ عَدْلا
أَجِــــرْنا مِنَ النَّارِ وَاغْفِـرْ ذُنُوبَنا	فَنَحْنُ أَتَيْنا مِنْكَ نَسْتَمْطِرُ الفَضْلا
عَلَيْهِ سَلامُ اللهِ ما سَــــرَتِ الصَّبا	وَمَـــا لاحَ نُورٌ مِنْ مَحاسِنِهِ يَحْلَى

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ حَبِيبِكَ الطَّيِّبِ المَنَاسِبِ وَالأَعْرَافِ، وَصَفِيِّكَ العَاطِرِ الجُيُوبِ وَالأَطْوَاقِ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضَائِلِ مَنَاسِكِ الحَجِّ الوَاجِبِ عَلَى مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً بِالإِتِّفَاقِ، حِينَ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ:

«أَمَّا خُرُوجُكَ مِنْ مَنْزِلِكَ تُرِيدُ الحَجَّ فَلَكَ بِكُلِّ خُطْوَةٍ تَخْطُوهَا رَاحِلَتُكَ حَسَنَةٌ وَتُمْحَى عَنْكَ سَيِّئَةٌ وَتُرْفَعُ لَكَ دَرَجَةٌ وَأَمَّا طَوَافُكَ فَإِنَّكَ تَخْرُجُ مِنْ ذُنُوبِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، وَأَمَّا وُقُوفُكَ بِعَرَفَةَ فَإِنَّ المَوْقِفَ يَدْنُو فِي ذَلِكَ اليَوْمِ مِنْ سَمَاءِ الدُّنْيَا حَتَّى يَكُونَ (71) أَدْنَى الأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ وَيَتَجَلَّى الجَلِيلُ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي المَلَائِكَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ فَيَقُولُ: أَيَا مَلَائِكَتِي هَؤُلَاءِ عَبِيدِي قَدْ أَتَوْا إِلَيَّ شُعْثاً غُبْراً مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ قَاصِدِينَ إِلَيَّ يَرْجُونَ رَحْمَتِي فَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُمْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ وَعَدَدِ الرَّمْلِ لَغَفَرْتُهَا لَهُمْ وَأَمَّا رَمْيُكَ الجِمَارَ فَتُدَّخَرُ لَكَ وَقْتَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهَا، وَأَمَّا حَلْقُ رَأْسِكَ فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَقَعُ مِنْ رَأْسِكَ ثَوَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَمَّا اسْتِلَامُكَ الحَجَرَ فَإِنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ وَشَفَتَانِ يَشْهَدُ لِكُلِّ مَنِ اسْتَلَمَهُ وَيَشْفَعُ لَهُ وَهُوَ أَمِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ يُصَافِحُ بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ وَفِيهِ أَوْدَعَ اللهُ العَهْدَ الَّذِي أَخَذَ عَلَى بَنِي آدَمَ حِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ المِيثَاقَ».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ مَأْمَنِ الفَزِعِ وَالخَائِفِ، وَكَنْزِ المَوَاهِبِ اللَّدُنِيَّةِ وَالأَسْرَارِ وَاللَّطَائِفِ، الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ الحَاجِّ وَنَفَقَتِهِ فِي الحَجِّ أَنَّهُ قَالَ:

«الحُجَّاجُ وَفْدُ اللهِ إِنْ سَأَلُوا أُعْطُوا وَإِنْ دَعَوْا أُجِيبُوا وَإِنْ أَنْفَقُوا أُخْلِفَ لَهُمْ بِكُلِّ دِرْهَمٍ أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا هَلَّلَ مُهَلِّلٌ وَلَا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ إِلَّا هَلَّلَتْ بِتَهْلِيلِهِ وَكَبَّرَتْ بِتَكْبِيرِهِ المَلَائِكَةُ حَتَّى يَنْقَطِعَ، وَإِنَّ الدِّرْهَمَ (72) الوَاحِدَ يُنْفِقُهُ الحَاجُّ أَثْقَلُ مِنْ جَبَلَيْهِمْ هَذَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ مَعَ مَا يَخْلُفُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا وَأَنْ يُضَاعَفَ لَهُمُ الأَجْرُ فِي الآخِرَةِ وَأَوَّلُ مَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى عَبِيدِهِ يَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الحَرَمِ فَمَنْ رَآهُ طَائِفاً بِالبَيْتِ غَفَرَ لَهُ وَمَنْ رَآهُ مُسْتَقْبِلاً لِلْقِبْلَةِ مُحْتَسِباً للهِ وَلِرَسُولِهِ وَمُعَظِّماً لِلْقِبْلَةِ غَفَرَ لَهُ وَكَانَ لَهُ قَدْرُ أَجْرِ الطَّائِفِ».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَفْوَةِ الأَنْبِيَاءِ الكِرَامِ وَخَيْرِهَا، وَأَفْضَلِ مَنِ انْتَهَجَتْ أَرْبَابُ السُّلُوكِ نَهْجَهُ فِي دَلَالَتِهَا عَلَى اللهِ وَسَيْرِهَا، الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ أَعْمَالِ الطَّاعَةِ بِمَكَّةَ أَنَّهُ قَالَ:

«مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فِي مَكَّةَ فَصَامَهُ كُلَّهُ وَقَامَ فِيهِ مَا تَيَسَّرَ لَهُ كَتَبَ اللهُ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ شَهْرٍ مِنْ رَمَضَانَ فِي غَيْرِ مَكَّةَ وَكَانَ عَمَلُهُ مَقْبُولًا وَسَعْيُهُ مَشْكُورًا، وَمَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ يَوْمَ صَيْفٍ شَدِيدِ الْحَرِّ حَارٍ رَأْسُهُ وَاسْتَلَمَ الْحَجَرَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْذِيَ أَحَدًا وَقَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا مِنْ ذِكْرِ اللهِ فَإِنَّ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ يَرْفَعُهَا أَوْ يَضَعُهَا سَبْعِينَ أَلْفَ دَرَجَةٍ وَيُكْتَبُ لَهُ سَبْعِينَ أَلْفَ حَسَنَةٍ وَتُمْحَى عَنْهُ سَبْعُونَ أَلْفُ سَيِّئَةٍ، وَإِنَّ حَوْلَ الْبَيْتِ سَبْعِينَ أَلْفاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ وَمَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ أُسْبُوعاً (73) كَامِلاً خَالِياً وَحْدَهُ بِالطَّوَافِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي طَوَافِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ مَرِضَ يَوْماً بِمَكَّةَ كَتَبَ اللهُ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ سَبْعِينَ سَنَةً، وَمَنْ صَبَرَ عَلَى حَرِّ مَكَّةَ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ تَبَاعَدَتِ النَّارُ عَنْهُ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ وَإِنَّ الطَّائِفَ لَيَخُوضُ فِي رَحْمَةِ اللهِ وَإِنَّ اللهَ يُبَاهِي الْمَلَائِكَةَ بِالطَّائِفِينَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَإِنَّ صَدَقَةَ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ بِمَكَّةَ يَعْدِلُ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِي غَيْرِهَا».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ قُدْوَةِ أَهْلِ الخُشُوعِ وَالإِنَابَةِ، وَصَاحِبِ الوَسَائِلِ المَقْبُولَةِ وَالأَدْعِيَةِ المُسْتَجَابَةِ، الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ البَيْتِ الحَرَامِ وَأَرْكَانِهِ وَبِقَاعِهِ أَنَّهُ قَالَ:

«رُكْنُ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ أَفْضَلُ مِنَ الْيَمَانِيِّ وَالرُّكْنُ الْيَمَانِيُّ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ قَوَاعِدِ الْبَيْتِ وَالْبَيْتُ أَفْضَلُ مِنَ الْحَرَمِ وَالْحَرَمُ أَفْضَلُ مِنْ بِقَاعِ تِهَامَةَ وَمَنْ نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَأَقْرَبُ الْبِقَاعِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ وَالْخُرُوجُ مِنْ مَكَّةَ شَقَاوَةٌ وَالْمَقَامُ فِيهَا سَعَادَةٌ وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُنْزِلُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْأَرْضِ مِائَةَ رَحْمَةٍ مِنْهَا بِمَكَّةَ (74) تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ رَحْمَةً وَرَحْمَةٌ وَاحِدَةٌ فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ، وَمَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ حَاجّاً أَوْ مُعْتَمِراً فَكَأَنَّمَا مَاتَ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا وَيُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْآمِنِينَ وَمَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ كَانَ جَاراً للهِ وَمَنْ كَانَ جَارَ اللهِ أَمَّنَهُ اللهُ وَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، وَيُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ بِمَكَّةَ فِي ثَلَاثَةَ عَشَرَ مَوْضِعاً عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْعَدِ وَتَحْتَ الْمِيزَابِ وَعِنْدَ دُخُولِ الْبَيْتِ وَعِنْدَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَفِي

المُسْتَجَارِ وَفِي المُلْتَزَمِ وَخَلْفَ المَقَامِ وَفِي زَمْزَمَ وَفِي السَّعْيِ وَفِي الطَّوَافِ وَعَلَى الصَّفَا وَعَلَى المَرْوَةِ وَعِنْدَ رَمْيِ الجِمَارِ الثَّلَاثِ، فَمَنِ اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ فِي هَذِهِ المَوَاضِعِ بِتَصْحِيحِ عَقْدِ النِّيَّةِ بِالقَبُولِ ضُمِنَتْ لَهُ الإِجَابَةُ».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ حَبِيبِكَ الَّذِي جَلَّتْ فَضَائِلُهُ عَنِ العَدِّ وَالإِحْصَاءِ وَصَفِيِّكَ الَّذِي لا تَتَنَاهَى مُعْجِزَاتُهُ وَلَا تُسْتَقْصَى وَوَلِيِّكَ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ رُكْنِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ وَالرُّكْنِ اليَمَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ:

«مَا بَيْنَ رُكْنِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ وَالرُّكْنِ اليَمَانِيِّ بَابَانِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَدْعُو اللهَ عِنْدَ رُكْنِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ وَكَذَلِكَ عِنْدَ الرُّكْنِ اليَمَانِيِّ وَتَحْتَ المِيزَابِ وَرُكْنِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ وَالرُّكْنُ اليَمَانِيُّ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ»، (75)

وَقَالَ:

«لَا تُشَدُّ المَطَايَا إِلَّا لِثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَمَسْجِدِي وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنِ اصْطَفَيْتَ وَنَبَّأْتَ، وَأَكْرَمِ مَنْ شَرَّفْتَ قَدْرَهُ فِي المَلَإِ الأَعْلَى وَرَفَعْتَ، الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ مَكَّةَ أَنَّهُ قَالَ حِينَ أَخْرَجَهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ مِنْهَا:

«وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكِ أَحَبُّ البِقَاعِ إِلَى اللهِ وَأَنَّكِ أَحَبُّ بِلَادِ اللهِ إِلَى اللهِ وَأَحَبُّ بِلَادِ اللهِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ المُشْرِكِينَ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ مَنَحْتَهُ قَدْراً رَفِيعاً وَجَنَاباً فَسِيحاً، وَأَكْمَلِ مَنْ أَوْلَيْتَهُ عَقْلاً رَاجِحاً وَلِسَاناً فَصِيحاً، الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ أَنَّهُ لَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ:

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ وَالمُومِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنْكِ وَأَنَّ اللهَ جَعَلَكِ حَرَاماً وَحَرَّمَ مِنَ المُومِنِ مَالَهُ وَدَمَهُ

وَعِرْضَهُ وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَناً قَبِيحاً».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ أَتْمَمْتَ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ وَأَجْمَلِ مَنْ أَظْهَرْتَ عَلَيْهِ (76) فَضْلَكَ وَمِنَّتَكَ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ الكَعْبَةِ أَنَّهُ لَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ:

«مَرْحَباً بِكِ مِنْ بَيْتٍ مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ»،

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ إِمَامِ أَوْلِيَائِكَ العُلَمَاءِ العَامِلِينَ وَصَفْوَةِ أَصْفِيَائِكَ القَادَةِ الوَاصِلِينَ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ خَلْفَ المَقَامِ أَنَّهُ قَالَ:

«مَنْ صَلَّى خَلْفَ المَقَامِ رَكْعَتَيْنِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَحُشِرَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الآمِنِينَ».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ لِبْنَةِ التَّمَامِ وَجَوْنَةِ الرَّوَائِحِ وَمِسْكِ الخِتَامِ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي فَضْلِ مَكَّةَ وَشَرَفِهَا أَنَّهُ قَالَ:

«دُحِيَتِ الأَرْضُ مِنْ مَكَّةَ وَأَوَّلُ مَنْ طَافَ بِالبَيْتِ المَلَائِكَةُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ هَرَبَ مِنْ قَرْيَتِهِ إِلَّا هَرَبَ إِلَى اللهِ بِمَكَّةَ يَعْبُدُهُ بِهَا حَتَّى يَمُوتَ وَإِنَّ قَبْرَ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ وَإِسْمَاعِيلَ فِيمَا بَيْنَ زَمْزَمَ وَالمَقَامِ».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنِ اخْتَرْتَهُ حَبِيباً صَفِيّاً وَأَعَزِّ مَنِ اتَّخَذْتَهُ مُقَرَّباً وَلِيّاً الَّذِي قَالَ:

«إِنَّ حَوْلَ الكَعْبَةِ مِنْ قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ (77) ثَلَاثُمِائَةِ قَبْرٍ وَإِنَّ بَيْنَ الرُّكْنِ اليَمَانِيِّ وَالرُّكْنِ الأَسْوَدِ لَقُبُورَ سَبْعِينَ نَبِيّاً».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ تَحِنُّ النُّفُوسُ الشَّائِقَةُ إِلَيْهِ وَأَحَبِّ مَنْ تَرْغَبُ القُلُوبُ المُحِبَّةُ فِي نَوَالِهِ وَتَطْمَعُ فِي مَا لَدَيْهِ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ:

«إِنَّ الكَعْبَةَ مَحْفُوفَةٌ بِسَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ المَلَائِكَةِ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ طَافَ بِهَا وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ أَحِبَّائِكَ الهُدَاةِ المُهْتَدِينَ وَإِمَامِ أَوْلِيَائِكَ الدَّالِّينَ عَلَيْكَ المُرْشِدِينَ الَّذِي قَالَ:

«أَسَّسَ اللهُ تَعَالَى هَذَا البَيْتَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِ أُمَّتِي».

فَقَالَ لَهُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذَا الحَجَرُ الأَسْوَدُ قَالَ:

«تِلْكَ جَوْهَرَةٌ كَانَتْ فِي الجَنَّةِ أَهْبَطَهَا اللهُ تَعَالَى إِلَى الدُّنْيَا وَلَهَا شُعَاعٌ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ إِشْتَدَّ سَوَادُهَا وَتَغَيَّرَ لَوْنُهَا مِمَّا مَسَّهَا مِنْ أَيْدِي المُشْرِكِينَ».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَهْفِ اللَّائِذِ وَالمُعْتَصِمِ وَكَعْبَةِ الطَّائِفِ وَالمُسْتَلِمِ (78) الَّذِي قَالَ:

«مَا أَتَيْتُ الرُّكْنَ اليَمَانِيَ قَطُّ إِلَّا وَجَدْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَهُ يَقُولُ لِي يَا مُحَمَّدُ اسْتَلِمْ».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ قُدْوَةِ كُلِّ نَبِيٍّ وَصَفِيٍّ وَسَيِّدِ كُلِّ مُقَرَّبٍ وَوَلِيٍّ الَّذِي قَالَ:

«مَا أَتَيْتُ الرُّكْنَ اليَمَانِيَ قَطُّ إِلَّا وَجَدْتُ عِنْدَهُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا وَاجِدُ يَا مَاجِدُ لَا تَسْلُبْنِي نِعْمَةً أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ تِرْيَاقِ العِلَاجِ وِالشِّفَاءِ وَخَيْرِ مَنْ خَصَّصْتَهُ بِالقُرْبِ مِنْكَ وَكَمَالِ الإِصْطِفَاءِ الَّذِي قَالَ:

«الرُّكْنُ يَمِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ يُصَافِحُ بِهَا عِبَادَهُ كَمَا يُصَافِحُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ وَإِنَّ الرُّكْنَ وَالمَقَامَ يَأْتِيَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِثْلَ أَبِي قُبَيْسٍ لَهُمَا عَيْنَانِ وَشَفَتَانِ يَشْهَدَانِ لِمَنْ رَآهُمَا بِالوَفَاءِ».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ مَحَلِّ الإِيمَانِ وَالصِّدْقِ وَلِسَانِ الوَحْيِ المُعْلِنِ الحَقِّ بِالحَقِّ الَّذِي قَالَ فِي فَضْلِ الحَجَرِ الأَسْعَدِ:

«وَاللهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ لِمَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ». (79)

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ غَوْثِ الأُمَّةِ وَسَيْفِ نُصْرَتِهَا وَمُفَرِّجِ كُرَبِهَا وَمُزِيلِ حَسْرَتِهَا الَّذِي قَالَ فِي فَضْلِ زِيَارَةِ الكَعْبَةِ:

«وَقَفَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَعَلَيْهِ عِصَابَةٌ خَضْرَاءُ قَدْ عَلاَهَا الغُبَارُ فَقُلْتُ: مَا هَذَا الغُبَارُ الَّذِي عَلَى عِصَابَتِكَ أَيُّهَا الرُّوحُ الأَمِينُ قَالَ: إِنَّ المَلاَئِكَةَ أُمِرُوا بِزِيَارَةِ هَذَا البَيْتِ فَازْدَحَمَتْ عَلَى الرُّكْنِ فَهَذَا الغُبَارُ الَّذِي تَرَى مَا تُثِيرُ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ بَحَثَ عَنْ أَحْكَامِ المِلَّةِ الحَنِيفِيَّةِ وَفَحَصَ وَأَفْضَلِ مَنْ وَلَّى دِينُ الكُفْرِ حِينَ رَآهُ مُدْبِراً عَلَى عَقِبَيْهِ وَنَكَصَ الَّذِي قَالَ فِي فَضْلِ الحَجَرِ الأَسْعَدِ وَالمَقَامِ الرَّفِيعِ:

«إِنَّ الحَجَرَ الأَسْعَدَ وَالمَقَامَ يَقُوتَتَانِ مِنْ يَوَاقِيتِ الجَنَّةِ طَمَسَ اللهُ نُورَهُمَا وَلَوْلاَ أَنَّ اللهَ طَمَسَ نُورَهُمَا لأَضَاءَ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ».

وَفِي رِوَايَةٍ زَادَ

«الإِبْرَاءِ مَنِ اسْتَلَمَهَا مِنَ الجُذَامِ وَالخَرَسِ وَالبَرَصِ».

فَيَالَهُ مِنْ حَجَرٍ لَهُ مَرْأَى بَدِيعٌ رَائِقٌ وَرَوْنَقٌ صَقِيلٌ فَائِقٌ يَبْهَرُ بِجَمَالِهِ الأَبْصَارَ حُسْناً (80) وَيُمِيلُ قَلْبَ النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ حِسّاً وَمَعْنًى، وَفِي وَسَطِهِ مِمَّا يَلِي جَانِبَهُ الَّذِي عَلَى يَمِينِ المُسْتَلِمِ لَهُ إِذَا وَقَفَ نُقْطَةٌ بَيْضَاءُ صَغِيرَةٌ مُشْرِقَةٌ، كَأَنَّهَا خَالٌ فِي تِلْكَ الصَّفْحَةِ المُبَارَكَةِ المُونِقَةِ، وَفِي هَذِهِ الشَّامَةِ البَيْضَاءِ أَثَرٌ يُنْبِئُ أَنَّ النَّظَرَ إِلَيْهَا يَجْلُو البَصَرَ، فَيَجِبُ عَلَى المُقَبِّلِ أَنْ يَقْصِدَ بِتَقْبِيلِهِ مَوْضِعَ الشَّامَةِ

المَذْكُورةِ مَا اسْتَطاعَ وَلِلْحَجرِ عِنْدَ تَقْبيلِهِ لُيُونَةٌ وَرُطُوبَةٌ يَتَنَعَّمُ بِهَا الفَمُ حَتَّى يَوَدُّ اللاَّثِمُ أَنْ لا يُقْلِعَ عَنْهُ فَلَهُوَ أَعْذَبُ مِنْ إرْتِشَافِ الرُّضَابِ، وَأَرْمَى مِنْ سَهْمِ العُرُبِ الأَتْرَابِ، وَتِلْكَ مِنْ خَوَاصِّ العِنَايَةِ الإلَهِيَّةِ فِيهِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مَوْلانَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

«أُنْزِلَ الحَجَرُ مِنَ الجَنَّةِ أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَني آدَمَ».

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلاةً تَغْفِرُ بِهَا مَا تَأَخَّرَ مِنْ ذُنُوبِنَا أَوْ تَقَادَمَ وَتَدْفَعُ بِهَا عَنَّا مِنْ عَوَارِضِ الفِتَنِ الوَقْتِيَّةِ مَا تَوَالَى سَحَابُهُ وَتَرَاكَمَ، بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَارَبَّ العَالَمِينَ.

فَيَا أَيْنَ أَيَّامٍ تَوَالَتْ عَلَى الحِمَا ❖ وَلَيْلٍ مَعَ العُشَّاقِ فِيهِ سَهِرْنَاهُ

وَنَحْنُ لِجِيرَانِ المُحَصَّبِ جِيرَةٌ ❖ نُوَفِّي لَهُمْ حُسْنَ الوِدَادِ وَنَرْعَاهُ (81)

فَهَاتِيكَ أَيَّامُ الحَيَاةِ وَغَيْرُهَا ❖ مَمَاةٌ فَيَالَيْتَ النَّوَى مَا شَهِدْنَاهُ

وَيَا لَيْتَ عَنَّا أَغْمَضَ الدَّهْرُ طَرْفَهُ ❖ وَيَالَيْتَ وَقْتاً لِلْفِرَاقِ فَقَدْنَاهُ

وَتَرْجِعُ أَيَّامُ المُحَصَّبِ مِنْ مِنىً ❖ وَيَبْدُو ثَرَاهُ لِلْعُيُونِ وَحَصْبَاهُ

وَيَسْرَحُ فِيهِ العِيسُ مِنْ ثُمَامِهِ ❖ وَتَسْتَنْشِقُ الأَرْوَاحُ طِيبَ خُزَامَاهُ

فَشُدُّوا مَطَايَانَا إلَى الرَّبْعِ ثَانِياً ❖ فَإِنَّ الهَوَى عَنْ رَبْعِهِمْ مَا ثَنَيْنَاهُ

فَفِي رَبْعِهِمْ لِلَّهِ بَيْتٌ مُبَارَكٌ ❖ إلَيْهِ قُلُوبُ النَّاسِ تَهْوِي وَتَهْوَاهُ

يَطُوفُ بِهِ الجَانِي فَيُغْفَرُ ذَنْبُهُ ❖ وَيَسْقُطُ عَنْهُ إثْمُهُ وَخَطَايَاهُ

وَكَمْ لَذَّةً كَمْ فَرْحَةً لِطَوَافِهِ ❖ فَلِلَّهِ مَا أَحْلَى الطَّوَافَ وَأَهْنَاهُ

نَطُوفُ كَأَنَّا بِالجِنَانِ نَطُوفُهَا ❖ وَلا هَمَّ لا غَمَّ جَمِيعاً نَفَيْنَاهُ

فَيَا شَوْقاً نَحْوَ الطَّوَافِ وَطِيبَةَ ❖ فَذَلِكَ طِيبٌ لا يُعَبَّرُ مَعْنَاهُ

فَمَنْ لَمْ يَذُقْهُ لَمْ يَذُقْ قَطُّ لَذَّةً ❖ فَذُقْهُ تَذُقْ يَا صَاحِ مَا نَحْنُ ذُقْنَاهُ

تَرَى رَجْعَةً أَوْ عَوْدَةً لِطَوَافِنَا ❖ وَذَاكَ الحِمَى قَبْلَ المَنِيَّةِ نَغْشَاهُ

فَوَاللَّهِ لا نَنْعَى الحِمَى فَقُلُوبُنَا ❖ هُنَاكَ تَرَكْنَاهَا فَيَا كَيْفَ نَنْسَاهُ

وَوَاللَّهِ لا نَنْسَى زَمَانَ مَسِيرِنَا ❖ إلَيْهِ وَكُلُّ الرَّكْبِ يَلْتَذُّ مَسْرَاهُ

وَقَدْ نُسِيَتْ أَوْلادُنَا وَنِسَاؤُنَا ❖ وَإِخْوَانُنَا وَالقَلْبُ عَنْهُمْ شَغَلْنَاهُ

تَرَاءَتْ لَنَا أَعْلامُ وَصْلٍ عَلَى اللِّوَا ❖ فَمِنْ ثَمَّ أَمْسَى القَلْبُ عَنْهُمْ لَوَيْنَاهُ

جَعَلْنَا إلاهَ العَرْش نَصبَ عُيُونِنَا	❖	وَمِنْ دُونَهُ خَلفَ الظُّهُور نَبَدْنَاهُ
وَسِرْنَا نَشُقُّ البِيدَا لِلْبَلَـدِ الَّذِي	❖	بِجُهْدٍ وَشَقٍّ لِلنُّفُوس بَلَغْنَـــاهُ
رِجَالاً وَرُكْبَاناً عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ	❖	وَمِنْ كُلِّ فَجٍّ مُقْفِرٍ قَدْ أَتَيْنَـــاهُ
نَخُوضُ إِلَيْهِ البَحْرَ وَالبَرَّ وَالدُّجَا	❖	وَلاَ مَقْطَعَ إِلاَّ إِلَيْــــهِ قَطَعْنَاهُ
وَنَطْوِي الفَلاَ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ لِلِّقَا	❖	فَيُمْسِيالفَلاَ يَحْكِي السِّجِّلَ طَوَيْنَاهُ
وَلاَ صِرْنَا عَنْ قَصْدِنَا فَقْدَ أَهْلِنَا	❖	وَلاَ هَجْرَ جَارٍ أَوْ حَبِيبٍ أَلِفْنَاهُ (82)
وَأَمْوَالُـــــنَا مَبْذُولَةٌ وَنُفُوسُنَا	❖	وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنْهُـمَا فَمَنَعْنَاهُ
عَرَفْنَا الَّذِي نَبْغِي وَنَطْلُبُ فَضْلَهُ	❖	فَهَانَ عَلَيْنَا كُلُّ شَـــيْءٍ بَذَلْنَاهُ
وَلَوْ قِيلَ إِنَّ النَّارَ دُونَ مَزَارِكُمْ	❖	دَفَعْنَا إِلَيْهَا وَالعَـــذُولَ دَفَعْنَاهُ
تَرَادَفَتِ الأَشْوَاقُ وَاضْطَرَمَ الحَشَا	❖	فَمَنْ ذَا لَهُ صَبْرٌ وَتَضَرُّمٌ أَحْشَاهُ
وَأَسْرَى بِنَا الحَادِي وَأَمْعَنَ فِي السُّرَى	❖	وَوَلَّى الكَرَى نَوْمَ الجُفُونِ نَفَيْنَاهُ
نَحُجُّ لِبَيْتٍ حَجَّهُ الرُّسْـلُ قَبْلَنَا	❖	لِنَشْهَدَ نَفْعاً فِي الكِتَابِ وُعِـدْنَاهُ
دَعَـــانَا إِلَيْهِ اللهُ عِنْدَ بِنَائِهِ	❖	فَقُلْنَا لَهُ لَبَّيْكَ دَاعٍ أَجَبْنَـــاهُ
وَمَازَالَ وَفْــدُ اللهِ يَقْصِدُ مَكَّــةَ	❖	إِلَى أَنْ بَـدَا البَيْتُ العَتِيقُ وَرُكْنَاهُ
فَضَجَّتْ ضُيُوفُ اللهِ بِالذِّكْرِ وَالدُّعَا	❖	وَكَبَّــرَتِ الحُجَّاجُ حِينَ رَأَيْنَاهُ
وَقَدْ كَادَتِ الأَرْوَاحُ تَزْهَقُ فَرْحَةً	❖	لِمَا نَحْنُ مِنْ عِظَمِ السُّرُورِ وَجَدْنَاهُ
وَطُفْنَا بِهِ سَبْعاً رَمَلْنَا ثَلاثَـــةً	❖	وَأَرْبَعَةً مَشْياً كَمَا قَدْ أُمِــرْنَاهُ
كَذَلِكَ طَافَ الهَاشِمِيُّ مُحَمَّدٌ	❖	طَوَافَ قُـدُومٍ مِثْلَ مَا طَافَ طُفْنَاهُ
وَسَالَتْ دُمُوعٌ مِنْ غَمَامِ جُفُونِنَا	❖	عَلَى مَا مَضَى مِنْ إِثْمِ ذَنْبٍ كَسَبْنَاهُ
وَنَحْنُ ضُيُوفُ اللهِ جِئْـنَا لِبَيْتِهِ	❖	نُرِيدُ القِرَى وَنَبْغِي مِنَ اللهِ حُسْنَاهُ
فَـنَادَى بِنَا أَهْلاً ضُيُوفِي تَبَشَّرُا	❖	وَقَرُّوا عُيُوناً فَالحَجِيجُ أَضَفْنَاهُ
فَأَيُّ قِرىً يَعْلُو قِرَانَا لِضَيْفِـنَا	❖	وَأَيُّ ثَـــوَابٍ فَوْقَ مَا قَدْ أَثَبْنَاهُ
فَطِيبُوا وَسُرُّوا وَافْرَحُوا وَتَبَاشَرُوا	❖	وَتِيهُوا وَهِيمُـوا بَابُنَا قَدْ فَتَحْنَاهُ
وَلاَ ذَنْبَ إِلاَّ قَدْ غَفَــرْنَاهُ مِنْكُمْ	❖	وَمَا كَانَ مِنْ عَيْبٍ عَلَيْكُمْ سَتَرْنَاهُ
وَيَوْمَ مِنىً سِرْنَا إِلَى الجَبَلِ الَّذِي	❖	مِنَ البُعْدِ قَدْ جِئْنَا لِمَا قَدْ جَنَيْنَاهُ
فَلاَ حَجَّ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ بِأَرْضِــهِ	❖	وَفَوْقَ وَهَذَا فِي الصَّحِيحِ رَوَيْنَاهُ
إِلَيْهِ ابْتَــدَرْنَا قَاصِدِينَ إِلاَهَنَا	❖	وَلَوْلاَهُ مَا كَانَ الحِجَازُ سَلَكْنَاهُ

وَبِتْنَا بِأَقْطَارِ المُحَصَّبِ مِنْ مِنىً ❖ فَيَا طِيبَ لَيْلٍ بِالمُحَصَّبِ بِتْنَاهُ (83)
وَسِرْنَا إِلَيْهِ طَالِبِينَ وُقُوفَنَا ❖ عَلَيْهِ وَمِنْ كُلِّ الوُجُوهِ أَمَّمْنَاهُ
عَلَى عَلَمَيْهِ لِلْوُقُوفِ جَلالَةٌ ❖ فَلازَالَتَا تَحْمِي وَتَحْرُسُ أَرْجَاهُ
وَبَيْنَهُمَا جَرْياً إِلَيْهِ بِزَحْمَةٍ ❖ فَيَا طِيبَهَا لَيْتَ الزِّحَامَ رَفَعْنَاهُ
وَلَمَّا رَأَيْنَاهُ تَعَلَّى عَجِيجُنَا ❖ نُلَبِّي وَبِالتَّهْلِيلِ مِنَّا مَلأْنَاهُ
وَفِيهِ نَزَلْنَا بُكْرَةً بِذُنُوبِنَا ❖ وَمَا هُوَ مِنْ ثِقْلِ المَعَاصِي حَمَلْنَاهُ
وَبَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ كَانَ وُقُوفُنَا ❖ إِلَى اللَّيْلِ نَبْكِي وَالدُّعَا قَدْ أَطَلْنَاهُ
عَلَى عَرَفَاتٍ قَدْ وَقَفْنَا بِمَوْقِفٍ ❖ بِهِ الذَّنْبُ مَغْفُورٌ وَفِيهِ مَحَوْنَاهُ
وَقَدْ أَقْبَلَ البَارِي عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ❖ وَقَالَ أَبْشِرُوا فَالعَفْوُ فِيكُمْ نَشَرْنَاهُ
وَعَنْكُمْ ضَمِنَّا كُلَّ تَابِعَةٍ جَرَتْ ❖ عَلَيْكُمْ وَأَمَّا حَقُّنَا قَدْ وَهَبْنَاهُ
أَقَلْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا قَدْ جَنَيْتُمُوا ❖ وَمَنْ كَانَ ذَا عُذْرٍ إِلَيْنَا عَذَرْنَاهُ
يَرَى مَوْقِفاً فِيهِ الخَزَائِنُ فُتِحَتْ ❖ وَوَالَى عَلَيْنَا اللهُ مِنْهُ عَطَايَاهُ
وَدَارَتْ عَلَيْنَا الكَأْسُ بِالوَصْلِ وَالرِّضَا ❖ سَقَتْنَا شَرَاباً مِثْلَهُ مَا سُقِينَاهُ

فَإِنْ شِئْتَ تُسْقَى مَا سُقِينَا عَلَى الحِمَى فَخَلِّ أَلْوَاناً وَاقْصِدْ مَحَلاًّ حَلَلْنَاهُ

فَظَلَّ حَجِيجُ اللهِ لِلَيْلِ وَاقِفاً ❖ وَقِيلَ انْفِرُوا فَالكُلُّ مِنْكُمْ قَبِلْنَاهُ
أَفِيضُوا وَأَنْتُمْ حَامِدُونَ إِلَاهَكُمْ ❖ إِلَى مَشْعَرٍ جَاءَ الكِتَابُ بِذِكْرَاهُ
وَسِيرُوا إِلَيْهِ وَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَهُ ❖ فَسِرْنَا وَمِنْ بَعْدِ العِشَاءِ نَزَلْنَاهُ
وَفِيهِ جَمَعْنَا مَغْرِباً لِعِشَائِنَا ❖ يَرَى عَائِدٌ جَمْعاً بِجَمْعٍ جَمَعْنَاهُ
وَبِتْنَا بِهِ مِنْهُ التَقَطْنَا جِمَارَنَا ❖ وَرَبّاً ذَكَرْنَاهُ عَلَى مَا هَدَانَاهُ
وَمِنْهُ فِضْنَا جِئْتَ مَا النَّاسُ قَبْلَنَا ❖ أَفَاضُوا وَغُفْرَانَ الإِلَهِ طَلَبْنَاهُ
وَنَحْوَ مِنىً قِلْنَا بِهَا كَانَ عِيدُنَا ❖ وَنِلْنَا بِهَا مَا القَلْبُ كَانَ تَمَنَّاهُ
فَمَنْ مِنْكُمْ بِاللهِ عَيَّدَ عِيدَنَا ❖ فَعِيدُ مِنىً رَبُّ البَرِيَّةِ أَعْلاهُ
وَفِيهَا رَمَيْنَا لِلْعُفَاةِ حِجَارَنَا ❖ وَلا جُرْمَ إِلاَّ مَعْ جِمَارٍ رَمَيْنَاهُ (84)
وَبِالخَيْفِ أَعْطَانَا الإِلَهُ أَمَانَنَا ❖ وَأَذْهَبَ عَنَّا كُلَّ مَا حَنَّ خِفْنَاهُ
وَرَدَتْ إِلَى البَيْتِ الحَرَامِ وُفُودُنَا ❖ وَجِئْنَا لَهَا كَالطَّيْرِ حَنَّ لِمَأْوَاهُ
وَطُفْنَا طَوَافاً لِلإِفَاضَةِ حَوْلَهُ ❖ وَلُذْنَا بِهِ بَعْدَ الجِمَارِ وَلُذْنَاهُ
وَمِنْ بَعْدِمَا زُرْنَا دَخَلْنَاهُ دَخْلَةً ❖ كَأَنَّا دَخَلْنَا الخُلْدَ حِينَ دَخَلْنَاهُ

وَنِلْنا أَمَـــانَ اللهِ عِنْدَ دُخُولِهِ ❖ كَمَا أَخْبَرَ القُرْآنُ فِيما قَرَأْنَاهُ
فَيَا مَنْزِلاً قَدْ كَانَ أَبْرَكَ مَنْزِل ❖ نَزَلْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَبَيْتِ وَطِئْنَـاهُ
تُرَى حَجَّةٌ أُخْرَى إِلَيْكَ وَدَخْلَةٌ ❖ وَذَاكَ عَلَى رَبِّ العُلا نَتَمَنَّـــاهُ
فَإِخْوَانُنَا مَا كَانَ أَجْلَى دُخُولَنَا ❖ إِلَيهِ وَلَبْثاً فِي حِمَـــالُ لَبِثْنَاهُ
فَإِخْوَانُنَا أَوْحَشْتُمُـونَا هُنَا لَكُمْ ❖ فَيَا لَيْتَكُمْ مَعَنَا وَإِنَّا حَفِظْنَـــاهُ
وَبِالحَجَرِ المَيْمُونِ لُـــذْنَا فَإِنَّـهُ ❖ لَرَبُّ السَّمَا فِي الأَرْضِ نِلْتُمْ يُمْنَاهُ
نُقَبِّلُــــــهُ مِــنْ حُبِّنَا لِإِلَاهِـنَا ❖ فَكَمْ لَثْمَةٍ طَيِّ الطَّوَافِ لَثَمْنَـاهُ
عَلَى لَثْمِهِ لِلشُّعْثِ وَالغُبْرِ رَحْمَةٌ ❖ فَكَمْ أَشْعَثَ كَمْ أَغْبَرَ رَحِمْـنَاهُ
وَذَاكَ لَنَا يَـــوْمَ القِيَامَةِ شَاهِدٌ ❖ وَفِيهِ لَنَا عَهْدٌ قَدِيمٌ عَهِـــدْنَاهُ
وَنَسْتَلِمُ الرُّكْنَ اليَمَانِيَ طَاعَةً ❖ وَنَسْتَغْفِرُ المَوْلَى إِذَا مَـــا لَثَمْنَاهُ
وَمُلْتَزَمٌ فِيـــهِ إِلْتَزَمْنَا لِذَنْبِنَا ❖ عُهُوداً وَعَفْوُ اللهِ فِيــــهِ لَزِمْنَاهُ
وَكَمْ مَوْقِفٍ فِيهِ يُجَابُ لَنَا الدُّعَا ❖ دَعَوْنَا بِهِ وَالقَصْـــدُ فِيهِ نَوَيْنَاهُ
وَصَلَّى بِأَرْكَانِ المَقَامِ حَجِيجُنَا ❖ وَفِي زَمْزَمَ مَاءٌ طَهُـــورٌ وَرَدْنَاهُ
وَفِيهِ الشِّفَا فِيهِ بُلُـــوغُ مُرَادِنَا ❖ لِمَا نَحْنُ نَنْوِيـــهِ إِذَا مَا شَرِبْنَاهُ
وَبَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ الحَاجُّ قَدْ سَعَى ❖ فَإِنَّ تَمَـــامَ الحَجِّ تَكْمِيلُ مَسْعَاهُ
وَبَيْنَ حَجِيجِ اللهِ بِالبَيْتِ مُحْدِقٌ ❖ وَرَحْمَةُ رَبِّ العَرْشِ تَدْنُو وَتَغْشَاهُ
تَدَاعَتْ رِفَاقٌ بِالرَّحِيلِ فَمَا تَرَى ❖ سِوَى دَمْـعِ عَيْنٍ بِالدِّمَاءِ مَزَجْنَاهُ
لِفُرْقَةِ بَيْتِ اللهِ وَالحَجَـرِ الَّذِي ❖ لِأَجْلِهَا شَاقَ الأُمُورُ شَقَقْنَاهُ (85)
وَوَدَّعَتِ الحُجَّاجُ بَيْتَ إِلَاهِـــنَا ❖ وَكُلُّهُمْ تَجْرِي مِنَ الحُزْنِ عَيْنَاهُ
فَلِلَّهِ كَمْ بَاكٍ وَصَاحِبِ حَسْرَةٍ ❖ يَـــــوَدُّ بِأَنَّ اللهَ كَانَ تَوَفَّاهُ
وَلَا يَشْهَدُ التَّوْدِيعَ يَوْماً لِبَيْتِـهِ ❖ وَإِنَّ فِـــرَاقَ البَيْتِ مُرّاً وَجَدْنَاهُ
فَمَا فُــــرْقَةٌ إِلَّا وَبِاللهِ إِنَّـــهُ ❖ أَمَــرَّ وَأَدْهَى ذَاكَ شَيْءٌ خَبَرْنَاهُ
وَوَاللهِ لَـــوْلَا أَنْ أُؤَمِّـلَ عَوْدَةً ❖ لَذُقْنَـا طَعَامَ المَوْتِ حِينَ فَجَعْنَاهُ
وَمِنْ بَعْدِ مَا لَهُفْنَا طَوَافَ وَدَاعِنَا ❖ رَحَلْنَا إِلَى قَبْرِ الحَبِيبِ وَمَغْنَاهُ

رُجُوعٌ وَانْعِطَافٌ، وَنَسِيمُ رِيَاضٍ وَجَنْيُ زُهُورٍ وَاقْتِطَافٌ، وَحَجٌّ وَعُمْرَةٌ وَسَعْيٌ وَطَوَافٌ، وَشَوْقٌ إِلَى البَيْتِ الحَرَامِ وَوَجْدٌ وَهُيَامٌ وَمَحَبَّةٌ وَاسْتِعْطَافٌ، وَبُكَاءٌ وَتَضَرُّعٌ وَوُقُوفٌ بِعَرَفَةَ الخَيْرِ وَابْتِهَالٌ وَخُضُوعٌ وَإِنْصَافٌ، وَتَذَلُّلٌ بَيْنَ يَدَيِّ المَوْلَى المَلِكِ

وَطَلَبُ العَفْوِ وَالمَغْفِرَةِ بِلِسَانِ الخُشُوعِ وَالإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ وَالإِعْتِرَافِ، وَسَحَائِبُ رَحَمَاتٍ تَهْطِلُ عَلَى حُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ الجَامِعِ لِأَشْتَاتِ المَحَاسِنِ وَالأَوْصَافِ،

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بُغْيَةِ أَهْلِ الأُنْسِ وَالإِدْلَالِ، وَقُطْبِ السِّيَادَةِ الكَامِلِ المَزَايَا وَالخِصَالِ، وَبَحْرِ المَجَادَةِ المُفَضَّلِ عَلَى الأَوْلِيَاءِ وَالأَصْفِيَاءِ (86) وَسَائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَالأَرْسَالِ، صَلَاةً تُشَوِّقُ الأَرْوَاحَ إِلَى الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ وَمَعَالِمِهَا المَحْفُوفَةِ بِالرِّضَا وَالرِّضْوَانِ وَالسُّرُورِ وَالإِقْبَالِ، وَأَمَاكِنِهَا المَحْفُوظَةِ مِنَ الطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ وَالجُوعِ وَالهَلَعِ وَالخَسْفِ وَالمَسْخِ وَدُخُولِ الدَّجَّالِ، وَبِقَاعِهَا الَّتِي تُجْبَى إِلَيْهَا الأَرْزَاقُ مِنَ الأَقْطَارِ النَّائِيَّةِ وَلَا يَطْرَأُ عَلَيْهَا نَقْصٌ وَلَا زَوَالٌ، وَدُورِهَا المَحْرُوسَةِ مِنَ الحَوَادِثِ الدَّهْرِيَّةِ وَسَطْوَةِ أَهْلِ البَغْيِ وَالزَّيْغِ وَالضَّلَالِ، وَبُيُوتِهَا وَشَوَارِعِهَا وَأَرْجَاؤُهَا المَلْحُوظَةُ بِعَيْنِ التَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ، وَبُنْيَانِهَا وَأُطُمِهَا وَعَرَصَاتِهَا المَأْمُونَةُ مِنَ الأُمُورِ المُفْظِعَةِ وَالزَّلَازِلِ وَالأَهْوَالِ، وَذَلِكَ بِسُؤَالِ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهَا بِقَوْلِهِ المَحْكِيِّ فِي كَلَامِ ذِي العِزَّةِ وَالجَلَالِ،

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾،

وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ مَوْطِنَ أَمْنٍ وَأَمَانٍ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ إِلَى يَوْمِ الحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَالعَرْضِ وَالسُّؤَالِ، وَقَدْ قَالَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:

«وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ وَلَوْلَا إِنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»،

فَسُبْحَانَ (87) مَوْلَانَا الكَبِيرِ المُتَعَالِ، ذِي الجُودِ وَالكَرَمِ وَالإِفْضَالِ الدَّائِمِ، البَاقِي

مُلْكُهُ بلاَ زَوالٍ، يُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيَضَعُ وَيَرْفَعُ، وَبِيَدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَلاَ رَادَّ لِمَا قَضَاهُ مِنَ الْمُقَامِ وَالتِّرْحَالِ، وَلاَ مَانِعَ لِمَا مَنَحَهُ لِحَبِيبِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَتْحِهَا وَالنَّصْرِ عَلَى أَهْلِهَا وَالطَّوَافِ بِكَعْبَتِهَا تَنْزِلُ الرَّحَمَاتُ عَلَيْهَا بِالبُكُورِ وَالآصَالِ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ عُقُودِ اللآلِ، وَصَحَابَتِهِ السَّرَاةِ الأَبْطَالِ، صَلاَةً تَمُنُّ بِهَا عَلَيْنَا بِحَجِّ بَيْتِكَ الْمَلْحُوظِ بِعَيْنِ التَّعْظِيمِ وَالإِجْلاَلِ، وَتَجْعَلُنَا بِهَا مِمَّنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ الخَيْرِ وَحَلَقَ وَلَبَّى وَطَافَ وَسَعَى وَزَارَ قَبْرَ نَبِيِّكَ قَبْلَ نُزُولِ القَبْرِ وَحُلُولِ الآجَالِ، بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَارَبَّ العَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَحْمَةِ السُّؤَّالِ وَالعِيَالِ، وَعَيْنِ أَعْيَانِ أَهْلِ الخُصُوصِيَّةِ وَالكَمَالِ، وَلِسَانِ الحَقِّ الصَّادِقِ اللَّهْجَةِ وَالمَقَالِ، صَلاَةً تُشَوِّقُ الأَرْوَاحَ إِلَى الطَّوَافِ بِالكَعْبَةِ البَارِعَةِ الحُسْنِ وَالجَمَالِ، الَّتِي لَمَّا هَاجَرَ مِنْهَا حَبِيبُكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَى المَرْوَةِ وَقَالَ:

«قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ وَلَوْلاَ أَنَّ أَهْلَكِ (88) أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ».

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ أَتَاهُ الأَنْصَارُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى الصَّفَا وَجَلَسُوا حَوْلَهُ فَجَعَلَ يُقَلِّبُ بَصَرَهُ فِي نَوَاحِيهَا وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا وَيَقُولُ:

«وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ أَحَبُّ البِلاَدِ إِلَى اللهِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ».

وَقَالَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ:

«إِنَّ هَذَا البَلَدَ حَرَمٌ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَا أُحِلَّ لأَحَدٍ فِيهِ القَتْلُ غَيْرِي وَلاَ يَحِلُّ لأَحَدٍ بَعْدِي فِيهِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَهُ وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ وَلاَ تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهُ إِلاَّ لِمُعَرِّفٍ».

فَقَالَ العَبَّاسُ: وَكَانَ مِنْ أَهلِ البَلَدِ وَقَدْ عَلِمَ الَّذِي لاَبُدَّ لَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ الإِذْخِرَ: يَا رَسُولَ اللّهِ فَإِنَّهُ لاَبُدَّ لَهُمْ مِنْهُ فَإِنَّهُ لِلقُبُورِ وَالبُيُوتِ فقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِلاَّ الإِذْخِرُ».

اللّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ حَسَنَاتِ الأَيَّامِ وَاللَّيَالِي وَعَزِيزِ العَشِيرَةِ وَالصَّحْبِ وَالآلِ وَسَيْفِ الحَقِّ القَاطِعِ بِحُجَجِهِ ظُهُورَ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالظَّلاَلِ صَلاَةً تُشَوِّقُ الأَرْوَاحَ (89) إِلَى حَجِّ كَعْبَتِكَ المَحْفُوفَةِ بِالتَّعْظِيمِ وَالإِجْلاَلِ وَمَقَامِهَا المُحْتَرَمِ المُعَظَّمِ بِتَعْظِيمِ ذِي العِزَّةِ وَالجَلاَلِ وَبَيْتِهَا الشَّرِيفِ العَدِيمِ النَّظِيرِ وَالمِثَالِ الَّذِي قُلْتَ فِيهِ،

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾،

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَهَا حَرَماً آمِناً تُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ سَائِرِ الأَقْطَارِ النَّائِيَّةِ وَالقُرَى وَالأَمْصَارِ وَجَزَائِنِ البِحَارِ وَالتُّلُولِ وَقُنَنِ الجِبَالِ وَأَمَّنَ سَاكِنَهَا مِنَ الحَوَادِثِ الدَّهْرِيَّةِ وَحَرَّمَ فِيهَا القِتَالَ وَفَضَّلَهَا عَلَى سَائِرِ البِلاَدِ وَجَعَلَهَا مَسْكَنَ الصُّلَحَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ وَالأَنْبِيَاءِ وَالأَجْرَاسِ وَالأَقْطَابِ وَالأَبْدَالِ وَسَمَّاهَا بِأَسْمَاءٍ جَلِيلَةٍ وَأَتْحَفَهَا بِتُحَفٍ حَفِيلَةٍ فَصَارَتْ قِبْلَةَ الصَّلاَةِ وَالصِّلاَتِ وَمَحَلَّ التَّضَرُّعِ وَالإِبْتِهَالِ وَأَخْدَمَهَا خُدَّامُ الحُجُبِ وَالسُّرَادِقَاتِ وَقَابَلَهَا بِخَطِّ الإِسْتِوَاءِ وَنُقْطَةِ الإِعْتِدَالِ وَكَسَاهَا مَلاَبِسَ الحُسْنِ وَالبَهَاءِ وَالكَمَالِ وَشَرَّفَهَا بِبِعْثَةِ خَاتِمِ الأَنْبِيَاءِ (90) وَسَيِّدِ الأَرْسَالِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهَا مِنْ نُورِ سِرِّهِ الأَقْدَسِ، وَبَهَاءِ جَمَالِهِ الأَنْفَسِ، مَا افْتَخَرَتْ بِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ لَهُ حُسْنٌ وَكَمَالٌ، وَبَهَاءٌ وَجَمَالٌ، فَيَا لَهَا مِنْ كَعْبَةٍ كَثِيرَةِ التَّعْظِيمِ وَالإِجْلاَلِ، مَحْفُوفَةٍ بِالفَتْحِ وَالسُّرُورِ وَالإِقْبَالِ، يُزْرِي حُسْنُهَا بِحُسْنِ رَبَّاتِ الخُدُورِ وَالتَّكَالِيلِ وَالحِجَالِ، وَيُنْسِي ذِكْرُهَا ذِكْرَ العَامِرِيَّةِ وَبُثَيْنَةَ وَسُعْدَى وَعَزَّةَ وَيُلْغِي بَهَاؤُهَا بَهَاءَهُنَّ فِي مَنْزِلَةِ الطَّرْحِ وَزَوَايَا الإِهْمَالِ، وَتَقُولُ فِي مُفَاخَرَتِهَا بِلِسَانِ الحَالِ، طُوبَى لِمَنْ زَارَنِي بِكَمَالِ الإِخْلاَصِ وَصِدْقِ النِّيَّةِ وَصَلاَحِ الحَالِ، وَهَزَّ أَسْتَارِي وَقَبَّلَ مِنِّي المِعْصَمَ وَالسِّوَارَ وَالخَلْخَالَ،

وَطلَب ببَابي العفْوَ وَالمَغْفِرَة وَالتَّجاوُز عمَّا جَناهُ مِنَ المَوْلَى الكَبير المُتَعال، أنَا مُنْتَهى الآمَال، أنَا خُلاصَةُ الأعْمَال، أنَا فاتِحَةُ الأقْفَال، أنَا مُصلحَةُ الأحْوَال، أنَا مُفيضَةُ الخيْر علَى العُفاة وَالأغْنِيَاءِ وَالفُقرَاءِ وَالسُوَّال، أنَا ذاتُ الخَال، أنَا سَيِّدَةُ الأحْرَار وَالمَوَال، أنَا جُمْلَةُ الجمَال، أنَا خِلْعَةُ الوَفاءِ وَالكَمَال أنَا مَوْهِبَةُ ذي العِزَّة وَالجلال، أنَا قُرَّةُ أعيُنِ (91) الشُّيُوخ وَالكُهُول وَالشُّبَّان وَالأطْفَال النَّاغرَة الهِلال، أنَا زاكِيَّةُ الخِلال، أنَا طَريقُ الوُصُول وَالإتِّصال، أنَا قرَارُ العَاشِقِينَ فِي اليَقظَةِ، وَطيْفُ الخيَال، أنَا السَّالِبَةُ عُقُول الشائِقِينَ بلَحْظِ يُزْري حُسْنُهُ بلحْظ المَها وَجيدِ الغزَال، أنَا رَبيَّةٌ مَهْدِ المَعَال، أنَا الشَّافِيَةُ بريقي مِنَ الدَّاءِ العُضَال أنَا المُنْجيَّةُ مَنْ لاذَ بي مِنْ ضَرْب القَوَاضِب وَسِنِّ العَوَال، أنَا المُبَدِّدَةُ ببَواهِر آيَاتي شَمْلَ أهْل الزَّيْغ وَالضَّلال، أنَا القاصِمَةُ بسَيْفِ عِنَايَتي ظُهُورَ أهْل المِرَاءِ وَالجدَال أنَا الكافِيَّةُ مِنْ طَلَب نَوَالي إرَاقةَ مَاءِ الوَجْهِ وَذُلَّ السُؤَال، أنَا الَّتي لا تُحْصَى كرَائِمي وَلاَ تُقَاسُ بَعْدَ الشَّجر وَالمَدَر وَالحَصَى وَالرِّمَال، أنَا الَّتي أُنَاوِلُ مَنْ زَارَني فِي كِتَابهِ باليَمِين لا بالشِّمَال، أنَا الَّتي أُغْني بمَحبَّتي عَن الوَالِدِ وَالوَلَدِ وَالعَمِّ وَالخَال أنَا الَّتي تَخْضَعُ لِي الجبَابرَةُ وَأهْلُ الجوْر وَالظُّلْم وَصَنَادِيدُ الرِّجَال، أنَا الَّتي تَتزَاحَمُ عَلَى هَوْدَجي لُيُوثُ الوَغَى وَأكابرُ الأبْطَال، أنَّا الَّتي تُنْفَقُ فِي الوُصُول إلَيَّ النُّفُوسُ وَالأعْمَارُ (92) وَالأمْوَالُ، أنَا الَّتي يَقْصُرُ المُتَطاوِلُ عِنْدَ رُؤْيَتي وَيُقَبِّلُ شُرُكَ النِّعَال، أنَا الَّتي تَأْتِي إلَيَّ الرَّكائِبُ طَوْعاً وَكرْهاً مِنَ البَوَادِي وَالحَوَاضِر وَجزَائِر البُحُور وَرُؤُوس الجبَال، أنَا مَحْبُوبَةُ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا مَخْطُوبَةُ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا مَعْشُوقَةُ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا حَجُّ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا عُمْرَةُ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا طَوَافُ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا سَعْيُ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا عَرَفَةُ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا وَقْفَةُ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا مَوْسِمُ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا مَقَامُ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا حَضْرَةُ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا حَاضِرَةُ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا غَنيمَةُ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا مِنْحَةُ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا تُحْفَةُ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا المَشْغُوفَةُ بحُبِّ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا المُسْتَغرِقَةُ فِي حُبِّ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال، أنَا المُشْتَاقَةُ إلَى رُؤْيَةِ مِيم وَحَاءٍ وَمِيم وَدَال. (93)

قَدْ هَــــامَ قَلْبي يَا رِجَالُ ❖ بِمِيــــمٍ وَحَاءٍ وَمِيمٍ وَدَالِ
وَسِيلَتي لِــــذِي الجَلاَلِ ❖ بِمِيــــمٍ وَحَاءٍ وَمِيمٍ وَدَالِ
قَدْ جَادَ لِي قَبْــلَ السُّؤَالِ ❖ بِمِيــــمٍ وَحَا وَمِيمٍ وَدَالِ
يَا قَلْبُ لاَ تَنَــــسَ بِحَالٍ ❖ بِمِيــــمٍ وَحَا وَمِيمٍ وَدَالِ
هَنُّــــونِي يَا أَحِبَّتِــــي ❖ بِمِيــــمٍ وَحَا وَمِيمٍ وَدَالِ

أَنَا الَّتي يَحْسُنُ إِلَيَّ المَدْحُ وَالمَقَالُ، أَنَا الَّتي بِنَسِيمِ رَاحَتي يَتَحَرَّكُ أَرْبَابُ المَوَاجِدِ وَالشَّطَحَاتِ وَالأَحْوَالِ، أَنَا الَّتي أَجُرُّ ذَيْلِي عَلَى أَقْدَامِ الزَّائِرِينَ لِيَسْتَرِيحُوا مِنْ تَعَبِ السَّفَرِ وَحَمْلِ الأَثْقَالِ، أَنَا الَّتي أَصُبُّ مَاءَ الرَّحَمَاتِ عَلَى قُلُوبِهِمْ لِيَزْدَادُوا بِذَلِكَ مَحَبَّةً وَشَوْقًا فِي جَانِبي وَيَشُدُّوا الأَكْوَانَ الَّتي فِي المَقَامِ وَالتِّرْحَالِ، أَنَا الَّتي أَسْلُبُهُمْ وَأُمَنِّيهِمْ بِالرُّجُوعِ إِلَيَّ حَتَى لاَ يَطْرَأَ عَلَيْهِمْ فِي مَحَبَّتي فُتُورٌ وَلاَ انْفِصَالٌ، أَنَا الَّتي أَدْعُوهُمْ لِزِيَارَتي كُلَّ عَامٍ لِيَجِدُّوا فِي مَرْضَاةِ رَبِّهِمْ، وَغُفْرَانِ ذُنُوبِهِمْ، قَبْلَ فَوَاتِ العُمُرِ وَحُلُولِ الآجَالِ، وَيَظْفَرُوا بِكَمَالِ مَرْغُوبِهِمْ، وَغَايَةِ مَقْصُودِهِمْ وَمَطْلُوبِهِمْ مِنْ زِيَارَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتِمَةِ الأَنْبِيَاءِ وَسَيِّدِ الأَرْسَالِ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ السَّرَاتِ الأَبْدَالِ (94) وَصَحَابَتِهِ بُحُورِ الكَرَمِ وَالفَضْلِ وَالنَّوَالِ، صَلاَةً تَتَقَبَّلُ بِهَا مِنَّا الأَعْمَالَ، وَتُبَلِّغُنَا بِهَا مِنْ رِضَائِكَ وَرِضَاهُ غَايَةَ المَقْصُودِ وَالآمَالِ، بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَارَبَّ العَالَمِينَ.

رَاحَتي شُرْبُ كَأْسِ رَاحِ الدَّلاَلِ ❖ مِنْ غَزَالٍ بِأَرْضِ سِلْعٍ غَزَى لِي
قَدْ خَلَى لِي عَلَى الأُبَيْرِقِ بَرْقًا ❖ كَــادَتِ الرُّوحُ تَنَدَّى بِالجَلاَلِ
قَدْ حَلَّى لِي مِنَ الجَوَى فِي هَوَاهُ ❖ لَيْتَهُ يَــــرْعَوِي بِوَصْلٍ حَلاَلِ
لاَ يَغُورُ بِالغَوْرِ بَحْــــرُ دُمُوعِي ❖ بَلْ بِخَدٍّ حُبَابُــــــهُ كَاللَّآلِي
فِي قَبَــــاءَ بَقَاءُ وَجْدِي وَشَوْقِي ❖ وَحَنِينِــي وَصَبْوَتِي وَاتِّصَالِــي
يَا جَمَــالَ السَّلاَمِ سِيرِي حَثِيثًا ❖ وَالْثِمِي قُرْبَ بَابِ قُطْبِ الجَمَالِ
قَدْ كَمَى لِي سِرُّ الوِصَالِ عَسَى أَنْ ❖ يَجْبُرَ النَّقْصَ مِنْهُ لِي بِالكَمَــالِ
مَا خَلَى لِي مِنْ حُبِّهِ قَطُّ عُضْوٌ ❖ حِينَ لَمْ يَخْلُ مِنْ جَمِيلِ الخِلاَلِ
إِنْ مَحَى لِي آيَاتِ صَبْرٍ بِلَحْظٍ ❖ فَسُلْوِي عَنْــــــهُ عَتِيقُ المُحَالِ

مَا رَجَى لِي الفُؤَادُ عَنْهُ سُلْـــواً ❖ لَمْ يُطِف ذَاكَ أَقْوِيَــاءُ الرِّجَالِ
إِذَا طَوَى لِي الغَرَامُ شُقَّةَ صَبْـرٍ ❖ هِمْتُ بِالمَدْحِ فِي اللَّيَالِي الطِّوَالِ
مَا رَمَــى لِي نُوراً عَلَـى الفَوْزِ إِلاَّ ❖ صَارَ جِسْمِي طَرِيحَ تِلْكَ الرِّمَالِ
مَا اللِّقَا لِي مِنْـــــهُ بِوَاصِلٍ إِلاَّ ❖ وَفُــــؤَادِي لَقِيَ سِوَاهُ لَقَالَ
إِذْ نَوَى لِي مُحَمَّـــدٌ كُلَّ خَيْرٍ ❖ أَزَلاً فَحَبِيـــــتُ خَيْرَ نَـــوَالِ
مَا نَهَى لِي بَحْرُ المَوَاهِــبِ مِنْهُ ❖ عَنْ وُرُودِي وِرْدَهُ بَــــلْ نِهَالُ
وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ مَا قَــدْ نَحَى لِي ❖ بِالمَوَاهِبِ وَانْسِجَامِ النِّحَـــالِ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ (95) حَبِيبِ الرَّبِّ المُكَرَّمِ وَصَاحِبِ القَدْرِ الرَّفِيعِ وَالجَنَابِ المُعَظَّمِ وَإِمَامِ كُلِّ مَنْ تَصَدَّرَ فِي مَوَاكِبِ العِزِّ وَتَقَدَّمَ صَلاَةً تُشَوِّقُ الأَرْوَاحَ إِلَى زِيَارَةِ الكَعْبَةِ وَرُكْنِهَا المُسْتَلِمِ، وَتَقْبِيلِ الحَجَرِ الأَسْعَدِ وَالدُّعَاءِ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ وَمِيزَابِ الرَّحْمَةِ وَالمُلْتَزَمِ، وَالوُقُوفِ بِتِلْكَ المَعَاهِدِ الشَّرِيفَةِ وَحَرَمِهَا المُحْتَرَمِ، وَبِقَاعِهَا المَحْبُوبَةِ المَحْفُوظَةِ مِنَ البَلاَيَا وَالرَّزَايَا وَجَمِيعِ النِّقَمِ، فَأَكْرِمْ بِهَا مِنْ بُقْعَةٍ افْتَخَرَتْ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَفْتَخِرَ بِمَا شَرَّفَهَا بِهِ مَوْلاَهَا مِنْ كَثْرَةِ المَحَاسِنِ وَأَسْبَغَ عَلَيْهَا مِنْ جَزِيلِ النِّعَمِ، قَائِلَةً بِلِسَانِ حَالِهَا:

أَنَا البَيْتُ المُعَظَّمُ المُشَرَّفُ
أَنَا المَقَامُ المُعَرَّفُ
أَنَا البِسَاطُ الطَّاهِرُ المُنَظَّفُ

أَنَا عَيْــنُ قِبْلَةِ الرَّسُـــولِ وَسِمْتُهَا ❖ أَنَا سُــــرُورُ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ وَبَخْتُهَا
أَنَا يُمْنُ السَّعَادَةِ وَالأَزْمِنَـــةِ وَوَقْتُهَا ❖ أَنَا مَحَلُّ الأَوْصَافِ الجَمِيلَةِ وَنَعْتُهَا
أَنَـــا رُوحُ الأَرْوَاحِ وَانْتِعَاشُـــهَا ❖ أَنَـــا قُوتُ الأَشْبَاحِ وَمَعَاشُـــهَا
أَنَـــا رَبِيعُ الأَبْرَارِ أَنَا بَهْجَةُ الأَخْيَارِ ❖ أَنَا مَنْزِلُ الأَحْرَارِ أَنَا كَعْبَةُ الأَطْهَارِ (96)

سَبْعُمائَة حَسَنَةٍ مِنْ حَسَنَاتِ الحَرَم، كُلُّ حَسَنَةٍ بمائَة أَلْف حَسَنَةٍ، وَأَنَّ مَنْ مَاتَ بي كَمَنْ مَاتَ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَمَنْ مَاتَ بي بُعِثَ مِنَ الآمِنِينَ، وَأَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ: يَارَبِّ أَسْأَلُكَ مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ مِنْ ذُرِّيَتي لا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئاً أَنْ تُلْحِقَهُ بي فِي الجَنَّةِ، فَقَالَ تَعَالَى: يَا آدَمُ مَنْ مَاتَ بِالحَرَمِ وَلا يُشْرِكُ بي شَيْئاً بَعَثْتُهُ آمِناً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ مَاتَ فِي مَكَّةَ وَفِي طَرِيقِ مَكَّةَ بُعِثَ مِنَ الآمِنِينَ.

مَلِيحَةٌ بَيْنَ الصَّفَا وَالحَجَرِ ❖ الحَسَنِ مَوْلاهَا عَلَيْهَا حَجَرْ
فَتَّاكَةُ الإِلْحَاظِ فَتَّانَةٌ ❖ فَتَّاحَةُ بَابِ الهَوَى المُعْتَبَرْ
إِنْ صَافَحَتْ رِيحَ الصَّبَا ذَيْلُهَا ❖ جَرَّتْ ذُيُولَ التِّيهِ عِنْدَ السَّحَرْ
إِنْ أَلْقَتِ البُرْقُوعَ عَنْ وَجْهِهَا ❖ قَلْبَ عَشِيقٍ حُسْنُهَا قَدْ بَهَرْ
قُلْتُ لَهَا مَنْ أَنْتِ يَا مُنْيَتِي ❖ قَالَتْ رِيَاضُ البِشْرِ بَيْنَ البَشَرْ
قُلْتُ لَهَا هَلْ أَنْتِ شَمْسُ الضُّحَى ❖ قَالَتْ أَجَلُّ وَالشَّمْسُ أَمُّ القَمَرْ
قُلْتُ لَهَا هَلْ أَنْتِ غُصْنُ النَّقَا ❖ قَالَتْ وَفِي الغُصْنِ صُنُوفُ الزَّهْرْ
قُلْتُ فَمَا لِلدَّارِ قَدْ أَشْرَقَتْ ❖ قَالَتْ جَمَالِي فِي حِمَاهَا زَهَرْ
قُلْتُ فَكَمْ أَفْنَيْتِ مِنْ عَاشِقٍ ❖ قَالَتْ وَمَنْ يُحْصِي الحَصَا وَالشَّجَرْ
قُلْتُ وَكَمْ صَبٍّ قَضَى نَحْبَهُ ❖ قَالَتْ رَأَى وَجْهِي فَنَالَ الوَطَرْ
قُلْتُ وَكَمْ أَبْكَيْتِ مِنْ ضَاحِكٍ ❖ قَالَتْ فَبَعْدَ البَرْقِ يَأْتِي المَطَرْ
قُلْتُ وَكَمْ هَيَّجْتِ مِنْ صَائِحٍ ❖ قَالَتْ رَآنِي فَجْأَةً مَا صَبَرْ
قُلْتُ وَكَمْ غَيَّبْتِي مِنْ حَاضِرٍ ❖ قَالَتْ وَمَنْ غَابَ عِنْدِي حَضَرْ (97)
قُلْتُ وَكَمْ مَزَّقْتِ ذَا لَوْعَةٍ ❖ قَالَتْ حَشَاهُ مِنْ جَلالِي انْفَطَرْ
قُلْتُ وَكَمْ أَنْطَقْتِ مِنْ أَخْرَسٍ ❖ قَالَتْ سَرَى سِرِّي بِهِ فَانْتَشَرْ
قُلْتُ وَمَنْ أَفْنَى اصْطِبَارَ الوَرَى ❖ قَالَتْ خِمَارِي الأَسْوَدُ المُعْتَبَرْ
قُلْتُ وَمَا قَبَّلَ أَهْلُ النُّهَى ❖ قَالَتْ لِثَامِي المُسْتَنِيرَ الأَغَرْ
قُلْتُ لَمَّا أَسْتَحْيَى لَدَيْكِ الوَرَى ❖ قَالَتْ وَقَارِي حَفَّهُمْ وَالخَفَرْ
قُلْتُ وَكَمْ نَاجَاكِ مِنْ شَائِقٍ ❖ قَالَتْ وَكَمْ أَحْنَى لَدَيَّ الظَّهْرْ
قُلْتُ وَكَمْ أَمَّنْتِ مِنْ خَائِفٍ ❖ قَالَتْ بَيْتِي أَمْنُهُ قَدْ ظَهَرْ
قُلْتُ وَكَمْ يَهْوَاكِ مِنْ مُحْسِنٍ ❖ قَالَتْ فَمَنْ لَمْ يَهْوَنِي قَدْ كَفَرْ
قُلْتُ لَيْلِي أَنْتِ أَمْ عَزَّةٌ ❖ قَالَتْ جَمَالِي حَازَ كُلَّ الصُّوَرْ

قُلْتُ فَإِنِّـــــي نَاظِرُ طَائِفٍ ❖ قَالَتْ فَأَنْتَ اليَوْمَ عِنْدِي الأَجْرْ
قُلْتُ فَأَنْتِ القَصْـدُ مِنْ طَائِفِ ❖ قَالَتْ فَسَـائِلْني فَعِنْدِي الخَبَرْ
قُلْتُ فَأَنْـــتِ الحجُّ أَمْ عُمْرَةٌ ❖ قَالَتْ فَسَلْ مَنْ حَجَّنِي وَاعْتَمَرْ
قُلْتُ فَأَنْتِ كَعْبَـــةُ لِلْأَصْفِيَا ❖ قَالَــتْ فَبِي طَافُوا وَقَصُّوا الأَثَرْ
قُلْتُ اشْفِعِـي فِي أُمَّةِ المُصْطَفَى ❖ قَالَــتْ لَهُمْ احْسَانِيَ فِي المُنْتَظَرْ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ حَبِيبِكَ المَوْصُوفِ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَصَفِيِّكَ الشَّرِيفِ الأُصُولِ وَالأَعْرَافِ وَنَبِيِّكَ الَّذِي تَضَاعَفَتْ فِي مَحَبَّتِهِ المَوَاجِدُ وَالأَشْوَاقُ، صَلَاةً تُشَوِّقُ الأَرْوَاحَ إِلَى كَعْبَتِكَ الجَامِعَةِ لِأَشْتَاتِ المَحَاسِنِ عَلَى الإِطْلَاقِ الشَّائِعِ ذِكْرُهَا فِي البَوَادِي وَالحَوَاضِرِ وَسَائِرِ الآفَاقِ (98) المُجْمَعِ عَلَى شَرَفِهَا وَكَمَالِ فَضَائِلِهَا وَفَوَاضِلِهَا بِالاتِّفَاقِ المَكْتُوبِ عَلَى خَالِهَا، أَنَا رُوحُ العُشَّاقِ، أَنَا رَغْبَةُ السُّبَاقِ، أَنَا شَمْسُ الإِشْرَاقِ، أَنَا نُورُ سَوَادِ الأَحْدَاقِ، أَنَا مَحَطُّ الرِّحَالِ وَمَجْمَعُ الرِّفَاقِ، أَنَا جَالِبَةُ الأَرْزَاقِ، أَنَا دُرَّةُ الأَعْلَاقِ، أَنَا رَيْحَانَةُ كِتَابِ الأَزَلِ وَالبَهْجَةِ المَرْسُومَةِ فِي بُطُونِ الدَّفَاتِرِ وَالأَوْرَاقِ، أَنَا الَّتِي تَخْطُبُ بِمَآثِرِي الأَرْوَاحُ الرُّوحَانِيَةُ فِي بِسَاطِ القُرْبِ وَتَخْضَعُ عِنْدَ رُؤْيَتِي الأَعْنَاقُ، أَنَا الَّتِي بَهَانِي مَوْلَايَ بَيْنَ العَوَالِمِ وَخَرَقَ بِنُورِي الحُجُبَ وَالأَسْتَارَ وَالسُّرَادِقَاتِ وَالسَّبْعَ الطِّبَاقَ، أَنَا الَّتِي اخْتَصَّنِي مَوْلَايَ بِالسِّرِّ البَاهِرِ وَحَمَانِي مِنْ سَطْوَةِ أَهْلِ الظُّلْمِ وَالفُجُورِ وَالنِّفَاقِ، أَنَا مُنْتَهَى الجَمَالِ وَمَخْطُوبَةُ أَهْلِ الخُصُوصِيَّةِ وَالكَمَالِ وَنُورِ بَصِيرَةِ ذَوِي البَصَائِرِ وَالإِسْتِبْصَارِ وَالجَهَابِذَةِ الحُذَّاقِ فَلَوْ كَشَفْتُ عَنْ خَلْخَالِي السَّاقَ وَخَلَعْتُ بِرَفْعِ الجَمَالِ عَنْ وَجْهِي لَخَطَفْتُ عُقُولَ العُشَّاقِ وَأَفْنَيْتُهُمْ عَنْ فَنَائِهِمْ وَهَيَّمْتُهُمْ فِي بُحُورِ الغَيْبَةِ وَالإِسْتِغْرَاقِ.

لِلَّهِ كَــــمْ فِي حَيِّ لَيْلَى فَتَاةً ❖ شَاهَـدَهَا المُضْنَى عِيَانًا قُبَاهُ (99)
غَــــزَالَةُ الحُسْنِ لَكِنَّـــــهَا ❖ تَقْنَـصُ بِاللَّحْظِ أُسُودَ الشَّرَاهِ
لَوْ بَـــرَزَتْ لِلشَّمْسِ فِي ضَحْوِهَا ❖ لَمَّتْ حَيَاءً وَجْهَــــهَا فِي مَلَاهُ
وَمَارَنَـــــتْ لِلْبَدْرِ إِلَّا لِكَـــيْ ❖ تُبْصِرَ مِنْهُ وَجْهَهَا فِي مَـــرْآهُ
قَدْ حَيَّرَ النُّظَّـــامَ فِي ثَغْـرِهَا ❖ دُرٌّ أَجَادَ الجَوْهَرِيُّ مُنْتَقَـــاهُ
وَزَانَ طُرْسُ الـــخَدِّ صُدْغٌ قَدْ ❖ زَادَاهُ حُسْنًا عِنْـــدَمَا رَقَّ مَاهُ

يَا مَنْ لِصَبٍّ فِي مَبَـادِي الصِّبَا ❖ قَدْ بَلَغَ العِشْقُ بِهِ مُنْتَـــــهَاهُ
شَبَّ هَوَاهُ إِذْ مَضَـــى عُمْرُهُ ❖ وَشَابَ وَجْــداً رَأْسُهُ فِي صِبَاهُ
كَالقَلَمِ المَشْـــوقِ وَهْنًا فَمَا ❖ زَالَ بِهِ السَّقَـــمُ إِلَى أَنْ بَرَاهُ
مُضْنِي مَعْنَى القَلْـبِ مَا قَصْدُهُ ❖ إِلاَّ لَمَّا ثَغْرُ حَبِيـــبٍ وَوافَـــاهُ
أَوْ شَفَةٌ تُشْفِي جَـــوَاهُ عَسَى ❖ يَرْوِي أَحَادِيثَ هَــوَاهُ شِفَاهُ
حَاشَاهُ يَصْحُو مِنْ هَوىً بَعْدَمَا ❖ قَدْ مَلأَ الوَجْدُ شُجُوناً حَشَـــاهُ
يَا كَعْبَةَ الحُسْنِ البَـدِيعِ الَّتِي ❖ لِنَحْـــوِهَا تَسْجُدُ غُرُّ الجِبَاهِ
يَارَبَّةَ الخِـــدْرِ وَمَنْ سِتْرُهَا ❖ أَسْبَلَ فَـــوْقَ الخَلْقِ طُرًّا غِطَاهُ
عَاماً مَنَعْتِ الطَّيْـفَ عَنِّي فَمَا ❖ آنَ لِعَيْنِـــي فِي الكَرَى أَنْ تَرَاهُ
وَيْلاَهُ إِنْ مُـــتُّ غَرَاماً وَمَا ❖ رَشَفْتُ مِـنْ رِيقِكِ مَاءَ الحَيَاةِ
وَكَيْفَ يَخْشَى المَوْتَ مَنْ مَوْتُهُ ❖ فِي حُبِّ مَــنْ يَهْوَاهُ أَقْصَى مُنَاهُ
مُسْتَسْلِــماً لِلَّهِ مُسْتَشْفِـــعاً ❖ بِالمُصْطَفَى الهَادِي رَسُولِ الإِلاَهِ
صَفْوَةِ بَارِي الخَلْقِ كَهْفِ النُّهَى ❖ عِصْمَةِ دِينِ الحَقِّ ذُخْراً لِعُصَاهُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا رَنَحَـــتْ ❖ أَوْصَـــافُهُ الغُرُّ مَعْشُوقاً شَجَاهُ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ حَبِيبِكَ المُطَهَّرِ حِسّاً وَمَعْنَى وَصَفِيِّكَ الشَّرِيفِ (100) مُحْتَداً وَمَبْنَى وَعَبْدِكَ الَّذِي أَسْرَيْتَ بِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى وَرَفَعْتَ مَقَامَهُ فِي مَقَامِ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى وَنَبِيِّكَ الَّذِي نَوَّرْتَ مَكَّةَ بِسِرَاجِهِ النَّبَوِيِّ وَجَعَلْتَهَا أَعْظَمَ البِلاَدِ جَاهاً وَشَأْناً وَحَرَماً آمِناً لِلْمُجَاوِرِ بِهَا وَالوَافِدِ عَلَيْهَا، وَحِصْناً مَانِعاً وَأَمْناً وَمُعْتَمَداً وَمَلْجَأً لِمَنْ تَوَى بِهَا وَمُسْتَنَداً وَرُكْناً وَمَنَحْتَ مَنْ حَلَّ بِهَا رِزْقاً وَاسِعاً وَقَلْباً خَاشِعاً وَعِلْماً نَافِعاً وَأَقَمْتَ لَهُ بَيْنَ أَحِبَّائِكَ وَزْناً وَخَلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِ جَلاَلِكَ مَا يَبْهَرُ العُقُولَ فَازْدَادَ بِذَلِكَ إِيمَاناً وَيَقِيناً وَبَهَاءً وَحُسْناً، وَجَعَلْتَ تُرَابَهَا المُفَضَّلَ شِفَاءً لِمَنْ تَدَاوَى بِهِ وَكَحَّلَ بِهِ جَفْناً، وَعِزّاً وَجَاهاً لِمَنْ بَسَطَ خُدُودَهُ فِي مَقَامِهَا حِينَ رَآهَا وَصَيَّرْهَا لأَهْلِهَا مَوْطِئاً وَصَحْناً، فَيَالَهَا مِنْ بُقْعَةٍ مُبَارَكَةٍ جَعَلَهَا اللهُ لأَهْلِ مَحَبَّتِهِ مَوْطِئاً وَسُكْنَى وَانْتَخَبَهَا لأَصْفِيَائِهِ وَخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَأَذْهَبَ عَنْهُمْ بِالطَّوَافِ بِكَعْبَتِهَا هَمّاً وَغَمّاً وَحُزْناً وَصَبَّ عَلَيْهِمْ فِيهَا مِنْ شَآبِيبِ رَحَمَاتِهِ غَيْثاً وَابِلاً وَوَدْقاً هَامِيّاً وَمُزْناً وَجَعَلَ رِيَاضَهَا (101) الأَرِيضَ لِلْعُشَّاقِ مَسْرَحًا وَمَرْتَعًا

وَمَغنًى وَعَنَاهَا بِقَوْلِهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.

فَيَا مُهْجَتِي ذُوبِي جَوًى وَصَبَابَةً ❖ وَيَا لَوْعَتِي كُونِي كَذَاكَ مُذِيبَتِي

وَيَا نَارَ أَحْشَائِي أَقِيمِي مِنَ الجَوَى ❖ حَنَايَا ضُلُوعِي فَهْيَ غَيْرُ قَوِيمَتِي

وَيَا حُسْنَ صَبْرِي فِي رِضَى مَنْ أُحِبُّهَا ❖ تَجَمَّلْ وَكُنْ لِلدَّهْرِ بِي غَيْرَ مُشَمِّتَي

وَيَا جَلَدِي فِي جَنْبِ طَاعَةِ حُبِّهَا ❖ تَحَمَّلْ عُرَاكَ لِكُلِّ كُلِّ عَظِيمَةٍ

وَيَا جَسَدِي المُضْنَى تَسَلَّ عَنِ الشِّفَا ❖ وَيَا كَبِدِي مَنْ لِي بِأَنْ تَتَفَتَّتِي

وَيَا سَقَمِي لاَ تُبْقِ لِي رَمَقًا فَقَدْ ❖ أَبَيْتَ لِبُقْيَا العِزِّ ذُلَّ البَقِيَّةِ

وَيَا صُحْبَتِي مَا كَانَ مِنْ صِحَّتِي انْقَضَى ❖ وَوَصْلُكِ فِي الأَحْيَاءِ مَوْتٌ كَهِجْرَتِي

وَيَا كُلَّ مَا أَبْقَى الضَّنَى مِنِّيَ ارْتَحَلْ ❖ فَمَا لَكَ مَأْوًى فِي عِظَامٍ رَمِيمَةٍ

وَيَامَا عَسَى مِنِّي أُنَادِي تَوَهُّمًا ❖ بِيَاءِ النِّدَا أُونِسْتُ مِنْكَ بِوَحْشَتِي

فَكُلُّ الَّذِي تَرْضَاهُ وَالمَوْتُ دُونَهُ ❖ بِهِ أَنَا رَاضٍ وَالصَّبَابَةُ أَرْضَةٌ

وَنَفْسِي لَمْ تَجْزَعْ بِإِتْلاَفِهَا أَسًى ❖ وَلَوْ جَزِعَتْ كَانَتْ بِغَيْرِ تَأَسِّي

وَكُلُّ حَيٍّ كُلُّ حَيٍّ كَمَيِّتٍ ❖ بِهَا عِنْدَهُ قَتْلُ الهَوَى خَيْرُ مَيْتَةٍ

تَجَمَّعَتِ الأَهْوَاءُ فِيهَا فَمَا تَرَى ❖ بِهَا غَيْرَ صَبٍّ لاَ يَرَى غَيْرَ صَبْوَةٍ

إِذَا أَسْفَرَتْ فِي يَوْمِ عِيدٍ تَزَاحَمَتْ ❖ عَلَى حُسْنِهَا أَبْصَارُ كُلِّ قَبِيلَةٍ

فَأَرْوَاحُهُمْ تَصْبُو لِمَعْنَى جَمَالِهَا ❖ وَأَحْدَاقُهُمْ مِنْ حُسْنِهَا فِي حَدِيقَةٍ

وَعِنْدِيَ عِيدُ كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بِهِ ❖ جَمَالَ مُحَيَّاهَا بِعَيْنٍ قَرِيرَةٍ

وَكُلُّ اللَّيَالِي لَيْلَةُ القَدْرِ إِنْ دَنَتْ ❖ كَمَا كُلُّ أَيَّامِ اللِّقَا يَوْمُ جُمُعَةٍ

وَسَعْيِي لَهَا حَجٌّ بِهِ كُلُّ وَقْفَةٍ ❖ عَلَى بَابِهَا قَدْ عَادَلَتْ كُلَّ وَقْفَةٍ

وَأَيُّ بِلاَدِ اللهِ حَلَّتْ بِهَا فَمَا ❖ أَرَاهَا وَفِي عَيْنِي حَلَتْ غَيْرُ مَكَّةَ (101)

وَأَيُّ مَكَانٍ ضَمَّهَا حَرَمٌ كَذَا ❖ أَرَى كُلَّ دَارٍ أَوْطَنَتْ دَارَ هِجْرَتِي

وَمَا سَكَنَتْهُ فَهْوَ بَيْتٌ مُقَدَّسٌ ❖ بِقُرَّةِ عَيْنِي فِيهِ أَحْشَاءُ قُرَّةٍ

وَمَسْجِدِيَ الأَقْصَى مَسَاحِبُ بُرْدِهَا ❖ وَطِيبِي تُرَى أَرْضٍ عَلَيْهَا تَمَشَّتِ

مَوَاطِنُ أَفْرَاحِي وَمَرْبَى مَآرِبِي ❖ وَأَطْوَارُ أَوْطَارِي وَمَا مِنْ خِيفَتِي

مَعَارِبُهَا لَمْ يَدْخُـــــلِ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ❖ وَلاَ كَادَنَا صَرْفُ الزَّمَــــانِ بِفُرْقَةٍ
وَمَا اخْتَصَّ وَقْتٌ دُونَ وَقْــتٍ بِطَيْبَةَ ❖ فَهَا كُلُّ أَوْقَـــــاتِي مَوَاسِمُ لَذَّتِي

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نُورِ بَصِيرَةِ أَرْبَابِ البَصَائِرِ وَالتَّحْقِيقِ وَعُنْوَانِ بَاطِنِ أَهْلِ الرُّشْدِ وَالهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ وَخَاتِمَةِ خَوَاتِمِ أَهْلِ العِلْمِ اللَّدُنِّيِّ وَالسِّرِّ الدَّقِيقِ وَعُنْصُرِ الشَّرَفِ الأَصِيلِ وَالمَجْدِ العَرِيقِ، صَلاَةً تُشَرِّفُ القُلُوبَ المَشْغُوفَةَ إِلَى رُؤْيَةِ البَيْتِ العَتِيقِ وَحَرَمِهِ الأَمِينِ وَالإِسْتِرْوَاحِ بِرُوحِهِ وَرَيْحَانِهِ وَانْتِشَاقِ نَسِيمِ زَهْرِهِ الفَتِيقِ وَالطَّيَرَانِ بِجَنَاحِ الشَّوْقِ إِلَيْهِ وَالثَّوَاءِ بِأَرْضِهِ مَعَ أَحْسَنِ عَشِيرَةٍ وَأَجَلِّ رَفِيقٍ فَسُبْحَانَ مَنْ هَيَّمَ العُقُولَ بِجَمَالِهِ الفَائِقِ وَحُسْنِهِ الأَنِيقِ وَحَبَّبَهُ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الخَيْرِ وَالصَّلاَحِ وَجَلَبَ الوُفُودَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ نَاءٍ وَفَجٍّ عَمِيقٍ وَسَهَّلَ عَلَيْهِمُ المَشَاقَّ العَظِيمَةَ فِي الوُصُولِ إِلَيْهِ وَصُعُوبَةَ الطَّرِيقِ وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِرُؤْيَةِ حَيِّ سِلَعٍ وَالنَّقَا وَنُزُولِ الخِيفِ (102)

وَالمُحَصَّبُ وَوَادِ العَقِيقِ

لَوْلاَ المُحَصَّبُ وَالعَقِيـــــقُ وَلَعْلَعُ ❖ مَا غَنَّـــــتِ العِيسَ الحُدَاةُ وَلَعْلَعُوا
وَلَمَّا سَـــــرَتْ لِلْمَازَمِيرِ قَــــلاَئِصٌ ❖ تَطْوِي بِأَيْدِيـــــهَا الفَلاَةَ وَتَقْطَــعُ
طَلَعَـــتْ وَجَدَّ بِهَا الرَّحِيــــلُ فَحَثَّهَا ❖ قُتُبٌ تَكَادُ تُعَدُّ مِنْــــهُ الأَضْلُـــــعُ
وَوَنَـــتْ مِنَ السَّيْرِ الشَّدِيدِ وَكُلَّمَا ❖ غَنَّى لَهَا الحَادِي بِطَيْبَــــةَ تَسْــرِعُ
هَادِي المَطِــــيُّ وَلاَنَ سَلَبْنَ عُقُولَهَا ❖ أَبَدًا لِمَالِكِــــهَا تُطِيعُ وَتَسْمَـــــعُ
وَتَحِـــــنُّ لِلْبَيْتِ العَتِيقِ وَتَجْتَلِي ❖ وَادِي العَقِيقِ وَكُلَّ عَــــامٍ تَنْجَــعُ
وَتَهِيمُ وَجْدًا بِالبَقِيــــــعِ وَأَهْلِهِ ❖ وَتَزُورُهَا تِيكَ البِقَاعَ وَتَرْجِــــــعُ
يَا عَمَّرَكَ اللهُ الظَّعَائِنَ حَمَلَـــــتْ ❖ وَتَوَجَّهُـــــوا نَحْوَ الحَبِيبِ وَأَسْرِعُوا
قَرِّعُــــوا سَحِيراً بَابَ عَزَّةَ وَانْثَنَوْا ❖ عَنِّي فَمَالِــــي غَيْرَ سِنِّـــي أَقْرَعُ
أُوَّاهُ مِنْ حَـــــرِّ البِعَادِ فَقَدْ وَهَى ❖ جَلَدِي وَكَـــادَتْ رُوحُ صَبْرِي تُنْزَعُ
فَخَفَيْـــتُ سُقْمًا عَنْ عُيُونِ عَوَاذِلِي ❖ وَالسُّقْمُ فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ يَنْفَـــعُ
وَأَضَعْتُ عُمْرِي فِي الهَـــوَى لَكِنَّنِي ❖ بِمَدِيحِ أَحْمَدَ فِي الوَرَى أَتَشَفَّـــعُ
السَّيِّـــدِ الهَادِي الرَّسُولِ المُرْتَضَى ❖ الكَامِــــلِ الشِّيَــمِ الجَلِيلِ المُبْـدِعِ
حَامِـــــي حِمَى المَجْدِ المَنِيعِ جَنَابُهُ ❖ حَـــاوِي ذُرَى الشَّرَفِ الرَّفِيعِ الأَرْفَعِ

بَـــرٌّ عَطُـــوفٌ طَاهِــرٌ وَمُطَهَّــرٌ ❖ رَؤُوفٌ رَحِيـــمٌ شَافِـعٌ وَمُشَفَّـــعُ
فَعَلَيْـــــــهِ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ تَحِيَّةٌ ❖ تُتْلَـــــى وَفِي كُلِّ المَوَاطِنِ تُشْــرَعُ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سِرَاجِ العُلُومِ وَالأَفْهَامِ وَنُورِ بَصِيرَةِ أَهْلِ الوَحْيِ وَالإِلْهَامِ وَإِمَامِ الفُحُولِ الأَجِلَّةِ وَالقَادَةِ الأَعْلَامِ وَبَدْرِ التَّمِّ المَاحِي بِشُعَاعِهِ أَقَاوِيلَ أَهْلِ الشُّكُوكِ وَالأَوْهَامِ (103) صَلَاةً تَشَوِّقُ الأَرْوَاحَ إِلَى حَجِّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ وَمَقَامِهِ الكَفِيلِ لِمَنْ وَقَفَ بِهِ بِبُلُوغِ القَصْدِ وَنَيْلِ المَرَامِ وَأَمَاكِنِهِ المَحْفُوفَةِ بِالرِّضَى وَالرِّضْوَانِ وَأَنْوَاعِ الخَيْرَاتِ وَسَوَابِغِ الأَنْعَامِ وَبِقَاعِهِ الَّتِي تَرَدَّدَ إِلَيْهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشُرِّفَتْ بِنُزُولِ الوَحْيِ وَزِيَارَةِ المَلَائِكَةِ العِظَامِ وَحُفِظَتْ بِبَرَكَةِ السِّيَادَةِ المُحَمَّدِيَّةِ مِنَ الرَّجْفِ وَالزَّلَازِلِ وَجَمِيعِ البَلَايَا وَأَنْوَاعِ الاِنْتِقَامِ وَأُسِّسَتْ عَلَى قَوَاعِدِ البِرِّ وَالتَّقْوَى وَحُمِلَتْ عَلَى كَاهِلِ البُرُورِ وَالإِحْتِرَامِ وَنُوِّرَتْ أَرْجَاؤُهَا وَنَوَاحِيهَا بِظُهُورِ الحَقِّ وَدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَطُهِّرَتْ بِقَاعُهَا وَعَرَصَاتُهَا وَبُيُوتُهَا وَمَنَازِلُهَا وَمَسَاجِدُهَا وَمَحَارِيبُهَا مِنَ الشِّرْكِ وَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَالأَصْنَامِ وَفَاحَتْ رِيَاضَاتُهَا وَبَسَاتِنُهَا وَحَدَائِقُهَا وَأَوْرَاقُهَا وَأَزْهَارُهَا بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ وَنَوَاسِمِ الوَرْدِ وَالنِّسْرِينِ وَالخَيْرِيِّ وَاليَاسَمِينِ وَالثُّمَامِ وَحُبِّبَتْ أَقْطَارُهَا وَجِهَاتُهَا وَجِبَالُهَا وَهِضَابُهَا وَأَنْهَارُهَا وَعُيُونُهَا وَآبَارُهَا وَمَعَاهِدُهَا وَمَشَاهِدُهَا بِسَرَيَانِ سِرِّ سَيِّدِ الأَنَامِ وَمِسْكِ الخِتَامِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى (104) السَّلَامِ، فَيَالَهَا مِنْ كَعْبَةٍ طَافَتْ بِهَا أَرْوَاحُ الأَصْفِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ وَالأَنْبِيَاءِ وَالمَلَائِكَةِ المُقَرَّبِينَ وَالرُّسُلِ الكِرَامِ وَقَبَّلَ رُكْنَهَا اليَمَانِيَّ وَحَجَرَهَا الأَسْعَدَ أَهْلُ الفَوْزِ وَالسَّعَادَةِ مِنَ الخَوَاصِّ وَالعَوَامِّ وَاسْتَشْفَعُوا بِهَا إِلَى اللهِ فِي مَحْوِ الخَطَايَا وَتَكْفِيرِ التَّبِعَاتِ وَغُفْرَانِ الذُّنُوبِ وَالآثَامِ.

قُلْتُ: فَأَنْـــتِ كَعْبَةُ الأَصْفِيَا ❖ قَالَتْ فَبِي طَافُوا وَقَصُّوا الأَثَرَ
قُلْتُ: فَكَمْ عِنْدَكِ مِنْ رَحْمَـــةٍ ❖ قَالَتْ كَسَيْلٍ أَوْ كَبَحْرٍ زَخَرَ
قُلْتُ: فَكَمْ طَهَّرْتِ مِنْ مُذْنِـــبٍ ❖ قَالَتْ وَكَـــمْ بِي اللهُ ذَنْبًا غَفَرَ
قُلْتُ: وَكَمْ أَكْرَمْتِ مِنْ وَافِدٍ ❖ قَالَتْ وَعِنْـدِي لِلْقِرَى مَا غَمَرَ
قُلْتُ: وَكَمْ قَرَّبْتِ مِنْ مُبْعَـــدٍ ❖ قَالَتْ وَكَمْ أَسْعَدْتُ أَهْلَ الحَضَرِ

قُلْتُ: وَكَمْ أَيْقَظْتِ مِنْ غَافِلٍ ❖ قَالَتْ وَهَلْ غَيْرِي عَلَيْهِ خَطَرُ
قُلْتُ: وَكَمْ حَجَبْتِ مِنْ عَـابِدٍ ❖ قَالَتْ بِهَذَا الأَمْرِ جَاءَ القَـدَرُ
قُلْتُ: وَكَمْ أَبْدَيْتِ مِنْ عِبْـرَةٍ ❖ قَالَتْ وَلِلطَّاغِينَ عِنْدِي عِبَـرُ
قُلْتُ: وَكَمْ دَمَّرْتِ مِنْ ظَالِـمٍ ❖ قَالَتْ كَأَهْلِ الفِيلِ أَبْنِي الحَجَر
قُلْتُ: فَأَنْتِ البَيْتُ أَوْ كَعْبَـةٌ ❖ قَالَتْ فَذِكْرِي بِالجَمِيعِ اشْتَهَرَ
قُلْتُ: عَلَيْكِ اللهُ أَلْقَـى البَهَا ❖ قَالَتْ وَمِنْهُ السِّرُّ فِي اسْتَتَـرَ
قُلْتُ: إِلَيْكِ النَّـاسُ قَدْ سَافَرُوا ❖ قَالَتْ نَعَمْ لِلّٰهِ ذَاكَ السَّفَـرُ
قُلْتُ: المُصَلُّونَ إِلَيْكِ انْتَمَـوْا ❖ قَالَتْ بِذَا الرَّحْمَـانُ حَتْمًا أَمَرَ
قُلْتُ: وَكَمْ يَتْلُونَ مِنْ سُـورَةٍ ❖ قَالَتْ فَلِلرَّحْمَانِ تِلْكَ السُّوَر
قُلْتُ: وَفِي مَغْنَاكِ كَـمْ آيَةً ❖ قَالَتْ يَرَى الآيَاتِ مَنْ قَدْ نَظَرَ (105)
قُلْتُ: مَقَامٌ فِيكِ حَازَ العُـلَا ❖ قَالَتْ لِإِبْرَاهِيـمَ فِيمَا غَبَرَ
قُلْتُ: وَأَسْتَارٌ عَلَيْكِ ازْدَهَـتْ ❖ قَالَتْ فَكَمْ خِـدْرٍ لِخَودٍ سَتَرَ
قُلْتُ: وَأَرْكَانٌ لَدَيْكِ اعْتَلَـتْ ❖ قَالَتْ لِمَسْـحِ الوَجْهِ فِيهَا غُرَرَ
قُلْتُ: حَكَيْتِ العَرْشَ فِي بَهْجَـةٍ ❖ قَالَتْ وَسِـرِّي مِثْلُهُ قَدْ بَهَرَ
قُلْتُ: اشْفَعِـي فِي أُمَّةِ المُصْطَفَى ❖ قَالَتْ لَهُـمْ إِحْسَانِيَ المُنْتَظَرُ
صَلَّـى عَلَيْهِ اللهُ مَـعَ ءَالِهِ ❖ وَالصَّحْبِ مَا فَاحَتْ صُنُوفُ الزَّهْرِ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَغْبَةِ الأَرْوَاحِ الشَّائِقَةِ وَغَايَةِ مُنَاهَا وَمَرْمَى العُيُونِ الشَّائِقَةِ وَمَحَلِّ مَرْآهَا وَحَلَاوَةِ الأَلْسُنِ الذَّائِقَةِ وَنَتِيجَةِ مَعْنَاهَا وَوِرْدِ الأُنُوفِ النَّاشِقَةِ وَرِيحِ صَبَاهَا، صَلَاةً تُشَوِّقُ الأَرْوَاحَ إِلَى الكَعْبَةِ الغَرَّاءِ وَانْتِشَاقِ نَسِيمِ رُبَاهَا وَالمَقَامِ بِعَرَصَاتِهَا وَتَعْفِيرِ الوَجَنَاتِ بِغُبَارِهَا وَلَثْمِ ثَرَاهَا وَالاحْتِمَاءِ بِحَرَمِهَا الأَمِينِ وَالإِسْتِمْسَاكِ بِأَوْثَقِ عُرَاهَا وَالتَّوَسُّلِ بِجَاهِهَا إِلَى اللهِ وَجَاهِ مَنْ طَافَ بِهَا وَقَبَّلَ الحَجَرَ وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ وَوَقَفَ بِعَرَفَةَ الخَيْرِ وَأَجَابَ دَعْوَةَ الحَقِّ وَلَبَّاهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فَخْرِ السِّيَادَةِ المُحَمَّدِيَّةِ وَتَاجِ عُلَاهَا وَقُطْبِ دَائِرَةِ المَجَادَةِ الأَحْمَدِيَّةِ وَشَمْسِ ضُحَاهَا وَيَنْبُوعِ الأَنْوَارِ اللَّاهُوتِيَّةِ وَسِرَاجِ ضِيَاهَا وَخَازِنِ الأَسْرَارِ الجَبَرُوتِيَّةِ وَحَامِي (106)

حِماهَا وَمَسرَح الأَرْوَاح الرُّوحِيَّةِ وَرِيَاض مُشْتَهَاهَا وَمَصَبِّ الرَّحمَات الرَّحمُوتِيَّةِ وَمُزْن سَمَاهَا وَمِعْرَاج التَّرَقِّيَاتِ الصُّمُودِيَّةِ وَسَنَام ذُرَاهَا، صَلاَةً تُشَوِّقُ الأَرْوَاحَ إِلَى الكَعْبَةِ الزَّهْرَاءِ وَعُرْف شَذَاهَا وَمَسْجِدِهَا الحَرَام الَّذِي بِصَلاَتِهِ فِيهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَارَتْ تَفْتَخِرُ عَلَى سَائِرِ البِقَاعِ وَتَتَبَاهَى، وَمَكَّةُ المُشَرَّفَةُ الَّتِي بِبَعْثَتِهِ مِنْهَا حَازَتْ مِنَ الفُتُوحَاتِ وَالمَوَاهِب مَالاَ يُمَاثَلُ وَلاَ يُضَاهَى وَبِجَعْلِهِ لَهَا قِبْلَةً ظَهَرَ فَضْلُهَا وَصَارَتِ القُلُوبُ تَمِيلُ إِلَيْهَا فِي سَائِرِ الأَوْقَاتِ وَتَهْوَاهَا وَبِنَشْأَتِهِ مِنْهَا حَبَّبَ اللَّه ذِكْرَهَا فِي الأَفْوَاهِ وَكَثَّرَ عَلَى الأَلْسُنِ مَدْحَهَا وَثَنَاهَا، وَبِنَظَرِهِ إِلَيْهَا تَنْفَرِجُ الهُمُومُ وَالغُمُومُ عَنْ أَهْلِهَا وَتَرْتَاحُ النُّفُوسُ مِنْ شَكْوَاهَا، وَبِعَوَاطِرِ صَلَوَاتِهِ وَنَوَامِي بَرَكَاتِهِ تَلُوحُ أَنْوَارُ الجَلاَلِ وَالجَمَالِ عَلَى بُقْعَتِهَا بِالبُكَرِ وَالآصَالِ وَتَغْشَاهَا، فَأَكْرِمْ بِهَا مِنْ بُقْعَةٍ هَاجَرَ الحَبِيبُ مِنْهَا إِلَى المَدِينَةِ وَمَا قَلاَهَا وَكُلَّ وَقْتٍ وَحِينٍ يَتَشَوَّقُ إِلَيْهَا وَيَذْكُرُ بَسَاتِنَهَا وَأَزْهَارَهَا وَرُبَاهَا وَزِيَارَةَ المَلاَئِكَةِ لَهُ بِهَا وَفَرَحِهِمْ (107) بِلُقْيَاهُ فِيهَا وَتَقْبِيلِهِمْ حَاشِيَةَ بِسَاطِهِ الأَنْوَرِ فِي أَرْجَائِهَا وَرِيَاض مَغْنَاهَا، وَبِحُبِّهِ لَهَا وَحُبِّهَا لَهُ طَابَتْ نُفُوسُ أَهْلِهَا وَكَثُرَتْ هِدَايَتُهَا وَرُشْدُهَا وَتَقْوَاهَا وَخُصُوصًا مَا قَالَهُ لَهُ مَوْلاَنَا تَعَالَى فِيهَا فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الحَكِيمِ:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾،

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَحْمَةِ القَاصِي وَالدَّانِ وَنُورِ بَصِيرَةِ أَهْلِ المُشَاهَدَةِ وَالعِيَانِ وَلِسَانِ فَصَاحَةِ أَرْبَابِ العُلُومِ وَالعِرْفَانِ وَكِتَابِ الوَحْيِ المُرَصَّعِ بِفَرَائِدِ الحِكَمِ وَجَوَاهِرِ عُلُومِ القُرْآنِ، صَلاَةً تُشَوِّقُ الأَرْوَاحَ إِلَى بَيْتِكَ العَتِيقِ المُشَيَّدِ البِنَاءِ وَالأَرْكَانِ البَدِيعِ الشَّكْلِ وَالصُّنْعِ وَالإِتْقَانِ الَّذِي دَعَى لَهُ نَبِيُّكَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِاليُمْنِ وَالأَمَانِ وَالعِصْمَةِ مِنْ أَرْجَاسِ المُشْرِكِينَ وَعَبَدَةِ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ وَلِأَهْلِهِ بِالعَمَلِ بِمُقْتَضَى الشَّرِيعَةِ الحَنِيفِيَّةِ وَمُتَابَعَةِ ذَلِكَ فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ وَتَقَبُّلِ الدُّعَاءِ وَالمَغْفِرَةِ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ (108) وَلِلْمُومِنِينَ فِي قَوْلِهِ:

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُومِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾،

وَينْصبُ الميزَانُ فَأَكْرِمْ بهَا مِنْ تُرْبَةٍ يمَانيَّةٍ سَعْديَّةٍ مَكِّيَّةٍ تِهَاميَّةٍ نَجْديَّةٍ خَصَّهَا مَوْلاهَا بخَصَائِص شَريفَةٍ مُرْضِيَّةٍ وَأَسْرَارٍ مُنيفَةٍ جَليلَةٍ سَنيَّةٍ وَنَسبَهَا إِلَيْهِ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهَا وَكَسَاهَا بحُلَلِ حَفيلَةٍ وَهْبيَةٍ وَحَفَّهَا ببَرَكَةٍ مُصْطَفَويَّةٍ نَبَويَّةٍ وَافْترَض حَجَّهَا عَلَى العِبَادِ وَشَرَّفَهَا بنُزُولِ الوَحْي فِيهَا عَلَى خَيْرِ البَريَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَطَّرَهَا بنَوَافِح أَنْفَاسِهِ المِسْكيَّةِ العَنْبَريَّةِ وَسَمَّاهَا بجَزيرَةِ العَرَبِ وَمَحَلِّ الطَّاعَةِ وَالقُرْبِ وَمُزيلَةِ الهُمُومِ وَالكُربِ وَرَفِيعَةِ المَقَامِ وَالرُّتَبِ وَقَاضِيَةِ الحَوائِجِ وَالأَرَبِ وَمُنْجِزَةِ الوُعُودِ وَالطَّلَبِ وَشَريفَةِ القَدْرِ وَالنَّسَبِ وَمَانِحَةِ العُلُومِ وَالأَدَبِ وَحَدِيقَةِ الزَّهْوِ وَالطَّرَبِ فَمَاؤُهَا السَّلْسَبيلُ أَحْلَى مِن ارْتشَافِ الضَّرَبِ وَبُيُوتُهَا أَفْضَلُ مِنْ بُيُوتِ الزَّبَرْجَدِ وَالقَصَبِ وَحَجَرُهَا الأَسْعَدُ (109) أَفْضَلُ مِنَ الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ وَاللُّجَيْنِ وَشُذُورِ الذَّهَبِ، فَيَا لَهَا مِنْ كَعْبَةٍ جَلِيلَةِ القَدْرِ عَطِرَةِ النَّشْرِ طَيِّبَةِ الذِّكْرِ سَنيَّةِ الفَخْرِ مُقَدَّسَةِ السِّرِّ عَظِيمَةِ الجَاهِ وَالخُطْرِ كَثيرَةِ الثَّوَابِ وَالأَجْرِ مَاحِيَةِ الخَطَا وَالوِزْرِ دَافِعَةِ الأَسْوَاءِ وَالمَكْرِ، قَالَ: فِيهَا مَوْلانَا تَعَالَى لِحَبيبهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مُحْكَمِ كِتَابهِ المُبينِ:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾،

وَقَالَ: فِيهَا خَلِيلِهِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾،

وَجعَلَ حرَمَهَا آمِنًا وَسُمِّيَتْ بذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى حِينَ قَالَ لِلسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ:

﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾،

لَمْ يُجبْهُ بِهَذِهِ المَقَالَةِ مِنَ الأَرْضِ إِلاَّ هِيَ وَلِذَلِكَ حرَّمَهَا وَقِيلَ لِأَنَّ الخَلِيلَ

(110) عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا وَضعَ الحجَرَ الأَسْعَدَ فِي الكَعبَةِ حِينَ بَنَاهَا أَضاءَ الحجَرُ يمينًا وَشمالاً وَشرْقًا وَغرْبًا فحرَّمَ اللّه الحرَمَ حَيْثُ انْتَهَى نُورُ الحجَرِ الأَسْعَدِ، وَقِيل لِأَنَّ آدمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لمَّا أُهْبِطَ إِلى الأَرْضِ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَاسْتَعَاذَ بِاللّهِ مِنْهُ فَأَرْسَلَ اللّه إِلَيْهِ مَلائِكَةً حَفُّوا بِمَكَّةَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَوَقَفُوا فِي مَوَاضِعِ أَنْصَابِ الحَرَمِ يَحْرسُونَ سَيِّدَنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَصَارَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْقِفِ المَلائِكَةِ حَرَمًا آمِنًا وَفِيهِ قَالَ مَوْلانَا تَعَالَى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾، الآيَةُ

سَلَبَ الوَجْدُ فُؤَادِي وَالحَشَى	❖	وَسَبَانِي فِي هَوَى هِنْدٌ وَمَيْ
آهٍ مِنْ نَارِ الجَوَى وَاحَسْرَتِي	❖	وَيْحَ قَلْبِي مَا يُقَاسِي مِنْهُ وَيَّ
يَا نُزُولاً بِثَنِيَّاتِ اللِّوَى	❖	لَيْتَ لَمَا غُيِّبْتُمُ عَلَى مُقْلَتِي
إِنَّ قَلْبًا أَنْتُمُ سُكَّانُهُ	❖	ذَاكَ مِنْ عَامِرٍ فِي كُلِّ حَيِّ
وَعُيُونًا لا تَرْجَى فِي الكَرَى	❖	إِنْ تَرَاكُمْ عَمِيَتْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
بَعْدَ جِيرَانِ النَّقَا لا تَسْأَلُوا	❖	مَا جَرَى فِي وَجْنَتِي مِنْ عَبْرَتِي
يَنْبَعُ الدَّمْعُ عَقِيقًا مِنْ عُيُو	❖	نِي عَلَى الجِزْعِ فَيَرْوِي الأَرْضَ رَيَّ
يَا رَعَى اللّه زَمَانًا بِالحِمَا	❖	وَأُوَيْقَاتٍ تَقَضَّتْ بِاللِّوَى
حَيْثُ تُثْنِي الطَّرْفَ مِنْهُ غَادَةٌ	❖	فَتَنَتْ أَلْحَاظُهَا غِزْلانَ طَيِّ
كَعْبَةٌ حَجَّتْ لَهَا أَرْوَاحُنَا	❖	وَهْيَ فِي الأَصْلابِ قِدَمًا يَا أَخِي (111)
عَلِقَ القَلْبُ بِهَا مُذْ كُنْتُ فِي	❖	الحِجْرِ طِفْلاً وَغُلامًا وَفَتَى
وَفِرَاقِي حُبَّهَا سَقَمًا إِلَى	❖	يَوْمِ أَلْقَى اللّه بَارِيَ كُلِّ شَيْءٍ
فَطَوَافِي فِي حِمَاهَا وَاجِبٌ	❖	مِثْلَ مَا السَّعْيُ لَهَا فَرْضٌ عَلَيَّ
عَبْدُودٍ أَنَا فِي حُبِّي لَهَا	❖	وَهْيَ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ وَقُصَيِّ
نَسَبٌ أَقْرَبُ فِي شَرْعِ الهَوَى	❖	بَيْنَنَا مِنْ نَسَبٍ مِنْ أَبَوَيَّ
لَسْتُ أَدْرِي إِذْ تَثَنَّتْ وَرَخَتْ	❖	فَطَوَتْ فِي حُسْنِهَا الأَلْبَابَ طَيًّا
هِيَ غُصْنٌ أَمْ كَثِيبٌ إِنْ نَقَا	❖	أَمْ هِلالٌ أَمْ مَهَاةٌ أَمْ ظَبْيٌ
مِنْ ثَنَايَاهَا وَقَانِي خَدُّهَا	❖	مِتُّ سُكْرًا بِالحُمَيَّا وَالمُحَى
إِنْ كَسَتْنِي مِنْ ضَنَى أَجْفَانِهَا	❖	ثَوْبَ سَقَمٍ فَهْوَ أَبْهَى حُلَّتِي

لَوْ شَكَتْ أَجْفَانُهَا مِنْ سَقَــــم ❖ أَوْ شَكَتْ تَسْلُبُ رُوحِي مِنْ يَدَيَّ

مَاتَ قَلْبِي فِي هَوَاهَـــــا وَغَدًا ❖ بِاسْمِهَا مُكْتَفِيًا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

فَإِذَا مَا سَأَلُونِــــــي فِي الهَوَى ❖ مَا بِقَلْبِ الصَّبِّ مِنْهَا قُلْتُ مَيَّ

إِنْ كَوَتْ قَلْبِي بِنِيرَانِ الجَفَـــا ❖ آخِرَ الصَّبِّ كَمَا قَدْ قِيلَ كَيْ

أَوْ شَوَتْ جِسْمِي عَلَى جَمْرِ الغَضَا ❖ قُلْتُ: سَهْلٌ فِي هَوَاهَا كُلُّ شَيْ

يَا حَيَاةَ القَلْبِ يَا مَنْ حُبُّـــــهَا ❖ أَصْـــلُ دِينِي وَهْوَ أَقْوَى حُجَّتِي

لَسْتُ أَبْغِي بَدَلًا عَنْـــــكِ فَمَا ❖ بَالُ وَاوِ الصُّدْغِ لَمْ تَعْطِفْ عَلَيَّ

يَا رَعَاكِ اللهُ كُفِّـــي عَنْ دَمِي ❖ سَهْمَ عَيْنَيْـــــكِ فَقْرًا وَمَا إِلَيَّ

مِتُّ شَوْقًا لِلْمُصَلَّـــــى فَاحْمِلُو ❖ نِي سَرِيعًا وَادْفِنُـــونِي بِاللِّوَى

وَاسْـــــأَلُوا اللهَ لِقَبْرِي رَحْمَةً ❖ بِشَفِيـــعِ الخَلْقِ مَلْجَا كُلِّ حَيِّ

أَحْمَدُ الهَادِي الرَّسُولُ المُجْتَبَــى ❖ صَفْوَةُ الرَّحْمَانِ مِنْ ءَالِ قُصَيِّ

خَيْرُ مَبْعُوثٍ بِخَيْرِ الذِّكْرِ مِـــنْ ❖ خَيْــــرِ مَنْسُوبٍ لِكَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ

قَالَ: مُؤَلِّفُهُ أَكْرَمَهُ اللهُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَّاءِ (112) وَالصَّالِحِينَ وَجَعَلَهُ مِنْ أَحِبَّائِهِ الصِّدِّيقِينَ وَأَصْفِيَائِهِ الأَوْتَادِ الرَّاسِخِينَ وَالعُلَمَاءِ العَامِلِينَ: لَمَّا فَرَغْتُ مِنْ ذِكْرِ مَكَّةَ المُنَوَّرَةِ الشَّرِيفَةِ وَالتَّنْوِيهِ بِقَدْرِهَا وَبِقَاعِهَا الطَّاهِرَةِ النَّظِيفَةِ وَذِكْرِ الأَحَادِيثِ الوَارِدَةِ فِي فَضْلِهَا وَمَآثِرِهَا الجَلِيلَةِ المُنِيفَةِ وَمُفَاخَرَتِهَا بِلِسَانِ حَالِهَا بِمَحَاسِنِهَا الرَّائِقَةِ الظَّرِيفَةِ أَرْدَفْتُ ذَلِكَ بِمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الأَئِمَّةِ مِنْ أَسْمَائِهَا المُبَارَكَةِ وَتَفْسِيرِ مَعَانِيهَا لِلتَّبَرُّكِ بِهَا وَالإِحْتِمَاءِ بِحِمَاهَا وَظِلَالِهَا الوَرِيفَةِ فَأَقُولُ إِنَّ مَكَّةَ أَعْلَى اللهُ قَدْرَهَا وَضَوَّعَ فِي أَرْجَائِهَا المُلْكَ وَالمَلَكُوتَ نَشْرَهَا وَرَفَعَ فِي حَظَائِرِ القُدُسِ وَأَعْلَا عِلِّيِّينَ ذِكْرَهَا لَهَا أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ مُبَارَكَةٌ مَعْلُومَةٌ شَهِيرَةٌ تُنِيفُ عَلَى خَمْسِينَ اسْمًا قَدِ اعْتَنَى الحُفَّاظُ بِجَمْعِهَا وَلَمْ أَرَ لِأَحَدٍ فِي تَرْتِيبِهَا وَتَفْسِيرِ أَلْفَاظِهَا وَحُسْنِ وَضْعِهَا مِثْلَ مَا رَأَيْتُ لِلشَّيْخِ العَلَّامَةِ اللُّغَوِيِّ قَاضِي اليَمَنِ مَجْدِ الدِّينِ الشِّيرَازِي حَسْبَمَا نَقَلَ عَنْهُ صَاحِبُ «شِفَاءِ الغَرَامِ فِي أَخْبَارِ البَيْتِ الحَرَامِ» وَهَا أَنَا أَذْكُرُهَا إِنْ شَاءَ اللهُ بِتَفْسِيرِهَا لَكِنَّنِي ابْتَدِئُ مِنْهَا بِمَا ذَكَرَهُ مَوْلَانَا فِي كِتَابِهِ الحَكِيمِ (113) وَسَمَّاهَا فِي أَزَلِهِ القَدِيمِ فِي قَوْلِهِ:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾،

فَبَكَّةُ بِالبَاءِ اخْتَلَفَ فِيهَا أَهْلُ العِلْمِ هَلْ هِيَ مَكَّةَ بِالمِيمِ وَهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ أَمْ كُلُّ اسْمٍ مِنْهُمَا لَهُ مَعْنًى وَحْدَهُ فَالأَوَّلُ قَوْلُ الضَّحَّاكِ وَاحْتَجَّ ابْنُ قُتَيْبَةَ لِتَصْحِيحِهِ بِأَنَّ البَاءَ تُبْدَلُ مِنَ المِيمِ كَضَرْبَةِ لازِمٍ وَلازِبٍ وَالثَّانِي اخْتَلَفَ القَائِلُونَ بِهِ فَقِيلَ بَكَّةَ بِالبَاءِ مَوْضِعُ البَيْتِ وَمَكَّةَ بِالمِيمِ القَرْيَةُ وَقِيلَ الحَرَمُ كُلُّهُ وَقِيلَ بَكَّةَ بِالبَاءِ الكَعْبَةُ وَالمَسْجِدُ وَمَكَّةُ بِالمِيمِ ذُو طَوَى وَقِيلَ بَكَّةُ بِالبَاءِ مَا بَيْنَ الجَبَلَيْنِ وَمَكَّةُ بِالمِيمِ الحَرَمُ كُلُّهُ وَقِيلَ بَكَّةُ بِالبَاءِ البَيْتُ وَمَا حَوَالَيْهِ، وَهَذِهِ الأَقْوَالُ حَكَاهَا صَاحِبُ شِفَاءِ الغَرَامِ وَتَسْمِيَةُ مَكَّةَ بِالمِيمِ قِيلَ لأَنَّهَا تَمُكُّ الفَاجِرَ أَيْ تُخْرِجُهُ وَقِيلَ لأَنَّهَا تُجْهِدُ أَهْلَهَا مِنْ قَوْلِهِمْ مَكَكْتُ العَظْمَ إِذَا أَخْرَجْتُ مُخَّهُ وَأَمَّا تَسْمِيَةُ بَكَّةَ بِالبَاءِ لأَنَّهَا تَبُكُّ أَعْنَاقَ الجَبَابِرَةِ إِذَا أَلْحَدُوا فِيهَا أَيْ تَدُقُّهَا وَالبَكُّ الدَّقُّ وَقِيلَ لازْدِحَامِ النَّاسِ بِهَا وَقَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ لأَنَّهَا تَضَعُ مِنْ نَخْوَةِ المُتَكَبِّرِينَ وَكَذَلِكَ فِي القُرْآنِ أَيْضًا أُمُّ القُرَى قَالَهُ الضَّحَّاكُ فِي تَفْسِيرِ (114) قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾،

وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ قِيلَ لأَنَّ الأَرْضَ دُحِيَتْ مِنْ تَحْتِهَا كَمَا قَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقِيلَ لأَنَّهَا أَعْظَمُ القُرَى شَأْنًا وَمِنْهَا القَرْيَةُ قَالَهُ مُجَاهِدُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾،

وَمِنْهَا البَلَدُ قَالَ تَعَالَى:

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾،

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هِيَ مَكَّةُ وَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: هِيَ مَكَّةُ، وَمِنْهَا البَلَدُ الأَمِينُ قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾،

فِيمَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: يَعْنِي مَكَّةَ، وَرَوَى ذَلِكَ بِسَنَدِهِ عَنْ زَيْدِ ابْنِ أَسْلَمَ، وَمِنْهَا البَلْدَةُ قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾،

قَالَ الوَاحِدِيُّ فِي الوَسَطِ يَعْنِي مَكَّةَ، وَقَالَهُ ابْنُ مُرْجَانَ فِي تَفْسِيرِهِ وَمِنْهَا بَلْدَةٌ قَالَهُ يَاقُوتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾،

أَرَادَ بِهَا مَكَّةَ وَمِنْهَا مَعَادٌ بِفَتْحِ المِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾،

كَمَا فِي صَحِيحِ البُخَارِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَعْنِي مَكَّةَ، انْتَهَى مَا فِي القُرْآنِ وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا النَّاسَةُ بِالنُّونِ وَالسِّينِ المُهْمَلَةِ فَذَكَرَهُ المَاوَرْدِي قَالَ: وَمَعْنَاهُ أَنَّهَا تَنُسُّ مَنْ أَلْحَدَ فِيهَا إِذْ تَطْرُدُهُ وَتُلْقِيهِ مُكَاهُ صَاحِبُ المَطَالِعِ وَالنَّوَوِي وَذَكَرَهُ (115) ابْنُ جَمَاعَةَ وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا النَّسَّاسَةُ وَتَشْدِيدِ السِّينِ الأُولَى فَهُوَ مُقْتَضَى كَلَامِ صَاحِبِ المَطَالِعِ وَالمَعْنَى فِي ذَلِكَ وَاللهُ أَعْلَمَ كَالمَعْنَى فِي النَّاسَةِ بِالنُّونِ وَالنَّسْنَاسَةُ وَالبَسَّاسَةُ وَالبَاسَّةُ وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا بِالحَاطِمَةِ فَذَكَرَهُ صَاحِبُ المَطَالِعِ وَابْنُ خَلِيلٍ وَالنَّوَوِي وَقَالُوا لِحَطِيهَا المُلْحِدِينَ وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا صَلَاحُ بِصَادٍ مُهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ وَحَاءٍ مُهْمَلَةٍ فَحَكَاهُ مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيُّ وَقَالَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَمْنِهَا وَأَنْشَدُوا قَوْلَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ لِابْنِ الحَضْرَمِيِّ.

أَيَا مَطَرُ هَلُمَّ إِلَى صَلَاحِ ❖ فَتَكْفِيكَ النَّدَامَى مِنْ قُرَيْشِ
وَتَتْرُكُ بَلْدَةً عَزَّتْ قَدِيماً ❖ وَتَأْمَنَ أَنْ يَزُورَكَ رَبُّ جَيْشِ

وَصَلَاحُ مَبْنِي عَلَى الكَسْرِ كَحِرَامُ وَقِطَامُ وَقَدْ يُصَرَّفُ وَاسْتَدَلَّ عَلَى صَرْفِهِ بِقَوْلِ أَبِي سُفْيَانَ السَّابِقِ فِي البَيْتِ وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا العَرْشُ بِعَيْنٍ مُهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ وَرَاءٍ مُهْمَلَةٍ سَاكِنَةٍ فَذَكَرَهُ كُرَاعُ فِيمَا حَكَاهُ عَنْهُ ابْنُ جَمَاعَةَ كَمَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ صَاحِبُ المَطَالِعِ، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا: العَرِيشُ بِزِيَادَةِ يَاءٍ مُثَنَّاةٍ مِنْ تَحْتِ فَذَكَرَهُ ابْنُ سِيِّدِهِ فِيمَا حَكَاهُ عِنْدَ ابْنِ جَمَاعَةَ، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا: القَادِسُ فَذَكَرَهُ صَاحِبُ المَطَالِعِ قَالَ: وَالقَادِسُ مِنَ التَّقْدِيسِ لِأَنَّهَا تُطَهِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَأَمَّا (116) تَسْمِيَتُهَا: المُقَدَّسَةُ فَذَكَرَهُ صَاحِبُ المَطَالِعِ وَالنَّوَوِي وَالمَعْنَى فِيهِ كَالَّذِي قَبْلَهُ، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا كَوْثَرُ فَذَكَرَهُ الأَزْرَقِي عَنْ مُجَاهِدٍ وَالسُّهَيْلِي وَلَمْ يَعْزُهُ صَاحِبُ

المَطَالِع وَقِيلَ كُوْثَرُ جَبَلٌ بِمنًى وَهِيَ بِكَافٍ مَضْمُومَةٍ وَثَاءٍ مُثَلَّثَةٍ، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا الحَرَمُ بِحَاءٍ وَرَاءٍ مُهْمَلَتَيْنِ فَذَكَرَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ خَلِيلٍ فِي مَنْسَكِهِ، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا: المِرْتَاجُ بِرَاءٍ مُهْمَلَةٍ وَتَاءٍ مُثَنَّاةٍ مِنْ فَوْقٍ وَأَلِفٍ وَجِيمٍ فَذَكَرَهُ المُحِبُّ الطَّبَرِي فِي شَرْحِ التَّنْبِيهِ فِيمَا نَقَلَهُ عَنِ ابْنِ جَمَاعَةَ، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا أُمُّ رُحَمٍ بِرَاءٍ مُهْمَلَةٍ مَضْمُومَةٍ فَذَكَرَهُ مُجَاهِدُ فِيمَا حَكَاهُ عَنْهُ المَاوَرْدِي لِأَنَّ النَّاسَ يَتَرَاحَمُونَ فِيهَا وَيَتَوَادَعُونَ، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا أُمُّ زُحَمٍ بِزَايٍ مُعْجَمَةٍ مِنَ الإِزْدِحَامِ فَذَكَرَهُ الرَّشَاطِي، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا أُمُّ صُبْحٍ فَذَكَرَهُ ابْنُ الأَثِيرِ فِي كِتَابِهِ «المُرَصَّعُ» عَلَى مَا وَجِدَ بِخَطِّ قَاضِي طَرَابُلُسَ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ النُّوَيْرِي، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا أُمُّ رَاحِمٍ فَذَكَرَهُ سُلَيْمَانَ ابْنُ خَلِيلٍ فِي مَنْسَكِهِ وَلَمْ يَعْزُهُ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ مَعْنًى، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا: نَشَّاقُ فَذَكَرَهُ ابْنُ رَشِيقٍ فِي (117) العُمْرَةِ، وَبَسَّاقُ بِبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ وَسِينٍ مُهْمَلَةٍ وَأَلِفٍ وَقَافٍ، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا الرَّأْسُ فَذَكَرَهُ السُّهَيْلِي وَصَاحِبُ المَطَالِعِ وَالنَّوَوِي وَقَالَ: لِأَنَّهَا أَشْرَفُ الأَرْضِ كَرَأْسِ الإِنْسَانِ وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا القَادِسِيَّةُ فَذَكَرَهُ ابْنُ جَمَاعَةَ وَلَمْ يُعْزِهِ وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا: المَسْجِدُ الحَرَامُ فَذَكَرَهُ ابْنُ خَلِيلٍ فِي مَنْسَكِهِ وَلَمْ يُعْزِهِ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ مَعْنًى، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا المُكْتَانُ فَذَكَرَهُ الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ القِيرَاطِي فِي دِيوَانِ شِعْرِهِ البَدِيعِ وَلَعَلَّهُ أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الأَسْدِي.

بِبَطْـــــنِ المَكَّتَيْنِ عَلاَ رَجَائِي ❖ حَدِيثُـكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا

وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا النَّائِبَةُ فَذَكَرَهُ الشَّيْخُ عِمَادُ الدِّينِ ابْنُ كُثَيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ مَكَّةَ النَّائِبَةُ بِالنُّونِ وَالبَاءِ، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا أُمُّ رَوْحٍ فَذَكَرَهُ ابْنُ الأَثِيرِ فِي كِتَابِهِ المُرَصَّعِ عَلَى مَا وَجِدَ بِخَطِّ شَمْسِ الدِّينِ النُّوَيْرِي وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا أُمُّ الرَّحِمِ فَذَكَرَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ المُرْجَانِي وَعَزَاهُ لِابْنِ العَرَبِي، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا أُمُّ كُوثَى فَذَكَرَهُ ابْنُ المُرْجَانِي وَلَمْ يَعْزُهُ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ مَعْنًى، وَالعَرُوضُ وَالسَّيْلُ مِثْلُ خَيْلٍ وَكَيْلٍ، وَمَخْرَجُ صِدْقٍ وَالمَبْنِيَّةُ هَذِهِ عَنْ يَاقُوتٍ وَالبَلَدُ الحَرَامُ، (118) وَحَرَمُ اللهِ تَعَالَى وَبَلَدُ اللهِ تَعَالَى وَفَارَانُ وَهَذِهِ عَنْ يَاقُوتٍ أَيْضًا، وَطَيْبَةُ وَقَرْيَةُ النَّمْلِ وَنَقْرَةُ الغُرَابِ وَقَرْيَةُ الحُمْسِ وَسَبُّوحَةٌ وَالسَّلاَمُ وَالعُرْوَى وَنَادِرَةُ وَالوَادِي وَالحَرَمُ وَبَيْتُ اللهِ وَكَعْبَةُ اللهِ وَالبَيْتُ وَالحُرْمَةُ وَالنَّجْزُ وَالفُرْشُ وَالحُرْمَةُ

بالكَسْر وَالضَّمِّ وَزَادَ بَعْضُهُمْ المَسْجِدَ الحَرَامَ وَالمَشْعَرَ الحَرَامَ وَالبَيْتَ الحَرَامَ وَبيْتَ اللّهِ وَكَعْبَةَ اللّهِ وَالبَيْتَ العَتِيقَ وَأُمَّ العَرُوضِ وَصَيْهُونَ فَهذِهِ أَسْمَاءُ مَكَّةَ الَّتي وَصَفَهَا مَوْلَانَا بِبَعْضِهَا فِي كِتَابِهِ المَكْنُونِ، وَاتَّفَقَ عَلَى جُمْلَتِهَا العُلَمَاءُ العَامِلُونَ، وَالأَئِمَّةُ العَارِفُونَ، بِالحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَاللُّغَةِ وَجَمِيعِ الفُنُونِ، نَفَعَنَا اللّهُ بِبَرَكَتِهَا وَمَتَّعَنَا بِالنَّظَرِ فِي بِقَاعِهَا المُنَوَّرَةِ قَبْلَ انْقِضَاءِ الأَجَلِ وَحُلُولِ المَنُونِ، آمِينَ آمِينَ آمِينَ وَالحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الكَلَامِ عَلَى الكَعْبَةِ العَظِيمَةِ القَدْرِ وَالشَّأْنِ، الجَلِيلَةِ المُبَارَكَةِ البِقَاعِ وَالأَوْطَانِ، وَذِكْرِ فَضَائِلِهَا المَذْكُورَةِ فِي الآثَارِ الصَّحِيحَةِ وَآيِ القُرْآنِ، (119) أَرَدْتُ أَنْ أَرْسُمَ مِثَالَهَا الشَّرِيفَ لِيَتَسَلَّى بِهِ قَلْبِي المَشْغُوفُ اللَّهْفَانُ، وَيَسْكُنَ بِهَا جَأْشُ صَدْرِي الكَثِيرِ الإِضْطِرَابِ وَالغَلَيَانِ، وَأُشَاهِدُ مِثَالَ صُورَتِهَا المُبَارَكَةِ حَيْثُمَا ذَكَرْتُهَا فِي السِّرِّ وَالإِعْلَانِ، لِأَنَّ التَّشَوُّقَ إِلَيْهَا يُنْعِشُ الأَرْوَاحَ وَالأَبْدَانَ، وَالإِهْتِمَامَ بِزِيَارَتِهَا يَزِيدُ فِي القَلْبِ حَلَاوَةَ الطَّاعَةِ وَنُورَ الإِيمَانِ، وَالوُصُولُ إِلَيْهَا يَفْتَحُ أَبْوَابَ الرِّضَى وَالرِّضْوَانِ، وَيَجْلُبُ نَوَافِحَ الرَّحَمَاتِ وَمَوَاهِبَ العَفْوِ وَالغُفْرَانِ.

مَا بَالُ قَلْبِي لَا يَقِرُّ قَرَارُهُ ❖ حَتَّى تُقْضَى مِنْ مِنًى أَوْطَارُهُ
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ شَوْقِهِ ❖ لِيَسْبِيهِ مِنْ وَادِي الحِمَى تِذْكَارُهُ
يَا سَائِقَ الأَظْعَانِ إِنْ جُزْتَ الحِمَا ❖ سَلِّمْ عَلَى مَنْ بِالمُحَصَّبِ دَارُهُ
وَاشْرَحْ لَهُ مَا يَلْتَقِي مُشْتَاقُهُ ❖ مِنْ فَرْطِ شَوْقٍ أَحْرَقَتْهُ نَارُهُ
يَصْبُو إِذَا ذُكِرَ الحَطِيمُ وَزَمْزَمُ ❖ وَالرُّكْنُ وَالبَيْتُ المُكَرَّمُ جَارُهُ
وَيَهِيمُ مِنْ شَوْقٍ يُفَتِّتُ كَبِدَهُ ❖ إِذْ عَزَّ مَلْقَاهُ وَطَالَ قَرَارُهُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ دَعَا عِبَادَهُ الأَبْرَارَ، إِلَى أَشْرَفِ بَيْتٍ وَأَعْظَمِ مَزَارٍ، وَيَسَّرَ لَهُمُ الطَّرِيقَ فِي البَرَارِي وَقَيْحِ البِحَارِ، وَجَعَلَ دَلِيلَهُمُ التَّوْفِيقَ فَبَلَغُوا القَصْدَ وَنَالُوا الأَوْطَارَ، وَأَقَامَهُمْ عَلَى بَابِهِ، وَقَرَّبَهُمْ مِنْ جَنَابِهِ، فَحَصَلَ لَهُمُ العِزُّ وَالإِفْتِخَارُ، وَعَدَهُمْ بِالضِّيَافَةِ وَالقِرَى (120) فَقَطَعُوا المَفَاوِيزَ وَالمَهَامِهَ إِلَى أُمِّ القُرَى، وَلَذَّ لَهُمُ السَّهَرُ وَهَانَتْ عَلَيْهِمُ الأَخْطَارُ، كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ، وَأَيَّدَهُمْ بِالفَتْحِ وَالقَبُولِ وَالرِّضَا وَالرِّضْوَانِ، فَطَافُوا بِالبَيْتِ ذِي الأَرْكَانِ، وَتَعَلَّقُوا بِأَذْيَالِ تِلْكَ الأَسْتَارِ، فَبَشَّرَهُمْ فِي مِنًى بِنَيْلِ المُنَى، وَأَرَاحَهُمْ فِي الخَيْفِ مِنَ الخَوْفِ وَالعَنَا، وَوَقَاهُمْ

البُؤْسَ وَالأَضْرارَ، وَرَقَّاهُمْ إِلَى عرفاتَ، لِيُكَفِّرَ عَنْهُمُ السَّيِّآتِ، وَيضْمَنَ لَهُمُ التَّبعاتِ، وَيَغْفِرَ لَهُمُ الأَوْزارَ، نَفَرُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ إِلَيْهِ، وَباتُوا بِالمُزْدَلِفَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَوَّلُوا فِي أُمُورِهِمْ كُلِّهَا عَلَيْهِ، فَأَصْبَحُوا فِي أَتَمِّ فَرَحٍ وَسُرُورٍ وَاسْتِبْشارٍ، وَهَبَ لَهُمْ سَوابِغَ الأَنْعامِ، عِنْدَ المَوْقِفِ بِالمَشْعَرِ الحَرامِ، وَكَتَبَ لَهُمْ كِتابَ العِتْقِ التَّامِّ، بِالنَّجاةِ مِنَ النَّارِ، وَكَسَرُوا نُفُوسَهُمْ، وَحَلَقُوا رُؤُوسَهُمْ، وَأَكْثَرُوا تَسْبِيحَهُمْ، وَتَقْدِيسَهُمْ، لِلْمَلِكِ القَهَّارِ، قَرَّبُوا هَدَاياهُمْ، وَنَحَرُوا ضَحَاياهُمْ، فَوَفَّرَ عَطاياهُمْ، بِقَضاءِ المَآرِبِ وَالمَواهِبِ الغِزارِ، مَحَى عَنْهُمْ صَحائِفَ الذُّنُوبِ، وَكَشَفَ عَنْهُمْ عَظائِمَ الكُرُوبِ، وَأَنالَهُمْ غايَةَ القَصْدِ وَالمَطْلُوبِ، عِنْدَ قَضاءِ (121) المَناسِكِ وَرَمْيِ الجِمارِ، فَإِذا طافُوا لِلْوَداعِ، وَعَزَمُوا عَلَى الإِرْتِجاعِ، حَثُّوا نَجائِبَ الشَّوْقِ، بِسُرْعَةِ السَّوْقِ، لِلنَّبِيِّ المُخْتارِ، فَيَا لَهُ مِنْ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ اللهُ بِالمُعْجِزاتِ وَالدَّلائِلِ، وَحَلاَّهُ بِأَسْنَى الكَمالاتِ وَالفَضائِلِ، وَانْتَخَبَهُ مِنْ أَشْرَفِ العَناصِرِ وَالقَبائِلِ، وَشَرَّفَ بِهِ نِسْبَةَ مُضَرٍ وَنِزارٍ، فَأَسْأَلُكَ يَا مَوْلاَيَ بِحُرْمَةِ نِسْبَتِهِ العَظِيمَةِ الجاهِ وَالمِقْدارِ، وَبِمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ ذاتُهُ الشَّرِيفَةُ مِنَ المَواهِبِ وَالأَسْرارِ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ السَّراتِ الأَبْرارِ، وَصَحابَتِهِ الأَجِلَّةِ الأَطْهارِ، وَأَنْ تَجْذِبَنِي بِبَرَكَتِهِ إِلَى زِيارَةِ بَيْتِكَ الكَثِيرِ الشَّوارِقِ وَالأَنْوارِ، الَّذِي مَنْ طافَ بِهِ انْحَطَّتْ عَنْهُ الخَطايا كَما تَنْحَطُّ الأَوْراقُ مِنَ الأَشْجارِ، حَتَّى أُقَبِّلَ الحَجَرَ الأَسْعَدَ وَأُعَفِّرَ خَدِّي فِي تِلْكَ البِقاعِ المُبارَكَةِ التُّرْبَةِ وَالمَزارِ، وَأُشاهِدَ هاتِيكَ المَعاهِدِ الكَرِيمَةِ المُؤَسَّسَةِ قَواعِدُها عَلَى مَناصِبِ العِزِّ وَالفَخارِ، وَانْتَشِقَ مِنْ طِيبِ رَيَّاها، وَشَذا ثَراها، نَواسِمَ النَّفَحاتِ النَّازِلَةِ مِنْ حَضْرَةِ مَوْلانَا العَزِيزِ الغَفَّارِ، وَأَلْثِمَ مَواطِئَ طالَ ما مَسَّتْها قَدَمُ خَيْرِ (122) البَرِيَّةِ وَزَيْنِ المُرْسَلِينَ الأَخْيارِ، حَيْثُ مَهْبِطُ الوَحْيِ وَتَنَزُّلُ سَحائِبِ الرَّحَماتِ الهامِيَّةِ المِدْرارِ، فَعَلَيْها مِنْ رَبِّ السَّماواتِ وَالأَرَضِينَ نَواصِيُّ البَرَكاتِ، وَأَزْكَى التَّحِيَّاتِ، بِالغُدُوِّ وَالأَصِيلِ وَالعَشِيِّ وَالإِبْكارِ.

لَيْلَةَ الوَصْـــلِ بِالمَلِيحَةِ أَهْلاً ❖ بِكِ غايَـــــةَ الأَمانِ وَسَهْلاَ
طالَ عُمْرُ الصُّدُودِ دُونَكِ حَتَّى ❖ كِدْتُ أُقْضَى أَسًى وَأُعْدَمُ عَقْلاَ
قَدْ أَشابَ الفِـــراقُ رَأْسِي حَتَّى ❖ ظَنَّنِي النَّاسُ فِي الشَّبِيبَةِ كَهْلاَ
يا لَيالِي الوِصالِ لاَصَرَمَ الدَّهْرُ ❖ لَنا بَعْــــدَما بَلَغْناكِ حَبْــلاَ
كَمْ بَكَيْناكِ بِالدُّمُــوعِ اشْتِياقًا ❖ لاَ نُبالِي فِي ذاكَ لَوْمًا وَعُــذْلاَ

وَرَكِبْنَا نَجَائِبَ السَّيْرِ نَطْوِي ❖ مِنْ قِفَارِ الأَفْكَارِ وَعِرًا وَسَهْلاً
وَلَعَمْرِي جَمِيعُ ذَلِكَ حُلْوٌ ❖ غَيْرَ أَنَّ الوِصَالَ وَاللهِ أَحْلاَ
يَا جُفُونِي لَكِ الهَنَاءُ تَقَضَّى ❖ زَمَنُ البُعْدِ وَالجَفَا وَتَخَلَّى
فَتَحَلَّيْ بِمَا تَمَنَّيْتُ هَذَا ❖ رَبْعُ مَيٍّ وَهَذِهِ مَيُّ تَجَلاَ
فَاجْعَلِي دَمْعَكِ المَصُونَ نِثَارًا ❖ فَهْوَ أَعْلَى مِنَ اللَّآلِي وَأَغْلاَ
أَتُرَى هَذِهِ مَنَازِلُ مَيٍّ ❖ عَنْ يَقِينٍ وَهَذِهِ مَيُّ أَمْ لاَ
وَبِهَا الدَّهْرُ جَامِعٌ لِمُحِبٍّ ❖ بِكِ يَا حُلْوَةَ الشَّمَائِلِ شَمْلاَ
لاَ تَلُومِي عَلَى الجَهَالَةِ صَبًّا ❖ لاَ يَرَى غَيْرَ شُغْلِهِ بِكِ شُغْلاَ
كَانَ قَبْلَ الهَوَى عَزِيزًا فَلَمَّا ❖ ذَاقَ طَعْمَ الهَوَى اسْتَكَانَ وَذُلاَّ
فَقَدَ أَبِيضَ الشِّفَاءِ نَعِيمًا ❖ وَيَعُدُّ المُلاَمُ فِي الحُبِّ جَهْلاَ
طَالَ يَا رَبَّةَ السُّتُورِ سَقَامِي ❖ عِنْدَمَا طَالَ فِي هَوَاكِ وَجَلاَ
وَأَذَابَ البِعَادُ جِسْمِي خُمُولاَ ❖ وَانْقَضَى بِالصُّدُودِ عُمْرِي وَوَلاَّ

(123)

ثُمَّ زَالَ الشَّقَا وَفُزْتُ بِوَصْلٍ ❖ مِنْكِ أَعْلَى مِنَ الحَيَاةِ مَحَلاَّ
وَبَلَغْتُ المُنَى فَلَسْتُ أُبَالِي ❖ أَقْبَلَ الدَّهْرُ بَعْدَ ذَا أَمْ تَوَلاَّ

(124)

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ مَنَحْتَهُ عِزًّا شَامِخًا وَقَدْرًا جَلِيلاً، وَأَفْضَلِ مَنْ أَوْلَيْتَهُ مَكَانًا رَفِيعًا وَمَقَامًا حَفِيلاً، الَّذِي مِنْ فَضَائِلِ زِيَارَةِ قَبْرِهِ العَظِيمَةِ، وَجَلاَلَةِ رَوْضَتِهِ الفَخِيمَةِ، مَا رُوِيَ:

«إِنَّ الكَعْبَةَ لَتَسْتَأْذِنُ رَبَّهَا فِي زِيَارَةِ قَبْرِهِ فَيَأْذَنُ لَهَا فَتَقُولُ يَا نَبِيَّ اللهِ لاَ تَهْتَمَّ بِثَلاَثَةٍ فَإِنِّي أَشْفَعُ لَهُمْ مَنْ طَافَ بِي، وَمَنْ خَرَجَ وَلَمْ يَبْلُغْنِي، وَمَنِ اشْتَهَى الوُصُولَ إِلَيَّ فَلَمْ يَجِدْ سَبِيلاً».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عِيدِ الفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَالتَّهَانِي، وَأَفْضَلِ مَنْ يُبَلِّغُ المُحِبَّ بِزِيَارَةِ قَبْرِهِ غَايَةَ المَقْصُودِ وَالأَمَانِي، الَّذِي مِنْ فَضَائِلِ زِيَارَتِهِ مَا رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:

«مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا وَلَمْ يَنْزِعْهُ إِلَّا زِيَارَتِي كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا، وَمَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي، وَمَنْ لَمْ يَزُرْ قَبْرِي فَقَدْ جَفَانِي».

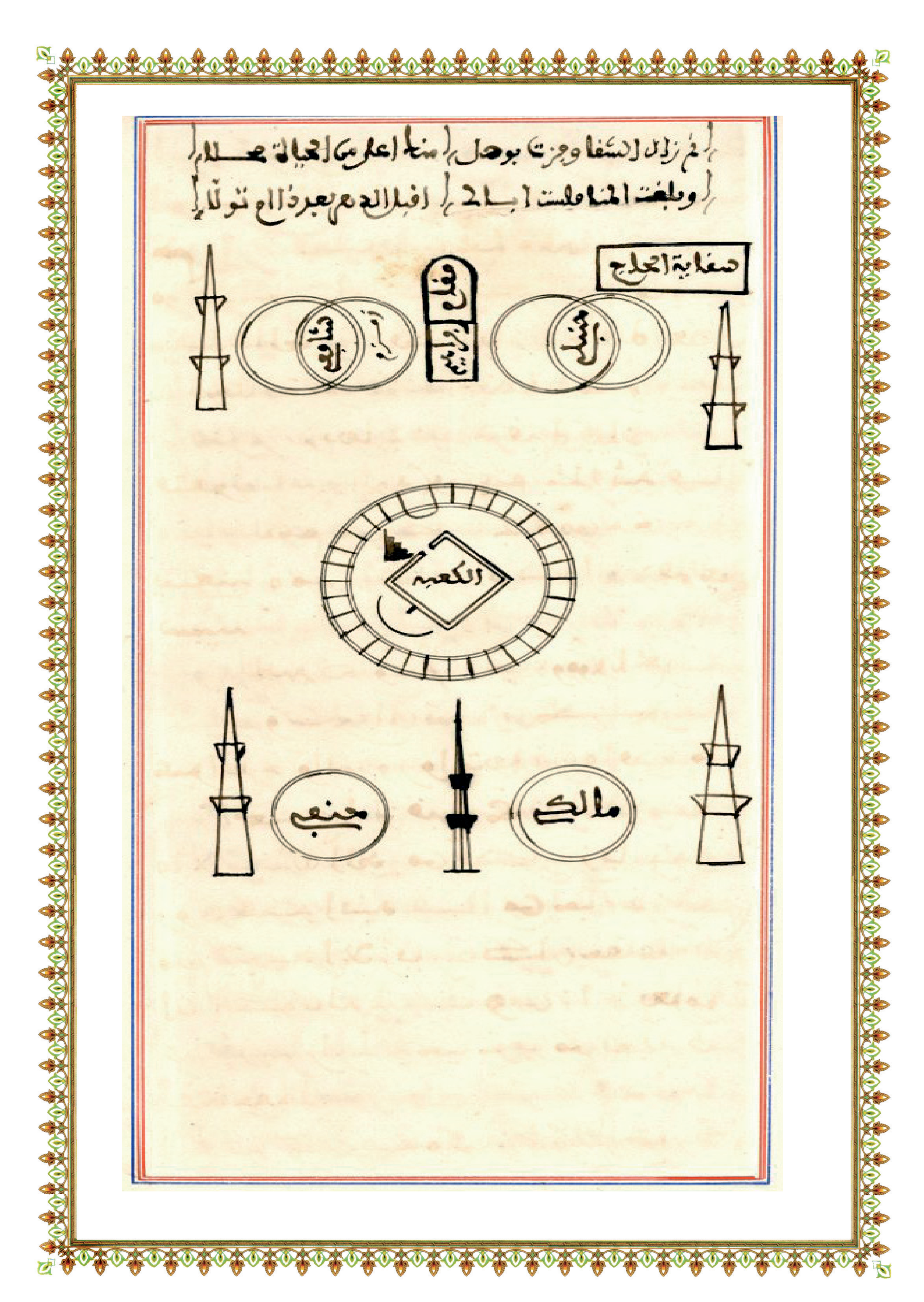
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ (125) صَفْوَةِ الأَصْفِيَاءِ وَالأَعْيَانِ، وَحَبِيبِكَ المُفَضَّلِ عَلَى الأَمْلَاكِ وَالإِنْسِ وَالجَانِ، الَّذِي مِنْ فَضَائِلِ زِيَارَتِهِ العَظِيمَةِ، مَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ العُلَمَاءِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:

«إِنَّ المَشْيَ إِلَى قَبْرِهِ الشَّرِيفِ أَفْضَلُ مِنَ المَشْيِ إِلَى الكَعْبَةِ لِأَنَّ البُقْعَةَ الَّتِي ضَمَّتْ أَعْضَاءَهُ الطَّيِّبَةَ الطَّرِيَّةَ أَفْضَلُ مِنَ العَرْشِ وَالكُرْسِيِّ».

وَكَيْفَ لَا وَقَدْ رَفَعَ اللّٰهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ، وَشَرَّفَ عَلَى سَائِرِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ قَدْرَهُ، وَقَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ، وَكَتَبَهُ عَلَى سَاقِ عَرْشِهِ، وَفِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ فَرَادِيسِ الجِنَانِ، فَيَالَهُ مِنْ شَرَفٍ مَا أَكْمَلَهُ وَأَعْلَاهُ، شَرَّفَ اللّٰهُ بِهِ نَبِيَّهُ وَحَبِيبَهُ وَمُصْطَفَاهُ، وَيَا لَهُ مِنْ مَقَامٍ مَا أَعْظَمَهُ وَأَسْمَاهُ، خَصَّ اللّٰهُ بِهِ رَسُولَهُ وَصَفِيَّهُ وَمُجْتَبَاهُ، وَأَمِينَهُ عَلَى سِرِّ وَحْيِهِ وَخَلِيلَهُ وَمُرْتَضَاهُ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلَاةً تَمُنُّ بِهَا عَلَيْنَا بِرُؤْيَةِ مَنَازِلِهِ الشَّرِيفَةِ وَمَثْوَاهُ، وَزِيَارَةِ رَوْضَتِهِ المُقَدَّسَةِ وَحُجُرَاتِهِ المُنَوَّرَةِ وَمَأْوَاهُ، بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

يَا كَعْبَةَ الحُسْنِ يَا ذَاتَ المَقَامِ وَيَا ❖ رَفِيعَةَ السِّتْرِ ذَاتَ الحَلْيِ وَالحُلَلِ
مِنْ بَعْدِ بُعْدِكِ مَا ذَاقَتْ لَذِيذَ كَرَى ❖ عَيْنِي وَهَاذِي نُجُومُ اللَّيْلِ تَشْهَدُ لِي (126)
وَنَارُ هَجْرِكِ أَوْدَتْ بِالحَشَا فَمَتَى ❖ أَوْرَيْتِ زَنْدَ الأَسَى وَالشَّوْقَ تَشْتَعِلُ
لَعَلَّ إِلْمَامَةً بِالجَزْعِ ثَانِيَةً ❖ يَدِبُّ مِنْهَا نَسِيمُ البُرْءِ فِي عِلَلِ
بِكِ افْتَتَحْتُ قَرِيضِي وَاخْتَتَمْتُ فَمَنْ ❖ لِمَدْحِ عَلْيَاهُ تَعْنُو أَوْجُهُ الغَزَلِ
مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الدِّينِ القَوِيمِ وَذُو ❖ الجَاهِ العَظِيمِ مَلَاذُ الخَائِفِ الوَجِلِ
وَأَوَّلُ الأَنْبِيَا فَضْلًا وَآخِرُهُمْ ❖ بَعْثًا وَخَيْرُ شَفِيعٍ خَاتَمُ الرُّسُلِ
وَخَيْرُ مَنْ فَاقَ أَمْلَاكَ السَّمَاءِ وَمَنْ ❖ مَشَى عَلَى الأَرْضِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلِ
مُطَهَّرُ القَلْبِ مِنْ غِشٍّ وَمِنْ دَنَسٍ ❖ مُنَزَّهُ الصَّدْرِ عَنْ زَيْغٍ وَعَنْ زَلَلِ


ثم زال الشقا وفزت بوصل ۞ منه اعلى من الحياة محلا
وبلغت المنى فلست ابالي ۞ اقبل الدهر بعد ذا ام تولا

كِتَابُـــهُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ وَمَحَـــى ❖ بِشَرْعِهِ سَائِـــرَ الأَدْيَانِ وَالمِلَـــلِ
وَكَمْ أَزَالَ بِحَـــدِّ السَّيْفِ مِنْ شُبَهٍ ❖ عَنْ دِينِ مَنْ جَلَّ عَنْ شِبْهٍ وَعَنْ مِثَلِ
أَكْرِمْ بِخُلْـــقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُـــقٌ ❖ بِالحُسْنِ مُشْتَمِلٌ بِالبِشْرِ مُكْتَمِـــلُ
يَلْقَى الوُجُودَ بِوَجْهٍ ضَاحِكٍ طَلْـــقٍ ❖ جَمُّ الحَيَا مِثْلُ زَهْرِ الرَّوْضَةِ الخَضِلِ
مَا أَمَّ عَلْيَـــاهُ مِنْ خَطْـــبٍ مُؤَمِّلِهِ ❖ إلاَّ وَأَعْطَاهُ مَا أَرْبَى عَلَـــى الأَمَلِ
شَمٌّ وَجْهُهُ البَدْرُ وَإِشْرَاقًا وَلُذْ كَرَمًا ❖ بِبَحْرِ كَفَّيْهِ تُهْدَى أَوْضَـــحَ السُّبُلِ
وَانْقُلْ عَـــنِ المَبْسَمِ العَذْبِ المُبَرَّدِ مَـا ❖ يَرْوِي الظَّمَأَ مِنْ جَنَا شَهْدٍ وَمِنْ عَسَلِ
لَوْ قَالَ قِـــفْ وَتَجَلَّى نُـورُ طَلْعَتِهِ ❖ لِلْبَدْرِ لَمْ يَسْـــرِ أَوْ لِلشَّمْسِ لَمْ تَزُلِ
يَا خَيْرَ مَنْ شَرَّفَ اللهُ الوُجُـــودَ بِهِ ❖ وَخَصَّـــهُ بِعَظِيمِ الذِّكْرِ فِي الأَزَلِ
كُنْ لِي مُجِيرًا إِذَا مَا شَبَّ جَمْرُ لَظَى ❖ وَالنَّاسُ مِنْ طُولِ يَوْمِ العَرْضِ فِي وَجَلِ
وَاشْفَعْ حَنَانَيْكَ فِي فَصْلِ القَضَاءِ إِذَا ❖ عَمَّ البَـــلاَءُ وَقَلَّتْ فِي الوَرَى حِيَلِي
فَحَيْـــثُ لاَ وَالِدَ يُغْنِـــي وَلاَ وَلَدٌ ❖ وَلاَ شَفِيـــعٌ سِوَى المُخْتَارِ يَشْفَعُ لِي
مَدَدْتُ كَفَّ افْتِقَارِي أَسْتَغِيثُ بِمَـنْ ❖ عَلَى شَفَاعَـــتِهِ الغَـــرَّاءِ مُتَّكِلِي
فَاقْبَلْ دُعَائِي وَكَفِّرْ بِامْتِدَاحِـــي مَا ❖ فَرَّطْتُ فِي نَظْـــمِ أَيَّامِ الصِّبَا الأُوَّلِ
حَوَيْتَ نَعْتًا يَضِيقُ عَنْهُ الوَصْفُ وَكَمْ ❖ أَبْدَيْتَ عَطْفًا وَتَـوْكِيدًا بِلاَ بَدَلِ (127)
وَنِلْتَ مَا لَمْ يَنَلْهُ فِي السَّمَـــاءِ مُقَرَّ ❖ بٌ سِـــوَاكَ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالجُمَلِ
عَلَيْكَ أَزْكَى صَلاَةٍ وَالسَّلاَمِ مِنَ اللهِ ❖ المُهَيْمِـــنِ فِي الإِبْكَـــارِ وَالأَصَـــلِ
مَا سَارَ عُشَّاقُ رَكْبٍ فِي صَعِيدِ نَوَى ❖ إِلَى الحِجَـــازِ وَغَنَّى القَوْمُ فِي رَمَلِ

قَالَ: مُؤَلِّفُهُ أَتْحَفَهُ اللهُ بِرِضَاهُ، وَمَنَحَهُ بَيْنَ المُحِبِّينَ وَالأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنَاهُ، وَلاَحَظَهُ بِعَيْنِ عِنَايَتِهِ وَجَعَلَ فِي أَعَالِي الفَرَادِيسِ مُسْتَقَرَّهُ وَمَثْوَاهُ: لَمَّا فَرَغْتُ مِنَ التَّشَوُّقِ إِلَى حَجِّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، وَذِكْرِ فَضَائِلِ مَكَّةَ الجَلِيلَةِ القَدْرِ وَالمَقَامِ، وَالوُقُوفِ بِعَرَفَةَ وَتِلْكَ المَشَاهِدِ العِظَامِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لأَهْلِهَا مِنَ المَوَاهِبِ وَالأُجُورِ الجِسَامِ، أَرْدَفْتُ ذَلِكَ بِكَلاَمِ بَعْضِ الأَئِمَّةِ الأَعْلاَمِ، الرَّاسِخِينَ فِي عِلْمَيِ الحَقِيقَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَجَمِيعِ الأَحْكَامِ، العَارِفِينَ بِمَنَاسِكِ الحَجِّ الحِسِّيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ وَآدَابِ زِيَارَتِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَأَزْكَى السَّلاَمِ، مُشْتَمِلاً عَلَى مَسَائِلَ أَدَبِيَّةٍ فِقْهِيَّةٍ، وَلَطَائِفِ نُكَتٍ عِلْمِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ، وَمَحَامِلِ إِشَارَةٍ عِرْفَانِيَّةٍ سُنِّيَّةٍ، ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الحَقَائِقِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالكُشُوفَاتِ النُّورَانِيَّةِ العِيَانِيَّةِ، لِيَكُونَ كَالتَّتِمَّةِ إِلَى

فَضَائِل تِلْكَ الأَمَاكِنِ المَكِّيَّةِ المَدَنِيَّةِ، وَشَرَف تِلْكَ السِّيَادَةِ المُحَمَّدِيَّةِ الأَحْمَدِيَّةِ، (128) فَأَقُولُ وَاللهُ المُسْتَعَانُ، وَمِنْهُ أَسْتَمِدُّ العَوْنَ عَلَى مَا نَطَقَ بِهِ اللِّسَانُ، وَسَطَّرَتْهُ البَنَانُ: الحَجُّ إِذَا تَعَيَّنَ فُرِضَ وَفِي وَقْتِ تَعَيُّنِ فَرْضِهِ خِلَافٌ بَيْنَ العُلَمَاءِ وَكَذَلِكَ فِي شُرُوطِهِ وَهُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ، وَدِعَامَةٌ مِنْ دَعَائِمِ الإِيمَانِ يَتْرُكُ لَهُ الأَهْلَ وَالوَلَدَ وَلَا يُشَاوِرُ الأَبَ وَالأُمَّ، وَمَا رَأَتِ الأَئِمَّةُ مِنْ أَنَّهُ يُشَاوِرُ أَبَاهُ فَإِنَّمَا ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَجِبْ فَيَكُونُ قَضَاءُ حَقِّ الأَبِ فِي تَأْنِيسِهِ أَوْلَى مِنْهُ وَلَوْ وَجَبَ مَا كَانَ لِلْأَبِ فِيهِ رَأْيٌ كَالصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَصَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ» قِيلَ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» قِيلَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»، وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ عِنْدَ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ».

الحَجُّ هُوَ القَصْدُ فَلَا تَقْصِدْ بَيْتَ رَبِّكَ حَتَّى تَقْصِدَ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَتَحَرَّكْ بِبَدَنِكَ إِلَيْهِ حَتَّى تُقْبِلَ بِقَلْبِكَ وَقَالَبِكَ عَلَيْهِ وَإِذَا أَقْبَلْتَ بِبَدَنِكَ عَلَيْهِ فَأَحْرَمْتَ وَلَبَّيْتَ فَحِلُّكَ الطَّوَافُ بِالبَيْتِ وَإِذَا أَحْرَمْتَ وَلَبَّيْتَ بِقَصْدِ القَلْبِ إِلَيْهِ فَحِلُّكَ أَنْ تَرَاهُ إِنْ شَاءَ اللهُ وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ (129) وَجَعَلَ تَرْكَ الحَجِّ لِمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ كَتَرْكِ الصَّلَاةِ لِمَنْ قَدِرَ عَلَيْهَا، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ».

وَكَذَلِكَ قَالَ: تَعَالَى فِي تَارِكِ الحَجِّ:

«وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ».

وَهَذِهِ زِيَادَةُ تَهْدِيدٍ تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ تَحْضِيضٍ، وَالعَجَبُ مِمَّنْ يَقُولُ: إِنَّ الحَجَّ لَا يَجِبُ عَلَى أَهْلِ المَغْرِبِ وَهُوَ يُسَافِرُ مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ وَيَخْرِقُ البِحَارَ وَيَقْطَعُ المَخَاوِفَ فِي مَقَاصِدَ دِينِيَّةٍ وَدُنْيَوِيَّةٍ وَالحَالُ وَاحِدَةٌ فِي الخَوْفِ وَالأَمْنِ وَالحَلَالِ وَالحَرَامِ وَإِنْفَاقِ المَالِ وَإِعْطَائِهِ فِي الطَّرِيقِ وَغَيْرِهِ لِمَنْ لَا يَرْضَى، وَالمُجَاوَرَةُ بِمَكَّةَ لَهَا فَضْلٌ عَظِيمٌ وَإِنِّي لَأَسْتَحِبُّهَا وَمَنْ يُحَاوِرُ العَبْدُ مِثْلَ رَبِّهِ وَلِمَنْ يَأْوِي وَأَكْرَمَ مِنْهُ وَمَا أَدْرِي كَيْفَ قَدَّرَ مَنْ يَقُولُ تُكْرَهُ المُجَاوَرَةُ بِمَكَّةَ وَلَقَدْ سَمِعْتُ فِي ذَلِكَ

تَعْليلاتٍ لاَ يُنَاسِبُ سَمَاعُهَا، نَعَمْ يُمْكِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ وَأَيُّهُمَا أَفْضَلُ وَمُجَاوَرَةُ مَنْ هِيَ أَكْرَمُ فَأَمَّا أَنْ يُكَرَّهَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فَحَشَى لِلَّهِ، وَالحَجُّ قِسْمَانِ رُجَّالٌ وَرُكْبَانٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

«وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا (130) وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ»،

قَالَ المُفَسِّرُونَ أَذَّنَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَأَسْمَعَهُ اللهُ جَمِيعَ الخَلْقِ بِأَنْ أَحْيَاهُمْ لَهُ فَمَنْ أَجَابَ حَجَّ وَمَنْ سَمِعَ وَلَمْ يُجِبْ أَوْ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ لَمْ يَحُجَّ، قَالَ المُحَقِّقُونَ: مَعْنَاهُ أَعْلَمُ بِالفَرْضِ عَلَيْهِمْ جَمِيعِهِمْ فَيَأْتِي مَنْ كَتَبَ حَاجًّا مِنْهُمْ فَهُوَ لَفْظُ عُمُومٍ وَالمُرَادُ بِهِ الخُصُوصُ وَبِهَذَا التَّأْوِيلِ الأَخِيرِ أَقُولُ وَإِنْ كَانَ الأَوَّلُ مُمْكِنًا قَالَ عُلَمَاؤُنَا قَدَّمَ الرَّجَّالَةَ عَلَى الرُّكْبَانِ لِوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ الرَّاجِلَ أَكْثَرُ وَقِيلَ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ، وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنَ حَنْبَلِ عَنْ تَمِيمِ الدَّارِي أَنَّهُ قَرَأَ القُرْآنَ فِي الصَّلاَةِ قَائِمًا وَقَرَأَهُ رَاكِعًا وَقَرَأَهُ سَاجِدًا وَحَجَّ خَبَبًا وَأَخْبَرَ مُحَمَّدٌ المَسْطَاطِي الصُّوفِي أَنَّهُ حَجَّ مَعَ أَبِي الفَضْلِ الجَوْهَرِي قَالَ: لَنَا أَبُو الفَضْلِ يَوْمًا فِي الطَّرِيقِ وَكُنْتُ أَرَى البَارِحَةَ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ قَدْ فُتِحَ فَنَزَلَ مِنْهُ ثَلاَثَةُ أَمْلاَكٍ بِيَدِ أَحَدِهِمْ طَسْتٌ وَبِيَدِ الآخَرِ إِبْرِيقٌ وَبِيَدِ الآخَرِ مِنْدِيلٌ فَانْتَهُوا طَرَفَ القَافِلَةِ فَقَالَ: أَحَدُهُمْ خُذْ رِجْلَي هَذَا قَالَ: نَعَمْ فَأَخْرَجَهُمَا (131) مِنْ تَحْتِ الثِّيَابِ ثُمَّ وَضَعَهُمَا فِي الطَّسْتِ وَصَبَّ صَاحِبُ الإِبْرِيقِ عَلَى الرِّجْلَيْنِ وَجَعَلَ صَاحِبُ الطَّسْتِ يَغْسِلُهُمَا حَتَّى إِذَا تَنَظَّفَتَا أَخَذَهُمَا صَاحِبُ المِنْدِيلِ وَجَفَّفَهُمَا ثُمَّ رَدَّهُمَا فِي دِثَارِهِمَا وَجَاءَ آخَرُ لِيَأْخُذَ رِجْلَيْهِ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: لاَ تَأْخُذْهُمَا هُوَ رَاكِبٌ وَتَتَبَّعُوا جَمِيعَ مَنْ هُوَ بِالقَافِلَةِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَيَّ فَمَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَ رِجْلَيَّ فَقَالَ: لَهُ صَاحِبُهُ هُوَ رَاكِبٌ فَلَمَّا فَرَغُوا بِجَمِيعِ مَنْ فِيهَا صَعَدُوا عَلَى مَرْقَاهُمْ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى غَابُوا فِيهَا فَتَفَسَّرَ لِي أَمْرٌ كُنْتُ مِنْهُ مُتَعَجِّبًا وَذَلِكَ أَنِّي خَرَجْتُ مِنَ الكُوفَةِ إِلَى مَكَّةَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ رَاكِبًا مُعَادِلاً لِأَبِي رَحِمَهُ اللهُ حَتَّى بَلَغْنَا مَكَّةَ قَضَيْنَا حَجَّنَا ثُمَّ عُدْنَا إِلَيْهَا فَلَمَّا كُنَّا بِبَطْنِ نَخْلَةٍ ضَرَبَنَا بَرَدٌ عَظِيمُ الجُرْمِ قَتَلَ كَثِيرًا مِنَ الإِبِلِ وَالنَّاسِ وَحَمَلَ وَادِي نَخْلَةَ عَلَيْنَا وَكُنَّا فِيمَنْ بَكَّرَ فَعَبَرَ فَمَنْ صَادَفَهُ السَّيْلُ وَحَمَلَهُ إِلَى الفَجْرِ فَلَمْ يُرَ أَبَدًا وَعُدْنَا نَفَرًا قَلِيلاً وَحَدَثَ فِي الجِمَالِ طَاعُونٌ تَرَى الجَمَلَ يُبْتَاعُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا فَتَأْخُذُهُ الغُدَّةُ فَيَصِيحُ

وَيَرْمِي بِنَفْسِهِ إِلَى الأَرْضِ فَيُنْحَرُ وَيَقْتَسِمُهُ النَّاسُ وَيَرْمُونَ رِحَالَهُمْ فِي البَيْدَاءِ وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ ثِيَابِهِمْ وَمَضَتْ جِمَالُنَا هَكَذَا، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ بَيَّنَاهُ فِي كِتَابِ (132) تَرْتِيبِ الرِّحْلَةِ وَدَعَتِ الضَّرُورَةُ إِلَى أَنْ أَمْشِيَ رَاجِلاً مِنْ بَيْدَ إِلَى الكُوفَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرْحَلَةً لِمَوْتِ الجِمَالِ وَمَعَنَا الكِرَاءُ لَوْ وَجَدْنَا الجِمَالَ لَكِنَّ الطَّاعُونَ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَرَمَيْنَا جَمِيعَ مَا كَانَ مَعَنَا وَلَمْ يَبْقَ عَلَيَّ إِلاَّ لِبَاسِي وَكُنْتُ أَمْشِي مَعَ أَصْحَابِنَا مِنَ الطَّلَبَةِ نَتَذَاكَرُ وَنَتَنَاظَرُ وَنَتَسَلَّى عَلَى الرَّجْلَةِ النَّهَارَ كُلَّهُ حَتَّى إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ وَقَعْتُ عَلَى اسْمِ المَيِّتِ وَأَوْقَدْنَا النَّارَ وَقَطَّعْنَا لَحْمَ أَرْجُلِنَا وَكَوَيْنَاهُ بِالشَّحْمِ وَرَبَطْنَاهَا بِالخِرَقِ أَضْطَجِعُ وَأَقُولُ هَذَا أَمْرُ قَدَرِي الَّذِي يَبْعَثُنِي اللَّهُ مِنْهُ وَأَنَامُ فَإِذَا أَصْبَحْتُ وَجَدْتُ خِفَّةً وَكَأَنِّي لَمْ أَكُنْ رَجُلَ البَارِحَةِ فَإِذَا أَخَذْتُ فِي المَشْيِ عَادَتْ قُوَّتِي وَتَصَلَّبَ لَحْمِي الأَحْمَرُ عِنْدَ مِشْيَتِي وَكَانَتْ هَذِهِ عَادَتِي فِي نَهَارِي وَلَيْلَتِي وَأَنَا أَتَعَجَّبُ مِنْ وُثُوبِ تَجَلُّدِي وَقُوَّتِي بَعْدَ ذَهَابِ لَحْمِي وَجِلْدَتِي حَتَّى حُدِّثْتُ بِهَذَا الحَدِيثِ فَعَلِمْتُ يَقِينًا صِحَّةَ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلأَشْعَرِيِّينَ:

«لَسْتُ أَنَا حَمَلْتُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَمَلَكُمْ»،

وَرَأَيْتُ قَوْلَ البُخَارِيِّ بَابُ مَنْ حَدَّثَ عَنْ مَشَاهِدِهِ فِي الحَرْبِ وَأُدْخِلَ عَنْ (133) طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ أَنَّهُ تَرَّسَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ فَحَدَثَتْ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الرَّجْلَةَ أَفْضَلُ الحَدِيثُ الصَّحِيحُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ حَرَّمَهُمَا اللهُ عَلَى النَّارِ»،

فَإِنْ رَكِبَ فَلْيَرْكَبْ عَلَى رَحْلٍ مُخْتَصَرٍ فَقَدْ قَالَ البُخَارِي: حَجَّ أَنَسٌ عَلَى رَحْلٍ وَلَمْ يَكُنْ شَحِيحًا يَعْنِي أَنَّهُ آثَرَ التَّوَاضُعَ لأَنَّهُ مَوْضِعُ شَعَثٍ وَخَشْيَةٍ وَخُرُوجٍ عَنِ الهَيْئَةِ وَالبِزَّةِ، قَالَ: وَإِنَّمَا حَجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاكِبًا لِئَلاَّ يَشُقَّ عَلَى أُمَّتِهِ وَطَافَ رَاكِبًا لِيَرَى جَمِيعُ النَّاسِ فِعْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِي نا مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلاَنَ نا أَبُو دَاوُودَ الجَعْدِي عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ صُبَيْحٍ عَنْ يَزِيدِ بْنِ إِبَّانَ عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَجَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ لاَ تُسَاوِي أَرْبَعَةَ

دَراهِمَ، فَقَالَ:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةَ».

وَحجَّ بَعْضُ الصُّوفِيَةِ سَبْعِينَ حَجَّةً مَاشِيًا فَلَمَّا كَانَ فِي آخرِهَا قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي (134) أَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ آخِرَ حُجَجٍ فَإِنْ كُنْتَ قَبِلْتَهَا أَوْ قَبِلْتَ مِنْهَا شَيْئًا فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي أَنِّي تَصَدَّقْتُ بِهَا عَلَى الْمُذْنِبِينَ مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْمَوْقِفِ فَرَأَى اللهَ تَعَالَى فِي الْمَنَامِ فَقَالَ لَهُ أَعَلَيْنَا تَتَسَخَّى أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ وَلَكَ، وَقَدْ قِيلَ لِإِبْنِ عُمَرَ: مَا أَكْثَرَ الْحُجَّاجَ فَقَالَ: مَا أَقَلَّهُمْ، نَظَرَ الْأَوَّلُ إِلَى كَثْرَةِ الرَّكْبِ وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى قِلَّةِ الْمُخْلِصِ، وَكَانَ الرَّمْغَانِي بِعَرَفَةَ إِذْ رَأَى ذَلِكَ الْجَمْعَ الْعَظِيمَ يَجْرَأُونَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اقْبَلْنِي مَعَهُمْ وَإِنْ كُنْتُ زَائِفًا فَقَدْ يَسْمَحُ النَّافِدُ وَإِنْ كَانَ عَارِفًا وَالْحَاجُّ عِنْدَ الْجَمِيعِ مَنْ عَقَدَ بِقَلْبِهِ رَفْضَ الدُّنْيَا كَمَا رَفَضَهَا بِلِبَاسِهِ وَأَنْ يَتَجَرَّدَ لِلْمَوْلَى كَمَا تَجَرَّدَ عَنْ زِينَةِ الدُّنْيَا وَيَنْبُذَ كُلَّ طَرِيقٍ وَيَرْجِعَ إِلَيْهِ بِالتَّحْقِيقِ وَإِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْأَدْنَاسِ الظَّاهِرَةِ فَلْيَغْسِلْ قَلْبَهُ مِنَ الْأَوْصَافِ الْبَاطِنَةِ وَإِذَا اسْتَجَابَ بِلِسَانِهِ بِالتَّلْبِيَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَجِيبَ كُلُّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَإِذَا بَلَغَ الْمَوْقِفَ وَقَفَ بِقَلْبِهِ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْرَحْ كَمَا لَا يَسْرَحُ بَدَنُهُ وَإِذَا عَرَّفَ تَصَرَّفَ إِلَى اللهِ بِتَبَرِّيهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا هُوَ (135) وَاعْتَرَفَ بِتَقْصِيرِهِ عَنْ حَقِّهِ فَيَتَعَرَّفُ اللهُ إِلَيْهِ بِأَفْضَالِهِ عَلَيْهِ فَإِذَا بَلَغَ الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ اسْتَشْعَرَ بِالْمِنَّةِ فِي التَّيْسِيرِ لِسُلُوكِ تِلْكَ الْمَقَامَاتِ وَاسْتَشْعَرَ الْقَبُولَ أَوِ الرَّدَّ وَإِذَا بَلَغَ مِنًى نَفَى عَنْ قَلْبِهِ كُلَّ هَوًى وَمَنًّى إِلَى الْمَوْلَى وَإِذَا رَمَى الْجِمَارَ فَلْيُلْزِمْ نَفْسَهُ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ بِخَلْعِ كُلِّ لَهْوٍ يَتَعَلَّقُ بِهَا وَشَهْوَةٍ تَنْزَعُ إِلَيْهَا وَإِذَا دَخَلَ الْحَرَمَ فَلَا يَصِحُّ لَهُ بَعْدُ أَنْ يَقْرَبَ إِلَى مُحَرَّمٍ وَهُوَ أَحَدُ التَّأْوِيلَيْنِ فِي قَوْلِهِ الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدَ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةُ فَقِيلَ بِرُّهُ بِأَنْ لَا يَعْصَى بَعْدَهُ وَقِيلَ أَنْ لَا يَعْصَى فِيهِ لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾،

وَإِذَا رَأَى الْبَيْتَ بِعَيْنِهِ فَلْيَرَ رَبَّ الْبَيْتِ بِقَلْبِهِ وَإِذَا حَلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ بِالطَّوَافِ فَلَا يَحُلُّ عُقَدَ الْقَلْبِ إِلَّا بِأَنْ تُدَارَ عَلَيْهِ الْأَكْوَاسُ فِي الْجَنَّةِ وَتُطَافُ كَمَا خَرَجَ مِنْ

بَيْتِهِ إلَى بَيْتِ رَبِّهِ فَلْيَخْرُجْ مِنَ البَيْتِ إِلَى اللهِ بِقَلْبِهِ، وَالحَاجُّ هُوَ الأَشْعَثُ الأَغْبَرُ فِي لِبَاسِهِ وَجِلْدِهِ هُوَ أَشْعَثُ القَلْبِ الأَغْبَرُ الَّذِي لاَ يَمِيلُ إِلَى مَنَاظِرِ الدُّنْيَا وَقَدْ قَالَ: فَتْحُ المُوصِلِيُّ (136) فِي هَذَا المَعْنَى أَبْيَاتًا وَهِيَ:

إِلَيْكَ حَجِّي لاَ لِلْبَيْتِ وَالأَثَـر ❖ وَفِيكَ سَعْيِي لاَ لِلرُّكْنِ وَالحَجَر

صَفَاءُ وِدٍّ صَفَايَ حِينَ أَعْبُـرُهُ ❖ وَزَمْزَمُ دَمْعَتِي تَجْرِي مَعَ المَطَر

عَرَفَاتُــهُ عَرَفَاتِي وَالمُنَى بِمِنًى ❖ وَمَوْقِفِي وَمَقَامِي دُونَهُمْ خَطَر

وَجَمْرُ قَلْبِي جِمَارِي حِينَ أَقْذِفُهُ ❖ وَالهَوَى جِسْمِي الَّذِي يُغْنِى عَنِ الجُزُر

زَادِي رَجَائِي لَهُ وَالشَّوْقُ رَاحِلَتِي ❖ وَالمَاءُ مِنْ عَبَرَاتِي وَالهَوَى سَمَرِي

وَقَدْ قَالَ العُلَمَاءُ إِنَّهُ لاَ تُعَارِضُ التِّجَارَةُ نِيَّةَ الحَجِّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾،

قَالُوا هِيَ التِّجَارَةُ فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ، وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُودَ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ التَّمِيمِي قَالَ: كُنْتُ رَجُلاً أَكْرِي فِي هَذَا الوَجْهِ وَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: لَيْسَ لَكَ حَجٌّ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: أَلَسْتَ تُحْرِمُ وَتُلَبِّي وَتَطُوفُ بِالبَيْتِ وَتُفِيضُ مِنْ عَرَفَاتَ وَتَرْمِي بِالجِمَارِ قُلْتُ: بَلَى قَالَ: فَإِنَّ لَكَ حَجًّا، جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنْ مِثْلِ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُجِبْ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَيْهِ وَقَالَ: لَكَ حَجٌّ وَمَنْ قَطَعَ مَسَافَةً مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ وَمِنَ المَغْرِبِ إِلَى المَشْرِقِ لِقَصْدِ البَيْتِ فَإِنْ قَطَعَ العُمْرَ قَطَعَ مَسَافَةً إِلَى (137) يَسْتَقْصِرُهَا إِلاَّ الَّذِينَ لاَ يُوفُونَ، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى البَيْتِ لِتَشْهَدَ مَنَافِعَ لَكَ فَالمَنَافِعُ الَّتِي تَشْهَدُهَا مِنْ رَبِّكَ أَعْظَمُ مِنَ الَّتِي تَشْهَدُهَا مِنْ بَيْتِهِ وَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ قَدْرَ الحُبِّ وَلاَ سَبَبَهُ إِلاَّ مَنْ حَجَّ فَيَدْخُلُ مَكَّةَ فَيَرَى وَادِيًا غَيْرَ ذِي زَرْعٍ، رَمْلٌ مُنْهَالٌ، وَبَلَدٌ غَيْرُ مِيهَالٍ، وَسَطُهُ بَيْتٌ مَبْنِيٌّ مِنْ حِجَارَةٍ سُودٍ غَيْرُ عَالِي البِنَاءِ وَلاَ مَرْصُوفُ البِنَاءِ فِي أَحْدَارٍ كَأَنَّهُ حَجَرٌ أَسْوَدُ أَمْلَسُ قَدْ حَفَّهُ حَبْلاَنِ أَسْوَدَانِ مِنْ حِجَارَةٍ حُرْشٍ لاَ مَاءَ وَلاَ مَرْعَى فَيَدْخُلُ القَلْبَ مِنْ مَحَبَّتِهِ، مَا لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى صِفَتِهِ، وَيَغْلِبُ النَّفْسَ مِنْ هَيْبَتِهِ، مَا يَكَادُ يَقَعُ مِنْ خَشْيَتِهِ، فَيَجْرِي الدَّمْعُ عَلَى وَجْنَتِهِ، وَلاَ يَدْرِي مَا هَذِهِ العَلاَقَةُ بِمُهْجَتِهِ، وَكُلَّمَا ابْتَعَدَ

البَصَرُ تَضاعَفَتْ فِيهِ البَصِيرَةُ، وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ الصُّوفِيِّ قَالَ: حَجَجْنَا مَعَ الشَّيْخِ أَبِي الفَضْلِ الجَوْهَرِي وَذَكَرَ حَدِيثًا بَيَّنَاهُ فِي تَرْتِيبِ الرِّحْلَةِ فَلَمَّا دَخَلْنَا مَكَّةَ وَوَلَجْنَا المَسْجِدَ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ وَعَايَنَ البَيْتَ أَخْضَلَ الدَّمْعُ مَعَ شَيْبِهِ وَجَعَلَ يَمْشِي إِلَيْهِ خَاشِعًا، وَيَتَرَقَّى مُتَوَاضِعًا، (138) فَلَمَّا دَخَلَهُ وَعَايَنَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الحُلَلِ الدِّيبَاجِيَّةِ وَالأَنْمَاطِ الإِسْتِبْرَاقِيَّةِ، أَنْشَدَ:

مَا عُلِّقَ الدُّرُّ عَلَى نَحْرِهَا ❖ إِلاَّ لِمَا يَخْشَى مِنَ العَيْنِ
تَقُولُ وَالدُّرُّ عَلَى نَحْرِهَا ❖ مَنْ عَلَّقَ الشَّيْنَ عَلَى الزَّيْنِ

ثُمَّ قَالَ: فَوَالَّذِي يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ إِنَّهَا لَمُتَجَرِّدَةٌ أَجْمَلُ مِنْهَا بِتِلْكَ الحُلَلِ المَكْسُوَّةِ وَمَا شَبَّهَهَا فِي فَضْلِ جَمَالِهَا مُتَجَرِّدَةً عَلَى جَمَالِهَا مَكْسُوَّةً إِلاَّ بِمَا قَالَ: عَلِيُّ بْنُ عَبَّاسٍ: (شِعْرٌ)

وَأَحْسَنُ مِنْ عِقْدِ العَقِيلَةِ جِيدُهَا ❖ وَأَحْسَنُ مِنْ سِرْبَالِهَا المُتَجَرِّدِ

وَلَقَدْ كُنْتُ أُلْصِقُ خَدِّي بِجُدْرَانِهَا مَعَ قُصَّتِهَا وَكَأَنَّهَا خَدُّ جَارِيَةٍ زَهْرَاءَ وَأَمَّا اسْتِصْلاَحُ الحَجَرِ، فَوَالَّذِي خَلَقَ المَاءَ وَالحَجَرَ، إِنَّهُ لأَلَذُّ فِي قَلْبِي مِنْ رَشْفِ رُضَابِ الكَوَاعِبِ، حَقِيقَةٌ لِلعَازِبِ، وَلاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تُدْرِكُوا حَقِيقَةَ ذَلِكَ بِالصِّفَةِ حَتَّى تُعَايِنُوهُ كَمَا لاَ يُمْكِنُ تَعْرِيفَ العِنِّينِ لَذَّةَ الجِمَاعِ بِالوَصْفِ وَالتَّمْثِيلِ حَتَّى يُبَاشِرَهُ وَكَانَ الأُسْتَاذُ القَاسِمُ القُشَيْرِي يُنْشِدُ:

لَسْتُ مِنْ جُمْلَةِ المُحِبِّينَ إِنْ لَمْ ❖ أَجْعَلِ القَلْبَ بَيْتَهُ وَالمَقَامَا
وَطَوَافِي إِجَالَةُ السِّرِّ فِيهِ ❖ وَهُوَ رُكْنِي إِذَا أَرَدْتُ اسْتِلاَمَا

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِ البَيْتِ إِلاَّ اسْتِوَاءُ الخَلْقِ فِيهِ قَالَ تَعَالَى:

﴿سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ وَالبَادِ﴾،

وَإِنَّمَا (139) يُعْتَبَرُ فِيهِ السَّبْقُ وَالتَّقَدُّمُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مِنًى مَنَاخُ مَنْ سَبَقَ فَلاَ مَزِيَّةَ هُنَالِكَ إِلاَّ لِلسَّابِقِينَ، وَمَنَازِلُ الكِرَامِ تَسْتَوِي فِيهَا الأَقْدَامُ، فَلاَ تَرْتِيبَ فِيهَا إِلاَّ بِالأَعْمَالِ، وَلاَ صَدَّ وَلاَ طَرْدَ وَإِنَّمَا هُوَ كُلُّهُ وِصَالٌ

وَاتِّصالٌ، فَإذَا وَصلَ العَبْدُ إلَيْهِ، فَلِيُكْثِرْ بِذِكْرِ مَنْ قَصدَ إلَيْهِ، وَلِيَسْتَوْفِ مَنَافِعَهُ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ، كَمَا قَدَّمْنَا وُجُوهَهَا وَهِيَ مَنَافِعُ الآخِرَةِ، لَيْسَ لِلدُّنْيَا فِي ذَلِكَ حَظٌّ وَلِيَنْحَرُوا هَدَايَاهُمْ لِيُطْعِمُوهَا الفُقَرَاءَ إحْيَاءً لِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبِ مِلَّتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ وَتَكُونُ مَطَايَاهُمْ إلَى الجَنَّةِ بَلْ يَوْمَ رِحْلَتِهِمْ وَيَأْخُذُوا فِي قَضَاءِ التَّفْثِ وَهَذَا حَرْفٌ لَمْ يَعْلَمْهُ إلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ قَالَ مَالِكٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَحَقِيقَتُهُ عِنْدِي تَمَامُ العِبَادَةِ لِتَطْهِيرِ البَدَنِ وَالقَلْبِ وَذَلِكَ الوَفَاءُ بِالنَّذْرِ لأَنَّهُ عَقَدَ النِّيَّةَ بِقَلْبِهِ فِي الإحْرَامِ وَنَطَقَ بِلِسَانِهِ فَإنْ عَقَدَ التَّوْبَةَ فَلاَ يَحُلُّهَا وَيُنْقِضُهَا وَيَرْجِعُ إلَى العِصْيَانِ وَمَنْ عَقَدَ اعْتِنَاقَ الطَّاعَةِ فَلاَ يَحُلُّ يَدًا عَنْ عَانِقٍ، وَإذَا (140) طَافَ بِالبَيْتِ فَمَعْنَاهُ قُصُورُ الأَمَلِ عَلَيْهِ فَلِيَقْتَصِرْ بِأَمَلِهِ عَلَى اللهِ وَلاَ يُعَلِّقُهُ بِسِوَاهِ وَلِيُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ، وَفِي الحِكْمَةِ مَا زَنَى غَيُورٌ وَلاَ فَجَرَ صَاحِبُ حُرْمَةٍ، وَقَالَ أَهْلُ الزُّهْدِ: تَرْكُ الخِدْمَةِ يُوجِبُ العُقُوبَةَ وَهَتْكُ الحُرْمَةِ يُوجِبُ النِّقْمَةَ، وَلاَ يُرْجَى هَاتِكُ الحُرْمَةِ فَإنَّ فِيهِ اسْتِخْفَافًا يَرْجِعُ إلَى الإنْكَارِ وَالتَّعْظِيمِ مِنْ تَقْوَى القَلْبِ كَمَا أَنَّ الكَفَّ عَنْ مُلاَبَسَةِ الفَوَاحِشِ مِنْ تَقْوَى الجَوَارِحِ، وَمِنْ لُطْفِ البَارِي وَتَمْكِينِ الشَّرَائِعِ فِي القُلُوبِ وَتَحْبِيبِهَا إلَى الخَلْقِ تَعْلِيقُهَا بِالعِبَادَةِ فَإنَّ النَّفْسَ القَاصِرَةَ لَهَا أُلْفَةٌ وَالنَّفْسُ الكَرِيمَةُ هِيَ تَعْرِفُ مَقَادِيرَ المُنَى المُسْتَأْنَفَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾،

وَالشَّرَائِعُ مُتَّفِقَةٌ عَلَى المَعَارِفِ مُخْتَلِفَةٌ فِي الطَّاعَاتِ بِحَسَبِ مَا عَلَّمَ اللهُ مِنَ المَصَالِحِ فَقَوْمٌ ثَقَّلَ وَضَاعَفَ الإصْرَ وَقَوْمٌ خَفَّفَ وَضَاعَفَ الأَجْرَ وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾،

أَمْرٌ مِنْهُ لِلْكُلِّ بِأَنْ يَسْتَسْلِمُوا الحِكْمَةَ بِلاَ اسْتِكْرَاهٍ (141) وَلاَ ضَجَرٍ فِي القَلْبِ وَلاَ فِي الكَلاَمِ وَذَلِكَ بِتَصْفِيَةِ الأَعْمَالِ مِنَ الآفَاتِ، وَتَصْفِيَةِ الأَخْلاَقِ مِنَ الكَدَرَاتِ، وَتَصْفِيَةِ الأَحْوَالِ مِنَ التَّفْرِيطَاتِ، حَتَّى يَكُونَ مِنَ المُخْبِتِينَ وَهُوَ الإسْمُ المُسْتَدِيمُ لِلطَّاعَةِ بِشَرْطِ الإسْتِقَامَةِ عَلَى الإسْتِطَاعَةِ وَعَلاَمَتُهُ الوَجَلُ عِنْدَ ذِكْرِ اللهِ مَخَافَةَ الرَّدَى أَوْ حَذَرًا مِنْ سُوءِ العَاقِبَةِ أَوْ تَوَقُّعًا لِلْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى غَفْلَةٍ، مِنْ غَيْرِ

اسْتِعْدَادٍ وَأُهْبَةٍ، أَوْ حَيَاءً مِنَ اللهِ إِذَا ذُكِرَ اطِّلاعُهُ عَلَيْهِ وَقَدْ يَقَعُ مِنْهُ مَالاَ يُحِبُّهُ أَوْ يَغْفَلُ عَنْهُ وَهُوَ لاَ يَنْسَاهُ بِنِعَمِهِ وَلُطْفِهِ أَوْ خَوْفًا مِنَ الْمَكْرِ وَالإِسْتِدْرَاجِ وَأَقْرَبُ الخَلْقِ إِلَى اللهِ تَعَالَى قَلْبًا أَكْثَرُهُمْ لَهُ خَوْفًا وَمِنْ عَلامَاتِ الْمُخْبِتِينَ الصَّبْرُ عَلى مَا أَصَابَهُمْ وَحَمِدُوا تَحْتَ جَرَيَانِ الْمَقَادِرِ وَلَمْ يَكْرَهُوا مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ التَّقْدِيرِ، وَفِي طَلَبِ الفَرَجِ مِنْهُ اخْتِلاَفٌ بَيْنَهُمْ فَمِنْهُمْ مَنْ سَأَلَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ سَأَلَ الزِّيَّادَةَ فِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَوَقَّفَ عَلَى الْمِقْدَارِ وَذَلِكَ كُلُّهُ بِطُرُقِهِ وَأَخْبَارِهِ مَذْكُورٌ فِي أَنْوَارِ الفَجْرِ وَتَحْقِيقُهُ عِنْدِي أَنَّ سُؤَالَ الفَرَجِ جَائِزٌ عَلَى الإِطْلاَقِ فَإِنْ كَانَ لإِقَالَةِ العَثْرَةِ وَاسْتِدْرَاكِ مَا فَرَطَ مِنْ زَلَّةٍ أَوْ وَقَعَ مِنْ غَفْلَةٍ فَإِنَّهُ عِبَادَةٌ وَمِنْ عَلاَمَاتِهِمُ الفَزَعُ (142) إِلَى الصَّلاَةِ عِنْدَ الخَوْفِ وَالرَّجَا وَالوُقُوفِ أَبَدًا عَلَى بَابِ النَّجْوَى وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ القَائِلِ.

إِذَا مَا تَمَنَّى النَّــــاسُ رُوحًا وَرَاحَةً ❖ تَمَنَّيْتُ أَنْ أَشْكُوَ إِلَيْكَ وَتَسمَعَا آخَرُ
إِذَا مَا تَمَنَّى النَّاسُ رُوحًا وَرَاحَــــةً ❖ تَمَنَّيْــــتُ يَا رَبَّاهُ أَلْقَــــاكَ خَالِيًا

وَمِنْ عَلاَمَاتِهِمْ إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي مَرْضَاتِهِ فَيُسَلِّمُ بَدَنَهُ لِلْعِبَادَةِ وَمَالَهُ لِلصَّدَقَةِ كَمَا فَعَلَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ جَاءَ بِجَمِيعِ مَالِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ فَقَبِلَهُ رَسُولُ اللهِ مِنْهُ وَجَاءَ غَيْرُهُ بِهِ فَقَبِلَ مِنْهُ الثُّلُثَ وَعُومِلَ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى مِقْدَارِ قَلْبِهِ، وَمِنْ جُمْلَةِ الإِنْفَاقِ وَأَشْرَفِهِ البُدْنُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ مِنَ الشَّعَائِرِ وَحَظُّ القِسْمِ الرَّابِعِ مِنْهَا مَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ فِي التَّذْكِيرِ الآنَ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ فِيهَا خَيْراً مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا الرُّكُوبُ لَهَا وَالحَمْلُ عَلَيْهَا وَالشُّرْبُ لأَلْبَانِهَا وَأَكْلُ لُحُومِهَا وَالانْتِفَاعُ بِوَبَرِهَا وَالإِعْتِبَارُ بِخَلْقِهَا كَيْفَ سُخِّرَتْ عَلَى قُوَّتِهَا وَجُثَّتِهَا وَتَنْقَادُ لِلصَّغِيرِ مَعَ كِبَرِهَا تَنْوِيخًا وَرُكُوبًا وَحَمْلاً وَنُزُولاً وَنَحْرًا لاَ تَسْتَطِيعُ نَفْعًا وَلاَ ضُرًّا وَصَبْرُهَا عَلَى العَطَشِ عَشْرًا وَاجْتِزَاؤُهَا بِالعَلَفِ اليَسِيرِ وَسُرُورُهَا بِالحِدَا وَاسْرَاحَتُهَا وَنَشَاطُهَا بِالصَّوْتِ الحَسَنِ (143) مَعَ كَثَافَةِ أَبْدَانِهَا وَغِلَظِ أَكْبَادِهَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ غَرَائِبِهَا وَفَائِدَةِ نَحْرِهَا مَا قَدَّمْنَاهُ وَمِنْ فَوَائِدِهَا إِطْعَامُ القَانِعِ وَهُوَ عِنْدَ الزَّاهِدِ الَّذِي أَلْقَى جِلْبَابَ الحَيَاءِ وَكَشَفَ صَفْحَتَهُ لِلسُّؤَالِ وَالْمُعْتَرِّ الَّذِي يَتَجَمَّلُ وَيَتَحَمَّلُ وَقَلْبُهُ مِنَ الحَيَاءِ قَاتِمٌ، وَهُوَ لِسِرِّهِ كَاتِمٌ، وَفَائِدَتُهَا أَيْضًا ظُهُورُ التَّقْوَى مِنْكُمْ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ وَالْمُبَادَرَةُ إِلَى حُدُودِهِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ

إِكْبَارُكُمْ بِهِ لِتَكْبِيرِكُمْ لِذِكْرِهِ فَبَشَّرَكُمْ رَسُولُهُ إِذَا أَحْسَنْتُمْ بِأَنْ يَسْتَوِيَ مَا أَسْرَرْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمِنْ عَلامَاتِهِمُ العُظْمَى عِنْدَ أَهْلِ الزُّهْدِ أَنْ لا يَشْتَغِلَ قَلْبُكَ عَنْ أَمْرِ رَبِّكَ وَأَنْ يَكُونَ عَمَلُكَ لَهُ كُلُّهُ بِلَذَّةٍ مِنْ نَفْسِكَ كَمَا كُنْتَ تَلَذُّ قَبْلَ ذَلِكَ بِذِكْرِ آبَائِكَ وَمَنَاقِبِهِمْ، وَسَلَفِكَ وَأَيَّامِهِمْ، فَإِنْ كَانَ لِآبَائِكَ حَقُّ التَّرْبِيَةِ فَأَنَا رَبُّهُمْ وَرَبُّكُمْ فَإِنْ كَانَ الفَخْرُ فَبِي فَلْتَفْخَرُوا وَبِمَا عِنْدِي فَلْتَفْرَحُوا وَتَدَّخِرُوا وَإِنْ كَانَ لِلْبِرِّ فَأَنَا البَرُّ وَهُوَ لِي أَوْجَبُ وَإِنْ كَانَ لِأَسْلافِكُمْ مَنَاقِبُ فَأَنَا اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى وَإِنْ كُنْتُمْ لا تَمَلُّوا مِنْ ذِكْرِ آبَائِكُمْ فَأَنَا أَحَقُّ أَنْ لا يُمَلَّ مِنْ ذِكْرِي فَإِنَّ أَبَاكَ قَدْ (144) يَنْسَاكَ وَقَدْ يَعْجِزُ عَنْ حَالِكَ وَأَنَا لا أَنْسَاكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَتَوَلاَّكَ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: هَا هُنَا قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾،

وَلَمْ يَقُلْ أُمَّهَاتِكُمْ لِأَنَّ الأَبَ يُذْكَرُ احْتِرَامًا وَالأُمَّ شَفَقَةً وَاللهُ هُوَ الَّذِي يَرْحَمُ وَلا يُرْحَمُ وَيُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ، وَعِنْدِي أَنَّ القَوْمَ لا يَذْكُرُونَ امْرَأَةً وَلا يَفْخَرُونَ بِهَا وَلِذَا كَانَ فَخْرُهُمْ بِآبَائِهِمْ فَالمَنَاقِبُ لِلرِّجَالِ وَالعِفَّةُ وَالسَّتْرُ لِلنِّسَاءِ وَقَوْلُهُ:

﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾،

أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَتَعَوَّضُوا مِنْ ذِكْرِ الآبَاءِ ذِكْرَ اللهِ وَتَكْبِيرَهُ أَوْ يَزِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ أَفْضَلُ، وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ النَّاسَ عَلَى قِسْمَيْنِ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ:

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾،

أَيْ: حَظُّهُ كُلُّهُ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ لا يَعْرِفُ غَيْرَهَا فَذَلِكَ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْفَظُ الدَّارَيْنِ وَيَسْأَلُ فِي الدُّنْيَا المَنْزِلَتَيْنِ دَارَ العَدْلِ وَدَارَ الجَزَاءِ وَلِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ أُمَّهَاتُهَا سِتَّةٌ: الأَوَّلُ أَنَّهَا حَسَنَةٌ تَنْتَظِمُ بِهَا جَمِيعُ الحَسَنَاتِ وَهِيَ الإِيمَانُ المُتَّصِلُ بِالمَآلِ فَإِنَّ مَنْ حَصَلَتْ لَهُ هَذِهِ الصِّفَةُ لَمْ يَخْلُدْ فِي النَّارِ وَحَسَنَةُ الآخِرَةِ (145) المَغْفِرَةُ فَإِذَا غَفَرَ فَبَعْدَهُ لَيْسَ الأَكْلُ خَيْرٌ وَلِذَلِكَ بَدَأَ اللهُ الخَلْقَ عِنْدَ الإِفَاضَةِ بِالإِسْتِغْفَارِ، الثَّانِي الحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا العُزُوبُ عَنْهَا بِمَعْرِفَةِ قَدْرِهَا وَالحَسَنَةُ فِي الآخِرَةِ الأَمْنُ مِنَ الفَزَعِ، الثَّالِثُ

الحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا مَعْرِفَتُهُ وَالحَسَنَةُ فِي الآخِرَةِ صِفَتُه، الرَّابِعُ الحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا أَنْ يُغْنِيكَ عَنْ خَلْقِهِ وَفِي الآخِرَةِ أَنْ يَهَبَ مَا قِبَلَكَ مِنْ حَقِّهِ، الخَامِسُ الحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا التَّوْفِيقُ لِلْخِدْمَةِ وَفِي الآخِرَةِ تَحْقِيقُ الوَصْلَةِ يَعْني بِالرِّضَى عَنْكُمْ فَلا يَسْخَطُ أَبَدًا، السَّادِسُ الحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا العَافِيَةُ وَفِي الآخِرَةِ الأَمْنُ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ فَوَجَدَهُ مِثْلَ الفَرخِ فَقَالَ لَهُ: هَلْ كُنْتَ تَقُولُ شَيْئًا؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُهُ هَلَّا قُلْتَ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»،

وَبِهَذَا أَقُولُ ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَهُ وَإِذَا كُنْتُمْ ذَاكِرِينَ فَخَصِّصُوا الأَيَّامَ المَعْدُودَاتِ وَهِيَ أَيَّامُ الرَّمْيِ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ فِي الأَحْكَامِ فَإِنَّ ذَلِكَ آخِرَ نُسُكِكُمْ (146) فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَخَفَّفَ عَنِ الخَلْقِ الرُّجُوعَ عَنْهُ إِلَى الأَهْلِ وَالوَطَنِ، وَلَمَّا عَلِمَ مِنْ عَلَاقَةِ قُلُوبِهِمْ بِهِمْ فَأَعَادَهُمْ بِأَبْدَانِهِمْ وَعَلَّقَ قُلُوبَهُمْ بِمَا عَايَنُوهُ مِنْ مَكَانِهِمْ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَإِذَا جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا فَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا تَمَنَّى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ وَإِنْ حَمَلَهُ شَوْقُ الأَهْلِ وَحُبُّ الوَطَنِ عَلَى أَنْ يُفَارِقَهُ.

بَـــــرَدَتْ وَحُقَّ لِمِثْلِهَا أَنْ يَبْرُدَا	❖	عَيْنٌ رَأَتْ ذَاكَ المَكَــانَ الأَسْعَدَا
وَدَّتْ تُقِيـمُ هُنَاكَ مُدَّةَ عُمْرِهَا	❖	وَأَبَى القَضَا إِلَّا المَكَـــانَ الأَبْعَدَا
فَالحَمْدُ كُلُّ الحَمْدِ لِلْمَوْلَى الَّذِي	❖	حَمَلَ المُقِلَّ إِلَى الحَـــرَامِ وَزَوَّدَا
حَتَّى يُنْسِكَ بِالمَنَاسِكِ كُلِّهَا	❖	وَرَأَى المَشَاهِدَ كُلَّ حِينٍ مَشْهَدًا
وَأَتَى المَدِينَةَ وَالبَقِيعَ وَمَسْجِدًا	❖	جَمَعَ الصَّحَابَةَ وَالنَّبِيَّ مُحَمَّدَا
وَجَثَا تُجَاهَ المُصْطَفَى مُتَضَرِّعًا	❖	مُسْتَشْفِعًا مُسْتَعْذِبًا مُسْتَنْجِـدَا
مِنْ أَيْنَ لِلصُّعْلُوكِ مِثْلِي أَنْ يَرَى	❖	فِي سَاحَةِ الحَرَمَيْنِ أَوْ يَتَــرَدَّدَا
مَـــا ذَاكَ إِلَّا مِنَّـــةٌ حِلْمِيَّةٌ	❖	فَضِيلَةٌ مِنْ وَاهِبٍ سَرِيِّ الجَـدَا
وَالفَضْلُ بَاقٍ وَالكَرِيمُ مُؤَمِّـــلٌ	❖	أَنْ يُرْجِعَنِي لِلْمَشَاهِدِ مَرْفَـــدَا
إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِذَاكَ فَإِنَّـــهُ	❖	أَهْلٌ لِإِكْرَامِ الوَرَى طُولَ المَدَى

عَمَّ البَـــــرِيَّةَ فَضْلُهُ وَنَوْلُهُ ❖ فَالكُلُّ يَسْبَحُ فِي بِحَارٍ مِنْ نَـدَى
رَبٌّ تَتِمَ الصَّالِحَاتِ بِفَضْلِـــهِ ❖ وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَحَ الهُــدَى

قَالَ بَعْضُهُمْ: وَقَدْ رَأَيْتُ الفِرَاقَ وَذُقْتُهُ، وَأَكَلْتُهُ وَشَرِبْتُهُ، وَسَاوَرَنِي وَسَاوَرْتُهُ، فَمَا رَأَيْتُ فِرَاقًا أَبْعَدَ مُلْتَقًا، وَلاَ اسْتِفَالاً أَقْصَى مُرْتَقَىً (147) مِنْ فِرَاقِ المُحْصِبِ فَرِيقَانِ مِنْهُمْ جَازِعٌ بَطْنَ نَخْلَةٍ وَآخَرُ مِنْهُمْ قَاطِعٌ نَجْدَ كَبْكَبٍ مِنْهُمْ مَشْرِقٌ إِلَى الغَايَةِ، وَمُغْرِبٌ إِلَى النِّهَايَةِ، وَشَمَالِيٌّ بِغَيْرِ مَوْعِدٍ، وَجَنُوبِيٌّ وَلاَتَ حِينَ مَرْصَدٍ، وَلاَ شَكَّ وَاللَّهُ أَعْلَمَ أَنَّهُ عِيَارٌ لِفِرَاقِ يَوْمِ المَوْقِفِ فَإِنَّهُ بَيْنَ آخِذٍ إِلَى الجَنَّةِ وَمَحْمُولٍ إِلَى النَّارِ وَلاَ مُلْتَقَى أَبَدًا قَالَ تَعَالَى: أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ لِلْكُلِّ فِي القِيَامَةِ وَلِمَنِ اصْطَفَى فِي كُلِّ نَفَسٍ انْتَهَى.

مُحِبٌّ بَرَاهُ الشَّوْقُ بِالمَنْزِلِ الأَقْصَــى ❖ يُنَادِيكُـــمْ رِيشُ جَنَاحَيْهِ قَدْ قَصَى
يَزِيدُ بِطُولِ العُمْـــرِ ضُعْفًا وَشِيبَةً ❖ وَتِلْكَ زِيَـــادَةٌ تُكْسِبُهُ نَقْـــصَا
جَلِيدٌ عَلَى وَقْعِ المُلِمَّـــاتِ صَابِرٌ ❖ لَهُ أَنْتَ تَرْقَى وَلَسْـــتَ تَرَى شَخْصَا
إِذَا مَا جَرَى تِذْكَارُكُمْ فِي ضُلُوعِـهِ ❖ تَمَايَـــلَ فَاهْتَزَّتْ مَعَاطِفُهُ رَقْصَا
سَتَقْطَعُ أَيْدِي الحُبِّ أَيْنَقَ وَجْــدِهِ ❖ وَيَعْمَلُ فِي مَرْضَاتِكَ الوَجْدَ وَالنَّصَا
لَعَلَّكَ تُحْيِي دَارِسَاتِ رُسُومِ مِـــنْ ❖ فَرِيقَةِ هُجْـــرَانِ الأَحِبَّةِ قَدْ غَصَّا
فَيَمْنَحُ بَعْدَ البُعْـــدِ أُنْسًا وَقُرْبَةً ❖ وَيُصْبِحُ مِنْ بَعْـــدِ التَّبَاعُدِ مُخْتَصًّا
فَبِي مِنْ غَرَامِي فِيكَ شَجْوٌ مُبَـرِّحٌ ❖ وَأَشْوَاقُ قَلْبِـــي لاَ تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى

قَالَ مُؤَلِّفُهُ أَمَدَّهُ اللَّهُ بِمَعُونَتِهِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِ مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِهِ وَمِنَّتِهِ، لَمَّا ذَكَرْتُ كَلاَمَ الفُقَهَاءِ فِي مَنَاسِكِ الحَجِّ وَأَدَبِ الزِّيَارَةِ، أَتْبَعْتُهُ بِمَا وَعَدْتُ بِهِ مِنَ المَحَامِلِ عَلَى سُنَنِ أَهْلِ التَّعْبِيرِ وَالإِشَارَةِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ تَذْكِرَةً لِلْمُتَوَجِّهِ إِلَى الحَجِّ (148) بَيْتِ اللَّهِ الحَرَامِ، وَاهِبَةً لِلْمُتَشَوِّقِ إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَأَزْكَى السَّلاَمِ، فَأَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾،

أَضَافَ اللَّهُ تَعَالَى الحَجَّ إِلَى نَفْسِهِ لِمَا فِيهِ مِنْ آثَارِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَحَقَائِقِ العُبُودِيَّةِ، وَأَيْضًا أَلْزَمَ حَقَّ العُبُودِيَّةِ عَلَى عِبَادِهِ لِأَدَاءِ شُكْرِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَيْضًا أَرْشَدَهُمْ إِلَى

رُؤْيَةِ المَقْصُودِ فِي الآيَاتِ وَالعَلامَاتِ بوَسِيلَةِ القَصْدِ إِلَى بَيْتِه، وَأَيْضًا فَرَضَ حَجَّ البَيْتِ عَلَى الجُمهُورِ لِحُضُورِ الخَوَاصِّ زَائِرِينَ رَبَّ البَيْتِ، وَأَيْضًا أَرَادَ أَنْ يُرِيَ عِبَادَهُ عَظَمَتَهُ وَكِبْرِيَاءَهُ فِي رُؤْيَتِهِمْ ذُلَّ العُبُودِيَّةِ وَالتَّوَاضُعِ وَالتَّضَرُّعِ عَلَى أَعْتَاقِهِمْ، وَأَيْضًا أَوْجَبَ عَلَى عِبَادِهِ القَصْدَ إِلَى مُشَاهَدَتِهِ بِبَذْلِ الأَمْوَالِ وَالنُّفُوسِ وَالأَرْبَاحِ وَتَرْكِ الرَّاحَاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَالأَوْلادِ وَالأَزْوَاجِ بِنَعْتِ التَّجْرِيدِ عَلَى المُكَوِّنَاتِ فِي قَصْدِهِمْ إِلَى البَيْتِ، وَيَخْتَصُّ البَيْتَ لِقَصْدِهِمْ رَسْمًا وَحُكْمًا بِالمُشَاهَدَةِ لأَنَّهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ مُنَزَّهٌ عَنِ الحُلُولِ وَالتَّشْبِيهِ فَيَتَجَلَّى مِنْهُ لِلْقَاصِدِينَ إِلَيْهِ فِي لِبَاسِ المُلْكِ وَالآيَاتِ لأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ:

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾،

فَأَخْبَرَ عَنِ (149) الآيَاتِ فِي نَفْسِ البَيْتِ وَأَشَارَ إِلَى تَجَلِّي الصِّفَاتِ فِي نَفْسِ الآيَاتِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ:

«جَاءَ اللهُ مِنْ سِينَاءَ وَاسْتَعْلَى بِسَاعَيْنِ وَأَشْرَقَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ»،

يَعْنِي جِبَالَ مَكَّةَ وَعَنَى بِالجِبَالِ وَاللهُ أَعْلَمُ بَيْتَ اللهِ الحَرَامِ لأَنَّهُ أَحْجَارٌ اصْطَفَاهَا اللهُ فِي الأَزَلِ قِبْلَةً لِعِبَادِهِ وَمِرْآةَ الكُشُوفَاتِ لِخَوَاصِّهِ، وَالاسْتِطَاعَةُ فِي سَبِيلِهِ مَعْرِفَتُهُ وَقُرْبُهُ وَرُؤْيَةُ أَلْطَافِهِ فِي سَائِرِ الأَوْقَاتِ، وَاليَقِينُ فِي وَعْدِهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ، وَالمُرَاقَبَةُ وَدَوَامُ الرِّعَايَةِ وَمَعْرِفَةُ حِفْظِهِ وَكَلاءَتِهِ فِي جَمِيعِ عِبَادِهِ، وَمَحَبَّتُهُ الصَّافِيَةُ عَنْ رُعُونَاتِ النَّفْسِ، وَصِدْقُ القَصْدِ إِلَيْهِ بِصَفَاءِ النِّيَّةِ، وَطَهَارَةُ القَلْبِ عَمَّا سِوَاهُ زَادَهُمُ اللهُ دَوَامَ الذِّكْرِ وَالفِكْرِ فِي آلائِهِ وَنَعْمَائِهِ، وَقُدْرَتُهُ الكَامِلَةُ وَنِعْمَتُهُ الشَّامِلَةُ وَأَمْثَالُ هَذِهِ المَقَامَاتِ فِي اسْتِطَاعَةِ القَاصِدِينَ إِلَى بَيْتِهِ وَمَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَذِهِ المَعَانِي وَلَمْ يَتَأَهَّبْ بِهَا فِي قَصْدِهِ إِلَى بَيْتِهِ انْقَطَعَ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ وَهَلَكَ فِي مَهْلَكَةِ العِنَادِ قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾،

وَأضَافَ الحَجَّ فِي أوَّلِ الآيَاتِ (150) إلَى نَفْسِهِ وَنَزَّهَ نَفْسَهُ فِي آخرِهَا لِيَعْلَمَ أهْلُ خِبْرَةِ العُبُودِيَّةِ لَهُ شَفقَتَهُ عَلى عِبَادِهِ لِأنَّ العِبَادَةَ تَرْجِعُ إلَيْهِمْ بِالثَّوَابِ وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الأسْبَابِ، وَالقَاصِدُونَ إلَى بَيْتِ اللهِ تَعَالَى عَلَى ثَلاثَةِ أقْسَامٍ قِسْمٌ مِنْهُمْ قَاصِدُونَ إلَى البَيْتِ بِأمْوَالِهِمْ وَأنْفُسِهِمْ لِطَلَبِ الثَّوَابِ، وَقِسْمٌ مِنْهُمْ قَاصِدُونَ إلَى البَيْتِ بِقُلُوبِهِمُ الصَّافِيَةِ عَنِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لِامْتِثَالِ الأمْرِ وَلِطَلَبِ مَرْضَاةِ الرَّبِّ تَعَالَى، وَقِسْمٌ مِنْهُمْ قَاصِدُونَ إلَى مُشَاهَدَةِ رَبِّ البَيْتِ بِأرْوَاحِهِمُ العَاشِقَةِ لِطَلَبِ حَقَائِقِ المَعْرِفَةِ وَالقُرْبَةِ وَصَفَاءِ الوَصْلَةِ وَزِيَادَةِ مَشْهَدِ التَّجَلِّي وَالتَّدَلِّي، فَأهْلُ الظَّاهِرِ يُحْرِمُونَ عَنِ المَحْذُورَاتِ وَيُحِلُّونَ مِنْ إحْرَامِهِمْ عِنْدَ قَضَاءِ نُسُكِهِمْ وَأدَاءِ فَرْضِهِمْ وَأهْلُ البَاطِنِ يُحْرِمُونَ عَنِ الكَائِنَاتِ وَالنَّظَرِ إلَى البَرِيَّاتِ وَلا يُحِلُّونَ مَادَامُوا فِي الدُّنْيَا إلَى مُشَاهَدَةِ الذَّاتِ وَكَشْفِ الصِّفَاتِ، فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ مَنْ يُحْرِمُ مِنَ المَعْهُودَاتِ وَبَيْنَ مَنْ يُحْرِمُ مِنَ المُمْكِنَاتِ وَشُهُودِ المُكَوِّنَاتِ لَكِنَّ بَلايَاهُ لا تَحْمِلُهَا إلَّا مَطَايَاهُ، آهٍ ذَهَبُوا وَذَهَبَتْ مَعَهُمْ (151) البَرَكَاتُ، وَغَرُبَتْ بِغُرُوبِهِمْ فِي مَعَارِفِ الأبَدِ شُمُوسُ الكَرَامَاتِ، وَأقْمَارُ الآيَاتِ، ذَاعَ خَبَرُهُمْ فِي الآفَاقِ، وَخَفِيَ آثَارُهُمْ عَلَى الآفَاقِ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي الحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَاتِ، ثُمَّ قَالَ: وَمِنَ الإشَارَاتِ فِي قُصُودِ حُجَّاجِ كَعْبَةِ الحَقِيقَةِ إذَا أرَادُوا بِاسْتِقْبَالِ قُلُوبِهِمْ إلَى نَحْوِ المَقْصُودِ أعْنِي بَيْتَ اللهِ الحَرَامِ عَقَدُوا بِالحَقِيقَةِ مَعَ اللهِ بِنَعْتِ المَحَبَّةِ عَقْدَ المَعْرِفَةِ وَفَسَخُوا جَمِيعَ العُقُودِ الَّتِي عَقَدُوا فِي غَيْرِ طَرِيقِ الحَقِّ مِنْ إيثَارِ مَا سِوَاهُ عَلَيْهِ وَعُهُودِ النَّفْسِ الَّتِي أُخِذَتْ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَطَلَبِ العُلُوِّ وَالشَّرَفِ وَأعَدُّوا لِسُبُلِ مَوَاطِنِ المُشَاهَدَةِ زَادَ الصِّدْقِ فِي التَّوَكُّلِ وَالإخْلاصِ وَاليَقِينِ وَالزُّهْدِ فِي تِجَارَةِ اللهِ تَعَالَى، وَرَاحِلَةَ الصَّبْرِ قَوَائِمُهَا الجِدُّ وَرَأْسُهَا الحِلْمُ وَبَطْنُهَا الوَرَعُ وَسَرْجُهَا التَّمْكِينُ وَحِزَامُهَا الإسْتِقَامَةُ وَزِمَامُهَا التَّسْلِيمُ وَسَوْطُهَا الأدَبُ وَأرْضُهَا الرِّضَى وَسَمَاؤُهَا اليَقِينُ وَمَاؤُهَا الفِكْرُ وَعَلَفُهَا الذِّكْرُ وَرِيَاضُهَا المُكَاشَفَةُ وَمَرْعَاهَا المُشَاهَدَةُ وَتَوَجُّهُهَا إلَى شُهُودِ القِدَمِ وَإذَا خَرَجُوا مِنْ أوْطَانِهِمْ بِهَذِهِ الرَّاحِلَةِ هَاجَرُوا زِينَةَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَاسْتَعَدُّوا أُهْبَةَ المَوْتِ (152) مِنْ جَمِيعِ الخَلائِقِ مِنَ المُعَاشِرِينَ وَالمُتَقَارِبِينَ وَأسْرَعُوا فِي طَلَبِ الرِّيَّاضَةِ وَألْزَمُوا أنْفُسَهُمْ كَرَمَ الجَادِّينَ المُجِدِّينَ وَتَوَجَّهُوا بِنَعْتِ الإخْلاصِ إلَى اللهِ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إلَى غَيْرِهِ فِي طَرِيقِهِ مِنْ أهْلِ الدَّثْرِ وَالوَبْرِ وَالتِّبْرِ وَزَعَمُوا أنْ لا يَجُوزُوا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ إلَى سَبِيلِ دَعَاوِي الهَوَى وَالشَّيْطَانِ

وَإِذَا رَكِبُوا مَرَاكِبَهُمْ يَكُونُ قَائِدُهُمُ الهُدَى وَسَائِقُهُمُ التَّقْوَى وَمِنْهَاجُهُمُ الصَّفَا وَرَفِيقُهُمُ المَوْلَى وَعَدِيلُهُمُ العِلْمُ وَصَاحِبُهُمُ الحِلْمُ وَالشَّوْقُ سُيُوفُهُمْ فِي وَادِي العِشْقِ مُؤْنِسُهُمُ الحَنِينُ وَمُطْرِبُهُمُ الأَنِينُ وَإِذَا خَرَجُوا مِنْ وَادِي المَحْرَمِ سَارُوا مُسْرِعِينَ مِنَ الشَّوْقِ وَقَطَعُوهَا نَادِمِينَ مِنَ الذَّنْبِ وَقَدْ قَرَّبُوا إِلَى مُشَاهَدَةِ الرَّبِّ مُتَحَسِّرِينَ مِنْ فَوْتِ الأَوْقَاتِ هَائِمِينَ فِي طَلَبِ الدَّرَجَاتِ، بَاكِينَ دِمَاءَ الحُزْنِ بِالزَّفَرَاتِ، نَائِحِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِنَعْتِ العَبَرَاتِ، وَإِذَا بَلَغُوا رَأْسَ الوَادِي خَلَعُوا ثَوْبَ الرَّاحَاتِ، وَتَجَرَّدُوا عَنْ جَمِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَلَبِسُوا إِحْرَامَ التَّفْرِيدِ، وَاغْتَسَلُوا فِي بَحْرِ التَّوْحِيدِ، وَتَطَهَّرُوا عَنْ جَمِيعِ شَوَائِبِ العِلَلِ وَإِذَا لَبُّوا سَمِعُوا صَوْتَ الرِّضَى بِنَعْتِ الوَصْلَةِ وَالقُرْبَةِ وَنِدَاءَ الحَقِّ قَبْلَ كَوْنِهِمْ فِي الأَزَلِ وَإِذَا بَلَغُوا عَرَفَاتَ (153) سَارُوا مُثَبَّطِينَ فِي قُيُودِ الشُّكْرِ لاَ فَكَاكَ لَهُمْ عَنْهَا إِلاَّ بِسِرِّ الصَّحْوِ فَبَيْنَ الصَّحْوِ وَالسُّكْرِ هَائِمُونَ وَبَيْنَ الهَيْبَةِ وَالبَسْطِ حَائِرُونَ يُعَرِّفُ لَهُمُ الحَقُّ جَلَتْ عَظَمَتُهُ حَقَائِقَ المُشَاهَدَةِ وَصِفَاتِ المُكَاشَفَةِ وَيُظْهِرُ لَهُمْ مُكَوَّنَاتِ الغَيْبِ وَمُضْمَرَاتِ القُلُوبِ، وَإِذَا وَقَفُوا وَقَفُوا رَاجِينَ إِلَى لِقَاءِ الرَّحْمَةِ خَائِفِينَ مِنَ القَطِيعَةِ وَالهُجْرَانِ شَاهِدِينَ مَقَامَ الحَيَاءِ حَاضِرِينَ مَقَامَ الفَنَاءِ فِي رُؤْيَةِ البَقَاءِ، وَإِذَا وَصَلُوا إِلَى مَشْعَرِ الحَرَامِ ذَكَرُوا اللهَ بِنِعْمَةِ رُؤْيَتِهِ وَذَكَرَهُمْ هُنَاكَ عَلَى اللِّسَانِ وَحَجْلَةِ الجِنَانِ فِي قَدَمِ الرَّحْمَانِ مَنْشُورِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُطْرِقِينَ مِنَ التَّقْصِيرِ مُفْحَمِينَ مِنَ التَّفْرِيطِ، وَإِذَا بَلَغُوا إِلَى مِنًى ذَبَحُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَإِذَا رَمَوْا الجَمَرَاتِ رَمَوْا مُجَاهَدَتَهُمْ وَرِيَاضَتَهُمْ إِلَى كَتْمِ العَدَمِ بِوُصُولِهِمْ إِلَى مُشَاهَدَةِ القِدَمِ، وَإِذَا كَسَّرُوا الحِجَارَةَ كَسَّرُوا مَعَهَا شَهْوَةَ بُطُونِهِمْ، وَوَارِدَاتِ أَنْفُسِهِمْ عَنْ مُمْكِنَاتِ أَسْرَارِهِمْ، وَإِذَا حَلَقُوا حَلَقُوا مِنْ بَاطِنِهِمْ فُضُولاَتِ الوَسْوَاسِ وَحُبِّ مَحْمَدَةِ النَّاسِ، وَإِذَا دَخَلُوا أَرْضَ الحَرَمِ عَلِمُوا أَنَّهُمْ عِنْدَ سَرَادِقِ (154) العَظَمَةِ وَأَبْوَابِ الحَضْرَةِ خَاضِعِينَ مِنَ الإِجْلاَلِ ذَائِبِينَ فِي نِيرَانِ الكِبْرِيَاءِ مُحْرِمِينَ عَمَّا دُونَ اللهِ مُتَأَهِّبِينَ لِلْفَائِدَةِ لاَ يَحِلُّ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الأَكْوَانِ قَبْلَ وُصُولِهِمْ إِلَيْهِ لِأَنَّهُمْ فِي مَعَادِي الصَّمَدِيَّةِ، وَصَوْلَةِ الصَّمَدِيَّةِ، تَمْنَعُهُمْ عَنْ عِلَّةِ الحُدُوثِيَّةِ، وَإِذَا دَخَلُوا المَسْجِدَ دَخَلُوا هَائِمِينَ مِنْ رُؤْيَةِ عَظَمَتِهِ وَذَكَرُوا هَيْبَتَهُ وَجَلاَلَهُ، وَإِذَا رَأَوْا البَيْتَ رَأَوْا قَبْلَ رُؤْيَةِ البَيْتِ رَبَّ البَيْتِ وَمُشَاهَدَتَهُ وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ فِي حَضْرَتِهِ القَدِيمَةِ، وَمُشَاهَدَتِهِ الكَرِيمَةِ، وَإِذَا طَافُوا حَوْلَ البَيْتِ وَرَأَوْا مَلاَئِكَتَهُ طَائِفِينَ حَوْلَ العَرْشِ

وَالكُرْسِيِّ أَيْقَنُوا أَنَّهُمْ عِنْدَ اللهِ بِمَنْزِلَتِهِمْ، وَإِذَا اسْتَلَمُوا عَلِمُوا أَنَّهُمْ بَايَعُوا اللهَ بِبَيْعَةِ الأَزَلِ بِنَعْتِ الخُرُوجِ عَنِ المُخَالَفَةِ بَعْدَ تِلْكَ المُبَايَعَةِ وَلَا يَمُدُّونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى المَأْلُوفَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَإِذَا صَلَّوْا خَلْفَ المَقَامِ عَلِمُوا أَنَّهُمْ فِي مَقَامِ الوَصْلَةِ وَالقُرْبَةِ وَالمُنَاجَاةِ وَمَحَلِّ المُوَفَّيْنَ بِعَهْدِ اللهِ تَعَالَى، وَإِذَا تَعَلَّقُوا بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ أَيْقَنُوا أَنَّهُمْ مُعْتَصِمُونَ بِحَبْلِ الإِعْتِصَامِ لَائِذُونَ بِحَقِيقَةِ عِصْمَتِهِ، مُلْتَجِؤُونَ إِلَى كَنَفِ قُرْبَتِهِ، مُنْفَرِدُونَ عَنِ اللِّيَاذَةِ وَاجِدُونَ لِلْحَقِّ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِذَا دَخَلُوا [155] بَيْتَ اللهِ تَعَالَى أَيْقَنُوا أَنَّهُمْ فِي حِفْظِ عِنَايَتِهِ، وَكَنَفِ كَلَاءَتِهِ، مُسْتَغْرِقِينَ فِي وَجْدِ قِدَمِهِ وَبَقَائِهِ، وَإِذَا صَعِدُوا الصَّفَا وَالمَرْوَةَ خَرَجُوا مِنَ الكُدُورَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ فِي مَقَامِ الإِصْطِفَاءِ وَالإِجْتِبَاءِ وَمَنْ لَهُ بَصِيرَةُ المَعْرِفَةِ عَلِمَ وَتَحَقَّقَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى رَسَمَ هَذِهِ المَنَاسِكَ وَالمَشَاعِرَ مِثَالاً بِحَضْرَةِ القُدْسِ وَجَعَلَ البَلَدَ مِثَالاً لِلْجَنَّةِ وَالصَّفَا وَالمَرْوَةَ وَجِبَالَ مَكَّةَ مِثَالاً لِحُجَّابِ المَلَكُوتِ وَالحَرَمَ كُلَّهُ سَوَاتِرَ الجَبَرُوتِ وَمِنًى مَقَامَ الأَمْنِ وَالمَشْعَرَ مَقَامَ الخَوْفِ وَالتَّعْظِيمِ وَعَرَفَةَ أَرْضَ المَحْشَرِ وَالمَحْشَرَ مَقَامَ القِيَامَةِ وَبِدَايَةَ الدُّنْيَا وَالخُرُوجَ مِنَ المَوْطِنِ المَوْتَ وَالقَصْدَ إِلَى زِيَارَةِ البَيْتِ التَّأَهُّبَ لِلِقَاءِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَإِذَا أَبْصَرَ حَقَائِقَ هَذِهِ الأَمْثَالِ صَارَ حَجُّهُ قُرْبَةً وَمُشَاهَدَةً وَسَعْيُهُ مَبْرُورًا، وَعَمَلُهُ مَشْكُورًا، وَهَذَا حَجُّ العَارِفِينَ مِنَ المُوقِنِينَ المُشَاهِدِينَ.

يَا كَعْبَةَ الآمَالِ وَجْهُـــكَ حَجَّتِي ❖ وَعُمْـــرَتِي إِنَّنِي فِيـــكَ وَالِعُ

وَتَجْرِيدُ نَفْسِي عَنْ مُحِيطِ صِفَاتِهَا ❖ فَوَصْفُكَ إِحْرَامِي عَلَى الغَيْرِ قَاطِعُ

وَتَلْبِيَتِي أَنِّي أُمَلِّـــكُ مُهْجَتِـــي ❖ لِمَا مِنْكَ فِي ذَاتِي مِنَ الحُسْنِ لَامِـعُ

كَأَنَّ صِفَاتِي مِنْكَ تَدْعُو إِلَى العُلَا ❖ لِذَاتِي فَأَبَتْ فَاسْتَتَابَتْ شَوَاسِـعُ [156]

فَتَرْكُ النِّكَاحِ وَالتَّطَيُّـــبِ أَرْدَى ❖ صِفَاتِي وَذَاتِي فَهْيَ مِنِّي مَوَانِـــعُ

وَإِعْفَايَ حَلْـقُ الرَّأْسِ تَرْكُ رِيَاسَتِي ❖ بِشَرْطِ الهَوَى إِنَّ المُتَيَّمَ خَاضِـــعُ

إِذَا تَرَكَ الحُجَّـــاجُ تَقْلِيمَ ظُفْرِهِمْ ❖ تَرَكْتُ مِنَ الأَفْعَالِ مَا أَنَا صَانِـــعُ

وَكُنْتُ كَآلَاتٍ وَأَنْتَ الَّـــذِي بِهَا ❖ تَصَرَّفَ بِالتَّقْـــدِيرِ مَا هُوَ وَاقِعُ

فَهَا أَنَا فِي تِطْوَافِ كَعْبَـــةِ حُسْنِهَا ❖ أَدُورُ وَمَعْنَـــى الدَّوْرِ أَنِّـــي رَاجِعُ

وَقَدْ عَلِمَتْ نَفْسِي صِفَاتِكَ سَبْعَـــةً ❖ فَأَعْـــدَادُ تِطْوَافِي حِمَاكِ سَوَابِعُ

أُقَبِّلُ خَالَ الحُسْنِ فِي الحَجَرِ الَّـــذِي ❖ لَنَا مِنْ قَدِيمِ العَهْدِ فِيهِ وَدَائِـــعُ

وَمَعْنَـــــاهُ فِيهَا أَنَّ نَفْسًا لَطِيفَةً ❖ بِهَا تُقْبَلُ الأَوْصَافُ لِلذَّاتِ شَائِـــعُ
وَأَسْتَلِمُ الرُّكْـــنَ اليَمَانِـــيَّ إِنَّهُ ❖ بِهِ نَفَسُ الرَّحْمَانِ فَالنَّفْسُ جَامِـعُ
وَأَخْتِمُ تِطْـــوَافَ الغَـــرَامِ بِكَعْبَةٍ ❖ مِنَ المَحْوِ عَمَّا أَحْدَثَتْهُ الطَّبَائِـــعُ
تُرَى هَلْ لِمُوهَنِ القَلْبِ مِنْ زَمْزَمِ اللِّقَا ❖ مَرَاضِعُ لَا أَحَرُّ مَنْ مِنْهَا المَـــرَاضِعُ
فَتَذْهَبُ نَفْسِي فِي صِفَاتِ صِفَاتِكُـمْ ❖ لِتَسْعَى بِمَرْوَى الذَّاتِ وَهْـيَ تُسَارِعُ
فَلَيْـــسَ الصَّفَا إِلاَّ الصَّفَاءُ وَمَرْوَةٌ ❖ فَإِنِّي عَنْ تَحْقِيـــــقِ حَقِّي صَادِعُ
وَمَا القَصْرُ إِلاَّ عَنْ سِوَاكُـمْ حَقِيقَةٌ ❖ وَمَا الحَلْـــقُ إِلاَّ تَرْكُ مَا هُوَ قَاطِعُ
وَمَا عَرَفَاتُ الوَصْلِ إِلاَّ جَنَابُـــكُمْ ❖ فَطُوبَـــى لِمَنْ فِي حَضْرَةِ القُرْبِ رَاتِعُ
بِمُزْدَلِفَاتٍ فِي طَرِيـــــقِ غَرَامِكُمْ ❖ عَوَائِـــقُ مِنْ دُونِ اللِّقَا وَقَوَاطِـــعُ
فَإِنْ حَصَلَ الإِشْعَارُ فِي مَشْعَرِ الهَوَى ❖ وَسَاعَدَ جَـــذْبُ العَزْمِ فَالفَوْزُ وَاقِعُ
عَلَى مَشْعَرِ التَّحْقِيقِ عَظُمَتْ فِي الوَرَى ❖ شَعَائِـــرُكُمْ إِذْ أَصَّلَتْهَا الشَّرَائِعُ
وَكَمْ مِنْ مُنَى لِي فِي مِنَى حَضَرَاتِكُمْ ❖ وَيَا حَسَـــرَاتِي وَالمُحْسِـــنُ شَاسِعُ
رَمَيْتُ جِمَارَ النَّفْسِ مِنِّي فَانْثَنَـــتْ ❖ جَهَنَّمُهَا مَاءً وَصَاحَتْ ضَفَـــــادِعُ
وَأَبْدَلَ رِضْوَانَ جَمَالِكَ وَانْتَشَـــى ❖ بِهَا شَجَـــرُ الجَرْجِيدِ وَالغُصْنُ يَانِعُ
فَفَاضَتْ عَلَـــى ذَاتِي يَنَابِعُ وَصْفِهَا ❖ وَنَاهِيكَ صِرْفَ الحَقِّ تِلْكَ اليَنَابِعُ(157)
فَطُفْتُ طَوَافًا لِلإِفَاضَةِ بِالحِمَـــى ❖ وَقُمْتُ مَقَـــامًا لِلْخَلِيـــلِ أُبَايِعُ
فَمَكَثُّ مِنْ مُلْكِ الغَـــرَامِ وَهَا أَنَا ❖ مَلِيكٌ وَسَـيْفِي فِي الصَّبَابَةِ قَاطِعُ
وَحَقَّقْتُ عِلْمًا وَاقْتِدَارًا جَمِيـــعَ مَا ❖ تَضَمَّنَـــــهُ مُلْكِي وَمَالِـــي مُنَازِعُ

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فَأَمْثِلَةُ مَشَاعِرِ البَاطِنِ الكَعْبَةُ هِيَ القَلْبُ، وَالحَجَرُ الصَّدْرُ، وَالبَلَدُ الصُّورَةُ وَالصَّفَا العَقْلُ، وَالمَرْوَةُ العِلْمُ وَمِنًى الحِلْمُ، وَالمَشْعَرُ الذِّكْرُ، وَعَرَفَاتُ صَفَاءُ العُبُودِيَّةِ، وَالمَعْرِفَةُ وَالمَحْرَمُ المِيقَاتُ وَالحَالاَتُ وَالبِدَايَةُ النَّفْسُ وَالهَوَى وَالحَاجُّ الرُّوحُ المُقَدَّسَةُ، وَأَمَّا أَسْرَارُ العَاشِقِينَ أَيْضًا فَكَعْبَتُهَا ذَاتُهُ القَدِيمَةُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ وَعَزَّ كِبْرِيَاؤُهُ، وَمَنَاسِكُهَا مَرَاتِبُ السِّرِّ فِي الصِّفَاتِ فَإِذَا تَجَرَّدَتِ الأَسْرَارُ فِي بَيْدَاءِ الأَزَلِ عَنِ الأَمَاكِنِ وَالأَزْمَانِ وَالحِدْثَانِ اسْتَقْبَلَتْ إِلَى عُرُوسِ البَقَاءِ، وَالسَّرْمَدِيَّةُ تَجُولُهَا مَطَافُ حَظَائِرِ القُرْبَةِ عَلَى بِسَاطِ الحِشْمَةِ وَالإِنْبِسَاطِ، فَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا نَظْرَةٌ وَمُشَاهَدَةٌ وَمُكَاشَفَةٌ فَحَجُّهَا مِنْهُ إِلَيْهِ وَعَنْهُ بِهِ وَبِهِ عَنْهُ وَمِنْهُ لَهُ فَشَأْنُهَا عَجِيبٌ وَوَجْدُهَا غَرِيبٌ وَقِيلَ لَمْ يُخَاطِبِ اللهُ عِبَادَهُ فِي شَيْءٍ

مِنَ العِبَادَاتِ بِأَنَّ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ إلاَّ الحَجَّ وَفِيهِ فَوَائِدٌ أَحَدُهَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ العِبَادَاتِ عِبَادَةٌ يَشْتَرِكُ فِيهَا المَالُ وَالنَّفْسُ إلاَّ الحَجُّ فَأَخْرَجَهُ بِهَذَا (158) الإِسْمِ وَقِيلَ لَمَّا كَانَتْ فِيهِ إِشَارَاتُ القِيَامَةِ مِنْ تَجْرِيدٍ وَوُقُوفٍ قَالَ: لِلَّهِ عَلَيْكَ ذَلِكَ لِتُهَيِّءَ بَاطِنَكَ لِلْمَوْقِفِ الأَكْبَرِ كَمَا هَيَّأْتَ ظَاهِرَكَ لِهَذَا المَوْقِفِ، وَقِيلَ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى الشِّبْلِي فَقَالَ: لَهُ إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى الحَجِّ قَالَ: هَاتِ غِرَارَتَيْنِ فَامْلأْهُمَا رَحْمَةً وَالْبَسْهُمَا وَجِىءْ بِهِمَا لِيَكُونَ حَظُّنَا مِنَ الحَجِّ لِعَرْضِهِمَا عَلَى مَنْ حَضَرَ وَنُحَيِّي بِهِمَا مَنْ يَرَاكَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهُ فَلَمَّا رَجَعْتُ قَالَ: لِي: أَحَجَجْتَ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ لِي: إِيشْ عَمِلْتَ قُلْتُ: اغْتَسَلْتُ وَأَحْرَمْتُ وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ وَلَبَّيْتُ قَالَ لِي: عَقَدْتَ بِهِ الحَجَّ، قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: فَنَسَخْتَ بِعَقْدِكَ كُلَّ عَقْدٍ عَقَدْتَ مُنْذُ خُلِقْتَ مِمَّا يُضَادُّ هَذَا العَقْدِ، قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا عَقَدْتَ قَالَ: ثُمَّ نَزَعْتَ ثِيَابَكَ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: تَجَرَّدْتَ عَنْ كُلِّ فِعْلٍ فَعَلْتَ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: مَا نَزَعْتَ قَالَ: ثُمَّ تَطَهَّرْتَ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: أَزَلْتَ عَنْكَ كُلَّ عِلَّةٍ بِطُهْرِكَ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَطَهَّرْتَ قَالَ: ثُمَّ لَبَّيْتَ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: وَجَدْتَ جَوَابَ التَّلْبِيَّةِ مِثْلاً بِمِثْلٍ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا لَبَّيْتَ قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتَ الحَرَمَ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: اعْتَقَدْتَ بِدُخُولِكَ تَرْكَ كُلَّ مُحَرَّمٍ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا دَخَلْتَ الحَرَمَ (159) قَالَ: ثُمَّ أَشْرَفْتَ عَلَى مَكَّةَ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: أَشْرَفَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَالٌ بِإِشْرَافِكَ عَلَى مَكَّةَ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا دَخَلْتَ المَسْجِدَ قَالَ: رَأَيْتَ الكَعْبَةَ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: رَأَيْتَ مَا قَصَدْتَ لَهَا قُلْتُ: لاَ، قَالَ: مَا رَأَيْتَ الكَعْبَةَ قَالَ: رَمَلْتَ ثَلاَثًا وَمَشَيْتَ أَرْبَعًا قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: هَرَبْتَ مِنَ الدُّنْيَا هَرَبًا عَلِمْتَ أَنَّكَ بِهِ قَدْ فَاصَلْتَهَا وَانْقَطَعْتَ عَنْهَا وَوَجَدْتَ بِمَشْيَتِكَ الأَرْبَعِ أَمْنًا مِمَّا هَرَبْتَ مِنْهُ فَازْدَدْتَ لِلَّهِ شُكْرًا لِذَلِكَ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا طُفْتَ قَالَ: صَافَحْتَ الحَجَرَ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: وَيْلَكَ قِيلَ مَنْ صَافَحَ الحَجَرَ فَقَدْ صَافَحَ الحَقَّ وَمَنْ صَافَحَهُ فَهُوَ فِي مَحَلِّ الأَمْنِ أَظْهَرَ عَلَيْكَ أَثَرُ الأَمْنِ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا صَافَحْتَ الحَجَرَ قَالَ: أَصَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَهُمَا قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: وَقَفْتَ الوَقْفَةَ بَيْنَ يَدَي اللهِ تَعَالَى وَوَقَفْتَ عَلَى مَكَانِكَ مِنْ ذَلِكَ وَأَرَيْتَهُ قَصْدَكَ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا صَلَّيْتَ قَالَ: خَرَجْتَ إِلَى الصَّفَا وَوَقَفْتَ بِهَا قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: إِيشْ عَمِلْتَ قُلْتُ: كَبَّرْتُ عَلَيْهَا قَالَ: هَلْ صَفَى سِرُّكَ بِصُعُودِكَ إِلَى الصَّفَا وَصَغُرَتْ فِي عَيْنِكَ الأَكْوَانُ بِتَكْبِيرِكَ رَبَّكَ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا صَعَدْتَ وَلاَ كَبَّرْتَ قَالَ: (160) هَلْ هَرْوَلْتَ فِي سَعْيِكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ

قَالَ: هَرَبْتَ مِنْهُ إِلَيْهِ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا هَرْوَلْتَ وَلاَ سَعَيْتَ قَالَ: وَقَفْتَ عَلَى المَرْوَةِ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: رَأَيْتَ نُزُولَ السَّكِينَةِ عَلَيْكَ وَأَنْتَ عَلَى المَرْوَةِ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: لَمْ تَقِفْ عَلَى المَرْوَةِ قَالَ: خَرَجْتَ إِلَى مِنًى قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: أُعْطِيتَ مَا تَمَنَّيْتَ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا خَرَجْتَ إِلَى مِنًى قَالَ: دَخَلْتَ مَسْجِدَ الخِيفِ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ تَجَرَّدَ عَلَيْكَ خَوْفٌ بِدُخُولِكَ مَسْجِدَ الخِيفِ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا دَخَلْتَهُ قَالَ: مَضَيْتَ إِلَى عَرَفَاتٍ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: عَرَفْتَ الحَالَ الَّذِي خُلِقْتَ لَهُ وَالحَالَ الَّذِي تَصِيرُ إِلَيْهِ وَهَلْ عَرَفْتَ مِنْ رَبِّكَ مَا كُنْتَ مُنْكِرًا لَهُ وَهَلْ تَعَرَّفَ الحَقُّ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ مِمَّا تَعَرَّفَ بِهِ إِلَى خَوَاصِّهِ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا مَضَيْتَ إِلَى عَرَفَاتٍ قَالَ: نَفَرْتَ إِلَى المَشْعَرِ الحَرَامِ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: ذَكَرْتَ اللهَ فِيهِ ذِكْرًا أَنْسَاكَ فِيهِ ذِكْرَ مَا سِوَاهُ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا نَفَرْتَ إِلَيْهِ قَالَ: وَهَلْ شَعَرْتَ بِمَاذَا أَجَبْتَ وَبِمَا خُوطِبْتَ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا نَفَرْتَ إِلَى المَشْعَرِ قَالَ: ذَبَحْتَ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: أَفْنَيْتَ شَهَوَاتِكَ (161) وَإِرَادَتِكَ فِي رِضَى الحَقِّ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا ذَبَحْتَ قَالَ: رَمَيْتَ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: رَمَيْتَ جَهْلَكَ مِنْكَ بِزِيَادَةِ عِلْمٍ ظَهَرَ عَلَيْكَ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا رَمَيْتَ قَالَ: زُرْتَ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: كُوشِفْتَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الحَقَائِقِ وَرَأَيْتَ زِيَادَةَ الكَرَامَاتِ عَلَيْكَ لِلزِّيَارَةِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحَاجُّ وَالعُمَّارُ زُوَّارُ اللهِ وَحَقُّ المَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زُوَّارَهُ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا زُرْتَ قَالَ: أَحْلَلْتَ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: عَزَمْتَ عَلَى أَكْلِ الحَلاَلِ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا أَحْلَلْتَ قَالَ: وَدَّعْتَ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: خَرَجْتَ مِنْ نَفْسِكَ وَرُوحِكَ بِالكُلِّيَّةِ قُلْتُ: لاَ قَالَ: مَا وَدَّعْتَ وَلاَ حَجَجْتَ وَعَلَيْكَ العَوْدُ إِنْ أَحْبَبْتَ وَإِذَا حَجَجْتَ فَاجْتَهِدْ أَنْ تَكُونَ كَمَا وَصَفْتُ لَكَ، وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِي: لَمَّا دَخَلْتُ عَلَى الشَّيْخِ بِبَغْدَادَ قَالَ: أَحَاجٌّ أَنْتَ قُلْتُ: أَنَا مَعَ القَوْمِ فَقَالَ: أَلَيْسَ فَرَائِضُ الحَجِّ أَرْبَعٌ؟ الإِحْرَامُ وَالدُّخُولُ فِيهِ بِلَفْظِ التَّلْبِيَةِ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: وَالتَّلْبِيَةُ إِجَابَةٌ قُلْتُ: بَلَى قَالَ: وَالإِجَابَةُ مِنْ غَيْرِ دَعْوَةٍ سُوءُ أَدَبٍ قُلْتُ: بَلَى قَالَ: فَتَحَقَّقْتَ الدَّعْوَةَ حَتَّى تُجِيبَ ثُمَّ قَالَ: التَّجْرِيدُ مِنَ الكُلِّ وَلاَ يَكُونُ التَّجْرِيدُ إِلاَّ بِالتَّفْرِيدِ قُلْتُ: بَلَى قَالَ: (162) ثُمَّ الوُقُوفُ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: فَاجْتَهِدْ فِيهِ فَإِنَّهُ مَحَلُّ المُبَاهَاةِ أُنْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ فِي الطَّوَافِ فَهُوَ مَحَلُّ القُرْبَةِ مِنَ الحَقِّ فَيَكُونُ قُرْبُكَ مِنْهُ بِحُسْنِ الأَدَبِ ثُمَّ السَّعْيُ وَهُوَ الفِرَارُ إِلَيْهِ بِالتَّبَرِّي مِمَّا سِوَاهُ فَإِيَّاكَ أَنْ تَتَعَلَّقَ بَعْدَ سَعْيِكَ بِعَلاَقَةٍ مِنَ الدَّارَيْنِ وَمَا فِيهِمَا، قِيلَ سُئِلَ ذُو النُّونِ لِمَ كَانَ المَوْقِفُ

بالمَشْعر الحَرام فقَالَ ذُو النُّون: لأَنَّ الكَعْبَةَ بَيْتُ اللهِ وَالحرَمَ حِجابُه وَالمَشْعرَ بَابُه فَلَمَّا أَنْ قَصدَهُ الوَافِدُون أَوْقَفهُمْ بالبَاب الأَوَّل يَتضرَّعُون إليْه حَتَّى أَذن لهُمْ بالدُّخُول فَأَوْقفهُمْ بالبَاب الثَّاني وَهُو المُزْدلِفَةُ فلمَّا نَظرَ إلى تضرُّعِهم أَمرَهُمْ بتَقْريب قُرْبَانِهم فَلَمَّا قَرَّبُوا قُرْبَانَهُمْ وَقضَوْا وَطرَهُمْ طُهِّرُوا مِنَ الذُّنُوب الَّتي كَانَتْ عَلَيْهِمْ حِجابًا مِنْ دُونِه فَأَذنَ لهُمْ بالزِّيَّارَةِ عَلَى الطَّهارَةِ.

فَلَمَّا قَضَيْنَا النُّسْكَ مِنْ حَجَّةِ الهَوَى ❖ وَتَمَّتْ لَنَا مِنْ حَيِّ لَيْلَى مَطَامِعُ
شَرَّدْنَا مَطِي العَزْمِ نَحوَ مُحَمَّدٍ ❖ وَطُفْنَا وَدَاعًا وَالدُّمُوعُ هَوَامِعُ
وَجُبْنَا بتَهْذِيب النُّفُوسِ مَفَاوِزًا ❖ سَبَاسِبُ فِيهَا لِلرِّجَالِ مَصَارِعُ
حِمَى دَرسَتْ فِي العَاشِقِينَ طُرُوفُهُ ❖ فَعزَّوَ كَمْ قَدْ خَابَ فِي العِزِّ طَامِعُ
مَحلُّ مَجَالِ القُرْبِ حَالتْ رُسُومُهُ ❖ وَأَوْجُ مَنِيعٌ دُونَهُ البَرْقُ لاَمِعُ
يَنْكَسِرُ رَأْسُ الرِّيحِ عِنْدَ ارْتِفَاعِهِ ❖ وَكَمْ زَالَ عَنْهُ السُّحْبُ وَالغَيْثُ هَامِعُ(163)
تَرَى تَحْتَهُ بَهْرَامَ فِي الأَمْرِ سَاجِدًا ❖ وَكيوَانَ مِنْ فَوْقِ السَّمَاوَاتِ رَاكِعُ
وَكَمْ رَامِحَ مُذْ رَامَهُ صَارَ عَازِلاً ❖ وَفِي قَلْبِهِ عَقْرَبُ الغُفْرِ لاَذِعُ

قَالَ مُؤَلِّفُه أَسْعَدَهُ اللهُ بلِقَاهُ، وَرفَعَ هِمَّتَهُ إلَى أَعَالِي المَرَاتِب وَرقَّاهُ: لَمَّا فَرغْتُ مِنَ الكَلامِ عَلَى الحجِّ الحِسِّيِّ وَالمَعْنَوِيِّ، وَذكْرِ مَا اشْتَمَلاَ عَلَيْه مِنَ الخَيْرِ الدُّنْيَوِيِّ وَالأُخْرَوِيِّ، وَفَضَائِلِهِ المَرْوِيَّةِ عَنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبِ السِّرِّ المُحَمَّدِيِّ النَّبَوِيِّ، وَالنُّورِ الأَحْمَدِيِّ المُصْطَفَوِيِّ، وَمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيَّ بِهِ مِنَ المَنَازِعِ الصُّوفِيَّةِ، وَالإِشَارَاتِ الرَّائِقَةِ السَّنِيَّةِ، الَّتِي تَسْرَحُ فِي رِيَاضِهَا الخَوَاطِرُ وَالأَفْكَارُ، وَتَتَنَزَّهُ فِي أَزَاهِرِ مَعَانِيهَا البَصَائِرُ وَالأَبْصَارُ، أَرْدَفْتُهُ بِالكَلامِ عَلَى سَفَرِ النَّفْسِ فِي حَجٍّ مَخْصُوصٍ، وَفِي بَحْرٍ مَخْصُوصٍ، يُسَافِرُ فِيهِ أَرْبَابُ السِّرِّ وَالخُصُوصِ، وَأَهْلُ المَقَامَاتِ العَالِيَةِ الَّذِينَ تَغِيبُ عَوَالِمُ أَسْرَارِهِمْ فِي الْتِقَاطِ جَوَاهِرِ المَعَانِي وَتَغُوصُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ السَّفَرَ فِي هَذَا البَحْرِ يَكُونُ بِالبَوَاطِنِ وَالظَّوَاهِرِ، وَالسُّلُوكُ فِي طَرِيقِهِ يَحْصُلُ بِأَنْوَارِ العُقُولِ وَالبَصَائِرِ، وَاقْتِنَاءُ فَوَائِدِ أَسْرَارِهِ يُنَالُ بِصَفَاءِ السَّرَائِرِ، وَمَرَائِي الضَّمَائِرِ، وَإِلَى ذَلِكَ الإِشَارَةُ بِقَوْلِ مَوْلاَنَا تَعَالَى:

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.

وَقَالَ تعَالَى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، (164)

يَعْني بَحْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ القُدْوَةُ الهُمَامُ مَوْلاَنَا أَبُو الحَسَن الشَّاذِلي رَضِيَ الله عَنْهُ وَسَخَّرَ لَنَا بَحْرَ الدُّنْيَا وَبَحْرَ الآخِرَةِ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّادَاتِ الأَعْلاَم، وَالأَئِمَّةِ النَّاظِرِينَ فِي عُلُوم الحَقَائِق بِنُور الفَتْح وَالإِلْهَام: إنَّ السَّفَرَ إِلَى اللهِ مَكْتُوبٌ عَلَيْنَا، فَمَا لَنَا نَطْلُبُ الإِقَامَةَ فِي دَار لَيْسَتْ إِلَيْنَا، وَالسِّنُونُ مَنَازِلٌ، وَالشُّهُورُ مَراحِلُ، وَالأَيَّامُ أَمْيَالٌ وَالأَنْفَاسُ خَطَوَاتٌ وَالمَعَاصِي قُطَّاعُ الطَّرِيقِ وَالرِّبْحُ الجَنَّةُ وَالخُسْرَانُ النَّارُ وَقَدْ خَلَقَنَا فَتَقَلَّبَ فِي سِتَّةِ أَسْفَارٍ إِلَى أَنْ يَسْتَقِرَّ بِنَا المَنْزِلُ، فَالسَّفَرُ الأَوَّلُ سَفَرُ السُّلاَلَةِ مِنَ الطِّين وَالثَّانِي مِنَ الصُّلْب إِلَى الرَّحِم وَالثَّالِثُ مِنَ الرَّحِم إِلَى ظَهْرِ الأَرْض وَالرَّابِعُ مِنْ ظَهْرِ الأَرْض إِلَى القَبْرِ وَالخَامِسُ مِنَ القَبْرِ إِلَى مَوْقِف العَرْض وَالسَّادِسُ مِنْ مَوْقِفِ العَرْض إِلَى دَارِ القِيَّامَةِ وَالنُّشُورِ إِمَّا الجَنَّةُ وَإِمَّا النَّارُ وَقَدْ قَطَعْنَا مَسَائِفَ الطَّرِيق وَبَقِيَ الأَصْعَبُ وَلِهَذَا الخَطْب شَمَّرَ المُتَّقُونَ عَنْ سَاق الجِدِّ فِي سُوقِ المُعَامَلَةِ وَكُلَّمَا مَرَّ مَرْكَبُ الحَيَاةِ يَخْطُو فِي بِحَارِ العُمْرِ شَغَلَهُمْ هَوْلُ مَا (165) مَا هُمْ فِيهِ مِنَ التَّنَزُّه فِي عَجَائِبِ البَحْرِ فَلَمْ يَكُنْ إِلاَّ القَلِيلُ حَتَّى قَدِمُوا فِي سُفُنِ السَّهَرِ وَاعْتَنَقَتْهُمُ الرَّاحَةُ فِي طَرِيق التَّلَقِّي فَدَخَلُوا بَلَدَ الوُصُول وَقَدْ حَازُوا عِزَّ الدَّهْرِ فَخُذْ حَدِيثَ المُقَام جُمْلَةً وَاقْنَعْ بِالعُنْوَانِ، الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ وَالنَّاسُ فِيهَا عَلَى طَبَقَاتٍ فَقَوْمٌ غَرْقَى وَهُمُ العَوَامُّ وَقَوْمٌ فِي السُّفُن وَهُمُ العُلَمَاءُ وَقَوْمٌ عَلَى الشَّطِّ وَهُمُ الزُّهَّادُ وَنَفْسُكَ فِي الحَقِيقَةِ سَفِينَةٌ، وَهِيَ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، فَأَحْضِرْ قَلْبَكَ لَدَيْكَ، وَلاَحِظْ كَلاَمَ أَهْلِ المَعْرِفَةِ عَلَيْكَ، يَا رَئِيسَ السِّيَّاسَةِ، إِذَا وُلِّيتَ فَلَكَ أَمْرُ الرِّيَّاسَةِ، وَاسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ سِرِّ التَّدْبِيرِ فِي فِرَاسَةِ الضَّمِيرِ، فَافْتَقِدْ قَرَابِسَ الأَقْدَارِ، وَطَوَارِمَ الأَوْطَارِ، وَمَدَارَ الاغْتِرَارِ، وَحَدَّ الإِخْتِبَارِ، وَمَرَاسِيَ الأَسْرَارِ، وَأَنْكِلِيتَ تَرْكِ الإِنْكَارِ، الَّتِي هِيَ مَجْمَعٌ لِمِيَاهِ مَجَارِي الأَقْدَارِ، وَخُذْ مِنْ وَسْوَسِ الوَسَنِ، وَقَلْفَطْ خُرُوقَ الفِتَنِ بِكَتَّانِ الكِتْمَانِ، وَوَقَارَ الوَقَارِ، وَمَسَامِيرَ المُسَامَرَةِ، وَقُدُومَ تَقْدِيمِ المُشَاوَرَةِ، وَقَدِّمْ شِرَاعَ الإِنْتِعَاشِ بَيْنَ يَدَيِّ سَفِينَةِ تَدْبِيرِكَ إِذَا عَادَ البَحْرُ كَالفِرَاشِ وَخِيطَ بِإِبَرِ الإِرْتِبَاطِ، وَخُيُوطِ

الإحْتِيَاطِ، مَا فَتَقَ مِنْ أَوْصَالِ (166) قِلاعَ عَقْلِكَ، وَأَبْرِمْ حِبَالَ تَرْكِ احْتِيَالِكَ، بِيَدِ الخُرُوجِ مِنْ أَحْوَالِكَ، وَلْتَسُقْ مِسْمَارَ مُسَامَرَتِكَ، مِنْ ذِكْرَى أَيَّامِ إِرَادَتِكَ، فَإِذَا تَقَوَّى نَسِيمُ الأَنِيرِ، نَفْسَ المَسِيرِ، وَإِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ الشَّوْقِ نَفْسَ الفَرُوزِ وَإِذَا كَثُرَتْ رِيَاحُ الإِشَارَةِ، مِلْ عَنِ الإِمَارَةِ، وَإِذَا دَامَتْ رِيَاحُ الإِسْتِدْلالِ، ثَبِّتِ الحِبَالَ، وَإِذَا اخْتَلَفَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ المَجَالُ، ثَبِّتِ الأَوْصَالَ، وَإِذَا تَدَعْدَعَ الأَرْكَانُ، دَبِّرِ السُّكَّانَ، وَإِذَا خَفِيَتْ عَلَيْكَ المَجَارِي، حَمِّلِ العَشَارِي، وَإِذَا غَابَتْ عَنْكَ الدَّرَارِي، حُطَّ الصَّوَارِي، وَإِذَا هَالَتْ عَلَيْكَ البِحَارُ، شُدَّ الإِزَارَ، وَإِذَا انْتَفَخَتْ أَوْصَالُ الفُلْكِ، احْذَرْ مِنَ الهَلَكِ، وَإِذَا حَمَلْتَ أَثْقَالَ المُضْرِمَاتِ، قُلْ مَا يُقَالُ فِي الصَّدَمَاتِ، فَأَنْتَ الرَّئِيسُ إِذَا حَفِظْتَ مَا أَوْصَيْتُكَ بِهِ عَلَى الحَقِيقَةِ، وَفِي مَرْكَبِ تَدْبِيرِكَ حُجَّةُ الحُجَّةِ عَلَى أَهْلِ الطَّرِيقَةِ، فَإِذَا بَانَ لَكَ مَنَارُ الأَنْوَارِ، وَمَرْسَى الأَسْرَارِ، وَمَعَالِمُ المُجَاهَدَاتِ، وَأَسْكَنَكَ ذُرِّيَّاتِ المُكَاشَفَاتِ، وَكَعْبَةَ المُشَاهَدَاتِ، وَمَبَرَّ المَبَرَّاتِ، وَمَسَرَّ المَسَرَّاتِ، وَمِصْرَ القُصُورِ المُشْرِفَاتِ، وَرَكِبْتَ قُلْزُومَ لُزُومِ الوَاجِبَاتِ، وَنَزَلْتَ بِجِدَّةِ الوُجْدِ (167) عَشِيَّةَ الوَفَاءِ بِالعَهْدِ، فَشُدَّ الإِزَارَ، وَاصْحَبِ الزُّوَّارَ، بِقِلَّةِ الأَوْزَارِ، وَالْبَسْ إِحْرَامَ قَطْعِ الحَرَامِ، وَحُطَّ الذُّنُوبَ العِظَامَ، بِتِلْكَ المَشَاهِدِ العِظَامِ، وَاخْلُ بِإِخْوَانِ الصَّفَا، عِنْدَ الصَّفَا، وَاصْدُقْ فِي التِّجَارَةِ عِنْدَ المَرْوَةِ بِكَمَالِ الإِنْصَافِ، وَقِفْ بِعَرَفَةَ بِحُسْنِ الإِعْتِرَافِ، وَاعْرِفْ مِنَ المَشَاهِدِ، فِي تِلْكَ المَشَاهِدِ، وَمِنَ المَعَاهِدِ، فِي تِلْكَ المَعَاهِدِ، فَإِذَا رَجَعْتَ قَافِلاً، وَأَصْبَحْتَ فِي أَثْوَابِ القَبُولِ رَافِلاً، وَجِئْتَ مِنْ مَشْرِقِ اقْتِرَابِكَ، إِلَى مَغْرِبِ اغْتِرَابِكَ، فَاحْمِلْ إِلَى إِخْوَانِكَ، مِنْ كَتَّانِ كِتْمَانِكَ، وَمَاءِ وَرْدِ إِيمَانِكَ، وَلَكِ تَوَكُّلِكَ، وَمَنْدَلِ تَذَلُّلِكَ، وَعَنْبَرِ عَبَرَاتِكَ، وَشُرْبِ إِشَارَاتِكَ، وَلِيمِ إِمَارَتِكَ، وَكَافُورِ كَفَّارَتِكَ، وَعُودِ سَعَادَتِكَ، وَسُكَّرِ شُكْرِ عِبَادَتِكَ، وَسُنْبُلِ لَطَائِفِكَ، وَفُرْقَةِ وَظَائِفِكَ، وَفُلْفُلِ صَرْفِ مَالِكَ، وَمُصْطَكِي اصْطِكَاكِ أَوْصَالِكَ، وَكِبْرِيتِ كِيمِيَائِكَ، وَنِدَادِ آرَائِكَ، فَهَذِهِ سِلَعُ مَشْرِقِ الإِشْرَاقِ اللَّائِقَةِ بِمَغْرِبِ الأَشْوَاقِ، فَمَا أَحْوَجَكَ لِهَذَا الحَجِّ، وَمَا أَغْفَلَكَ عَنْ هَذَا النَّهْجِ، وَمَا أَعْمَاكَ عَنْ هَذِهِ الدَّفَائِنِ، وَمَا أَجْهَلَكَ بِهَذِهِ السَّفَائِنِ، وَمَا أَقَرَّ أَمْوَالَكَ فِي هَذِهِ الخَزَائِنِ، سَفِينَتُكَ (168) اعْتِقَادُكَ، وَسِلَعُهَا اجْتِهَادُكَ، وَرَئِيسُهَا عَقْلُكَ، وَمَرْسَاهَا فِعْلُكَ، وَمَارِيهَا سِرُّكَ، وَأَنْكَلِيتُهَا صَدْرُكَ، وَمَسِينُهَا إِمْسَاكُكَ، وَدُنُوُّهَا إِدْرَاكُكَ، وَرِيَاحُهَا قُشَّاطُكَ، وَحِبَالُهَا

ارْتِبَاطُكَ، وَطَرِيقُهَا صِرَاطُكَ، وَسَبَبُ نَجَاتِهَا ارْتِبَاطُكَ، وَسَبَبُ هَلاَكِهَا انْبِسَاطُكَ، وَعَاشِرِيهَا إِشَارَتُكَ، وَفُرُوزُهَا شَهَادَتُكَ، وَإِبَارَتُهَا إِبْرَاتُكَ، وَالعُمَّالُ فِيهَا خَطَرَاتُكَ، وَالْمُقَدِّمُونَ عَلَيْهِمْ نَظَرَاتُكَ، وَسِمْتُهَا دِينُكَ، وَقَرِيَتُهَا يَقِينُكَ، وَقَطْقُونَتُهَا قَلْبُكَ، وَشِرَاعُهَا أَشْوَاقُكَ وَأَرَقُكَ، فَإِذَا سَلِمَ الإِعْتِقَادُ مِنَ الشَّكِّ، وَالسِّلَعُ مِنَ الهَلَكِ، وَالرَّئِيسُ مِنَ الفُتُورِ، وَالمَرْسَى مِنَ العُدُورِ، وَالدُّقُونُ مِنَ البَلاَدَةِ، وَالرِّيَّاحُ مِنَ الجِبَالِ، وَالجِبَالُ مِنَ الإِخْتِبَالِ، وَالطَّرِيقُ مِنَ القَذَا، وَالنَّجَاةُ مِنَ الأَرْضِ، وَالعَشَارَى مِنَ الإِلْتِفَاتِ إِلَى الأَغْبَارِ، وَالفُرُوزُ مِنَ الغَفْلَةِ، وَالإِبَارَةُ مِنْ يَقِينِ العَفَارَةِ، وَالعُمَّالُ مِنَ العَجْزِ وَالْمُقَدَّمُونَ مِنَ النَّوْمِ، وَالسُّمَّارُ مِنْ غَيْمِ الشَّهَوَاتِ، وَالسِّمْتُ مِنْ خُبْثِ الطَّوِيَّةِ، وَالقَرْيَةُ مِنْ سُوسِ سُوءِ السَّرِيرَةِ، وَالقَطْقُونَةُ مِنَ الكَذِبِ، وَالشِّرَاعُ مِنْ شَرَفِ القَصْدِ فَأَبْشِرْ بِنَيْلِ الوَطْرِ (169) وَتَمَامِ السَّفَرِ، فَهُنَاكَ تُبَيَّنُ المَعَاهِدُ لِلْمَعَاهِدِ وَتَفْرَحُ المَنَازِلُ لِلْمَنَازِلِ وَتَظْهَرُ المَشَاهِدُ لِلْمُشَاهِدِ وَيَطِيبُ الوِرْدُ، وَيَدُومُ السَّعْدُ وَتَنْفَذُ السِّلَعُ، وَيَرْتَفِعُ الهَلَعُ، وَيَعْظُمُ قَدْرُ العُقُودِ بِمِنَّةِ المَقْصُودِ، فَإِذَا كَانَتِ الشُّرُوطُ مُخْتَلَّةً، وَالعُقُودُ مُنْحَلَّةً، فَأَقْرَبُ مَا لِهَذِهِ السَّفِينَةِ أَنْ تَنْكَسِرَ بِرِيَاحٍ لاَ يُكَلِّمُهُمْ فِي بِحَارٍ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ فِي أَمْوَاجٍ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فِي قُيُودٍ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَاسْتَيْقِظْ مِنْ نَوْمِ اغْتِرَارِكَ، إِنْ أَرَدْتَ الفَوْزَ بِأَوْطَارِكَ، وَإِنْ شِئْتَ ظُهُورَ آثَارِكَ، فَلاَ تَغْفَلْ عَنْ إِيثَارِكَ، وَإِذَا رُمْتَ الحُلُولَ بِدَارِكَ، فِي دَارِكَ فَدَارُكَ، وَإِذَا شِئْتَ السَّفَرَ فِي هَذِهِ السَّفَائِنِ، فَاسْتَرْزِقِ اللهَ مِمَّا فِي الخَزَائِنِ.

رَكِبَ المُحِبُّ مِنَ الحَبِيبِ سَفِينَةً	تَجْرِي مِنَ الخَطَرَاتِ فِي أَمْوَاجِ
فِي سِرِّ سِرِّ السَّيْرِ سِرًّا أَقْلَعَتْ	فِي جُنْحِ لَيْلٍ مُدْلَهِمٍّ دَاجِ
وَلَهَا مِنَ الصِّدْقِ المَرِيرِ مَرَاسِيًا	فِيهَا يَفُوزُ وَيَطْمَئِنُّ الرَّاجِ
فِيهَا أُنَاسٌ طُهِّرَتْ أَسْرَارُهُمْ	وَحَيَوْا بِقُرْبٍ دُونَ مَا إِدْلاَجِ
نَظَرَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى مَوْلاَهُمْ	وَالنَّارُ تُمْسِكُهَا بِغَيْرِ سِرَاجِ
وَسُقُوا مِنَ الصَّافِي الزُّلاَلِ مَذَاقَهُ	مِنْ دُونِ مَا كَأْسٍ وَلاَ مِزَاجِ
هَيْهَاتَ أَيْنَكَ مِنْهُمْ يَاذَا الوَفَا	لَيْسَ الغِنَى هَبَلْتَ كَالمُحْتَاجِ

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ مِثْلَ تَرْكِ الأَوْطَانِ وَالقَصْدِ (170) إِلَى مَكَّةَ لِلْحَجِّ مِثْلَ خُرُوجِ أَسْرَارِ العَبْدِ

مِنَ الدُّنْيَا إِلى اللّهِ وَهُوَ الحجُّ الأَكْبرُ عَلى الحَقيقَةِ لِمَنْ أُعْطِيَهُ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فَأَوَّلُ أُمُورِ الحجِّ قَطْعُ الطَّرِيقِ إِلى البَيْتِ وَمِثْلُهُ قَطْعُ مَنَازِلِ السُّلُوكِ إِلى اللّهِ وَمَا يَلْقَى في الطَّرِيقِ مِنَ المَخَاوِفِ وَالأَهْوَالِ وَالتَّيَسُّرِ مِثْلُ مَا يَلْقَى في طَرِيقِ اللّهِ مِنَ الوَسَاوِسِ وَالمُكَابَدَةِ وَصَدِّ ذَلِكَ لِمَنْ سَهَّلَ اللّهُ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ إِلى الوُصُولِ إِلَيْهِ وَشَدَّ وُصُولَهُ إِلى المِيقَاتِ، وَتَرْكُهُ الأَوْطَانَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ مِثْلُ وُصُولِ أَسْرَارِ العَبْدِ إِلى الإِشْرَافِ عَلى انْتِشَاقِ رَوَائِحِ المَلَكُوتِ فَيَرْمِي الدُّنْيَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ بِتَرْكِ المُبَالاَةِ بِهَا، وَأَوَّلُ مَا يَعْمَلُ الحَاجُّ في المِيقَاتِ التَّجَرُّدُ عَنْ ثِيَابِ المَخِيطِ وَكَذَلِكَ مِثَالُهُ لِلإِسْرَارِ التَّجَرُّدُ مِنَ الإِلْتِبَاسِ بِمَا يَشْغَلُ عَنِ الدُّخُولِ في طَرِيقَةِ أَهْلِ السِّرِّ إِلى اللّهِ في مَنَازِلِ السُّلُوكِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الغُسْلُ لِلإِحْرَامِ وَمِثَالُهُ التَّطْهِيرُ مِنْ أَوْسَاخِ العِلَلِ المُلَوِّثَةِ لَهُ في دَارِ الدُّنْيَا لِيَتَأَهَّبَ لِلْوُصُولِ مَطْهَرِ السِّرِّ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ لُبْسُ ثِيَابِ الإِحْرَامِ وَهُوَ مِثَالٌ لِلُبْسِ الأَسْرَارِ لأَسْبَابِ الزُّهْدِ، ثُمَّ صَلاَةُ رَكْعَتَيْنِ وَهُوَ مِثْلُ الْتِزَامِ الذُّلِّ وَالتَّوَاضُعِ في طَرِيقِ اللّهِ لِمَنْ دَخَلَهَا وَتَرْكُ الكَذِبِ لأَنَّهُ لاَ يَلِيقُ بِطَرِيقِ (171) اللّهِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ عَقْدُ الإِحْرَامِ وَالدُّخُولُ فِيهِ بِالنِّيَّةِ وَمِثَالُهُ لِلأَسْرَارِ الإِلْتِزَامُ لِمُلاَزِمِ طَرِيقِ اللّهِ، لأَنَّ مَنْ دَخَلَ طَرِيقًا الْتَزَمَ أُمُورَهُ بِالعَزْمِ وَالحَزْمِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ التَّلْبِيَةُ وَمَعْنَاهُ أَنَّ اللّهَ تَعَالَى دَعَى الخَلْقَ إِلَيْهِ وَالإِعْرَاضَ عَنْ غَيْرِهِ فَأَجَابُوهُ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ إِجَابَةً لِدَعْوَةِ اللّهِ وَمَعْنَى رَفْعُ الصَّوْتِ بِهَا لأَنَّ العَبْدَ في مَحَلِّ الغَيْبَةِ لَمْ يَصِلْ بَعْدُ إِلى اللّهِ فَيَرْفَعُ الصَّوْتَ بِالتَّلْبِيَةِ وَالإِسْتِجَابَةِ لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾، الآيَةُ

وَمَعْنَى رَفْعُ الصَّوْتِ بِهَا اشْتِغَالاً لِلْقَوَاطِعِ الشَّاغِلَةِ كَيْ لاَ تَصُدَّهُ عَنْ طَرِيقِ اللّهِ لاَ يَسْمَعُهُ تَعَالَى فَإِنَّ اللّهَ لَيْسَ بِأَصَمٍّ وَلاَ غَائِبٍ ثُمَّ تَرْكُهُ الصَّيْدَ وَقَتْلَهُ وَمِثَالُهُ لِلأَسْرَارِ تَرْكُ الحِيَلِ في أَخْذِ الدُّنْيَا وَصَيْدِهَا بِالدِّينِ وَلِذَلِكَ أَمَرَ تَعَالَى بِالزَّادِ في الحَجِّ فَقَالَ:

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾،

ثُمَّ تَرْكُ الطِّيبِ وَالرَّفَاهِيَّةِ وَهُوَ مِثْلُ تَرْكِ الإِسْرَافِ وَالإِنْحِلاَلِ مِنْ لَوَازِمِ طَرِيقِ

اللهِ وَالرُّكُونِ إِلَى خُدَعِ النُّفُوسِ بِالتَّوْبَةِ وَرَدِّ المَظَالِمِ وَالإِقْلاعِ، ثُمَّ لا يَزَالُ ذَلِكَ سَالِكًا طَرِيقًا حَتَّى يَدْخُلَ مَكَّةَ فَيَغْتَسِلُ اغْتِسَالاً آخَرَ لِدُخُولِ مَكَّةَ وَهُوَ مُسْتَحَبٌّ وَهُوَ مِثَالٌ لأَخْذِ الأُهْبَةِ (172) مِنْ أَجْلِ الإِحْسَاسِ بِقُرْبِ المَزُورِ، فَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ مِنْ مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ كُرَى وَمَعْنَاهُ الكَرُّ عِنْدَ المُشَاهَدَةِ لِلْمَوَاطِنِ المَلَكُوتِيَّةِ، فَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ أَمْسَكَ عَنِ التَّلْبِيَّةِ لأَنَّهُ اسْتَشْعَرَ سِرَّ الحُضُورِ حِينَ حَلَّ بِسَاحَةِ المَلِكِ إِذْ لَيْسَ مِنَ الأَدَبِ رَفْعُ الصَّوْتِ مَعَ الكُبَرَاءِ بِحَضْرَتِهِمْ وَلأَنَّ حُضُورَهُ يَقْطَعُ عَنْهُ الشَّوَاغِلَ الَّتِي تُوجِبُ لَهُ رَفْعَ الصَّوْتِ فِي مَحَلِّ الغَيْبَةِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَمْضِي إِلَى البَيْتِ وَيَبْدَأُ بِالحَجَرِ الأَسْوَدِ يُقَبِّلُهُ وَمِثَالُهُ أَنَّ مَنْ دَخَلَ عَلَى مَلِكٍ أَوَّلُ مَا يُسْرِعُ إِلَى تَقْبِيلِ يَدِهِ وَهَذَا فِي سُوَيْدِ القَلْبِ أَيسَ لأَنَّهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَانِ وَفِيهِ تَبْدُو أَيَادِي المَوَاهِبِ وَآثَارُ يَدِ القُدْرَةِ الأَزَلِيَّةِ فِي مَحَلِّ أَسْرَارِ الغَيْبِ، قِيلَ: إِنَّ الحَجَرَ الأَسْوَدَ اسْوَدَّ مِنْ أَيْدِي المُشْرِكِينَ وَكَذَلِكَ سُوَيْدُ القَلْبِ بِخَوَاطِرِ الشِّرْكِ وَالجَهْلِ وَنَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ ثُمَّ يَطُوفُ الجَسَدُ بِالبَيْتِ وَمِثَالُهُ فِي القَلْبِ جَوَلانُ الأَسْرَارِ فِي عَالَمِ المَلَكُوتِ حَوْلَ العَرْشِ، يَبْدَأُ الطَّائِفُ بِالحَجَرِ ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا وَمِنَ الصَّحَابَةِ وَكَثِيرٍ مِنَ العُلَمَاءِ مَنْ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ اليَمَانِيَّ وَغَيْرَهُ وَقَدِ اسْتَلَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (173) وَسَلَّمَ الرُّكْنَ اليَمَانِيَّ أَيْضًا فَمَنِ اسْتَلَمَ الأَرْكَانَ وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى الحَجَرِ أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ يَتَمَلَّقُ وَيَرْكُنُ إِلَيْهِ وَيُسِرُّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَيَنْبَسِطُ بِالإِقْبَالِ وَالمَشْيِ إِلَيْهِ وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى الرُّكْنِ كَانَ السِّرُّ أَنَّهُ أَشَارَ إِلَى التَّوْقِيرِ وَالتَّعْزِيزِ كَمَا يَصْنَعُ مَنْ يُقَبِّلُ يَدَ مَلِكٍ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ يَحِقُّ بِهِ وَيَطُوفُ حَوْلَهُ وَلا يَقْرَبُهُ تَعْزِيزًا أَوْ إِجْلالاً حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَصِفَةُ الطَّوَافِ ثَلاثَةٌ خَبَبًا وَأَرْبَعَةٌ مَشْيًا وَمِثَالُهُ فِي السِّرِّ إِذَا شَاهَدَ مَنْ صَافَحَ بِيَمِينِهِ اسْتَفْرَغَ الجَهْدَ بِوَقَارٍ فِي الحَقِّ لِمَا خَالَطَ مِنَ الوَلَهِ ثُمَّ مَا مَضَى يَسْتَأْنِسُ بِتَسْكِينِ اللهِ بِمَا يُوجِدُهُ مِنَ السَّكِينَةِ وَاللُّطْفِ وَالرَّحْمَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ فَيَشْتَغِلُ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَفِي الخَبَرِ أَنَّ الطَّائِفَ بِالبَيْتِ يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ ثُمَّ تَنَحَّى إِلَى مَقَامِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَمِثَالُهُ فِي السِّرِّ أَنَّهُ حِينَ صَافَحَ سُبُحَاتِ اليَدِ تَخَلَّلَتْ مَوَدَّتُهُ أَسْرَارَهُ وَبَرَاهِمَهُ بِتَوْصِيلِهِ إِلَى مَقَامٍ مِنَ الخُلَّةِ فَتَوَاضَعَ وَسَجَدَ وَذَلَّ شُكْرًا لَهُ عَلَى إِنْزَالِهِ تِلْكَ المَنْزِلَةِ وَتَوْصِيلِهِ إِيَّاهَا ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الحَجَرِ الأَسْوَدِ فَيُقَبِّلُهُ وَكَذَلِكَ

السِّرُّ يَرْفَعُ إِلَى اليَدِ فيُقَبِّلُهُ تَقْبيلَ رُؤْيَةِ المِنَّةِ الَّتي أَنْزَلَتْهُ مَنْزِلَةَ الخلَّةِ وَاليَقِينِ (174) وَمَنْ رَأى المِنَّةَ وَقَبَّلَهَا فقَدْ رَأى يَدَ الَّذي امْتَنَّ عَلَيْهِ وَقَبَّلَهُ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الصَّفَا لِلدُّعَاءِ وَكَذَلِكَ السِّرُّ إذا نَزلَ المَقامَ المُتَقدِّمَ وَشَاهَدَ المِنَّةَ بتَقْبِيلِ اليَدِ خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى رَبِّهِ بتَرْكِ الدَّعْوَى وَبالفَقْرِ مِنْ جَمِيعِ الأَحْوَالِ فَيَصْفُو قَلْبُهُ مِنْ دَقَائِقِ الشِّرْكِ الخفِيِّ وَإِضَافَةِ الأَشْيَاءِ إِلَى نَفْسِهِ ثُمَّ يُسْرِعُ فِي المَشْيِ إِلَى المَرْوَةِ فَيَقِفُ عَلَيْهَا وَمِثَالُهُ أَنَّ السِّرَّ صَعِدَ إِلَى الأَشْيَاءِ بخُرُوجِهِ مِنْهَا وَارْتَقَى مُرْتَقَاهُ عَلَى الصَّفَا مِنْهَا هَرَبَ أَيْضًا مِنْ صَفَاءِ سِرِّهِ أَنْ يَرَاهُ لِنَفْسِهِ مَقَامًا أَوْ يَرَى أَنَّهُ وَصَلَ إِلَيْهِ بصَفَاهُ فَيَفِرُّ إِلَى المَرْوَةِ إِذْ لَيْسَ مِنَ المُرُوءَةِ أَنْ يُرَى بشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ باسْتِحْقَاقٍ أَوْ يُدْعَى بحَضْرَةِ مَالِكِهِ وَوَاهِبِهِ بَلْ ذَلِكَ قَبِيحٌ فَيَفِرُّ حِينَ يَرَى ذَلِكَ قَبِيحًا إِلَى المَرْوَةِ، ثُمَّ يَفِرُّ أَيْضًا مِنَ المَرْوَةِ إِلَى الصَّفَا فَيَصْفُو بغَيْرِهِ مِنْهَا ذَاهِبًا وَرَاجِعًا يَفِرُّ مِنْ نُعُوتِ رُسُومِهِ وَصَفَاءِ أَحْوَالِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهَا وَإِنْ كَانَ مُعْتَمِرًا حلَقَ أَوْ قَصَّرَ وَإِنْ كَانَ حَاجًّا بَقِيَ عَلَى إِحْرَامِهِ وَسَيَأْتِي الحَلْقُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ وَعِنْدَ ذَلِكَ تَمَّتْ وَظَائِفُ القُدُومِ وَيُسَمَّى هَذَا طَوَافُ القُدُومِ لِقُدُومِ (175) الخَلْقِ عَلَى البَيْتِ وَقُدُومِ السِّرِّ عَلَى القَدِيمِ الَّذِي تَقَدَّمَ إِلَيْهِ بنِعَمِهِ وَاسْتَنْزَلَهُ فِي جِوَارِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الأَشْيَاءِ إِلَيْهِ وَيُسَمَّى أَهْلُ مَكَّةَ جِيرَانُ اللهِ لأَنَّهُمْ سَكَنُوا بَيْتَهُ وَكَذَلِكَ الأَسْرَارُ إِذَا قَدِمَتْ عَلَيْهِ وَأَتَمَّتْ طَوَافَ قُدُومِهَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَى أَحَدٍ إِلاَّ إِلَى اللهِ كَمَا قَالَ القَائِلُ: طَلَبْتُ لِنَفْسِي مَوْضِعًا فِي المَلَكُوتِ فَلَمْ أَجِدْ فَضَرَبْتُ خَيْمَتِي بإِزَاءِ العَرْشِ، فَهَذَا مِثَالُ النُّزُولِ بمَكَّةَ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى عَرَفَاتٍ ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى عَرَفَاتٍ، وَكَذَلِكَ الأَسْرَارُ إِذَا حَلَّتْ بجِوَارِ اللهِ اسْتَدْعَاهَا لِلْعَرْضِ عَلَيْهِ لِتَعْرِفَ مَا لَهَا وَعَلَيْهَا فَتَذَكَّرَتْ مَا سَلَفَ لَهَا فَيَتَذَكَّرُهَا خَرَجَتْ عَنْ قُرْبِ الجِوَارِ إِلَى مُشَاهَدَةِ مَا سَلَفَ لَهَا وَعَرَفَتْ أَعْظَمَ مَوَاقِفِ الحَجِّ لأَنَّهُ عَرْضٌ عَلَى اللهِ وَوُقُوفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَنْزِلُونَ فِي طَرِيقِهِمْ بمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ خِيفُ لِبَنِي كِنَانَةَ فِي مِنًى حَيْثُ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَبْلَ عَرَفَةَ وَمِثَالُهُ أَنَّ الأَسْرَارَ إِذَا تَهَيَّأَتْ لِلْعَرْضِ عَلَى اللهِ اعْتَرَضَهَا فِي الطَّرِيقِ الخَوْفُ مِنْهُ لابُدَّ وَلا مَحَالَةَ لَكِنَّ الخَوْفَ مَحَلُّهُ فِي مَعْنًى وَكَذَلِكَ الأَسْرَارُ إِذَا خَافَتْ لَمْ تَقْنَطْ وَتَمَنَّتْ عَلَى اللهِ بحُسْنِ الظَّنِّ عَظِيمَ المَغْفِرَةِ (176) وَالوَسَائِلِ يَرْحَلُونَ إِلَى عَرَفَاتٍ، وَكَذَلِكَ الأَسْرَارُ إِذَا

حلَّتْ بمَقَام الخَوْف وَحُسْن الظَّنِّ بالتَّمَنِّي عَلَيْه وَالرَّجاء فيه لاَحَتْ لَهَا مَعْرِفَةُ اللهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ فَلاَ يَزَالُ مُتَوَجِّهًا حَتَّى يَنْزِلَ بِهَا فَيَنْزِلُون بعَرَفَةَ وَيَنْتَظِرُون زَوَالَ الشَّمْس لِلْوُقُوفِ شَبَهًا بِانْتِظَار الأَسْرَار حِينَ حَلَّتْ بعَرَفَةَ اللهِ بالخَوْف وَالرَّجَاء بمَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنْهُ فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ أَخَذَ الإِمَامُ فِي الخُطْبَةِ، وَمِثَالُهُ فِي السِّرِّ أَلاَ تَرَى إِلَى تَجَلِّي المَلِكِ الدَّيَّانِ لِيَتَهَيَّؤُوا لِقُدُومِه عَلَيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الأَدَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَيْفَ يَقِفُونَ لَهُ بالإِجْلاَلِ وَالتَّعْظِيم ثُمَّ يَأْخُذُونَ فِي الصَّلاَةِ بَعْدَ الخُطْبَةِ وَكَذَلِكَ الأَسْرَارُ إِذَا تَجَلَّى لَهَا ظُهُورُ المَلِكِ خَضَعَتْ وَسَجَدَتْ لِجَلاَلِهِ وَهِيَ صَلاَةُ تَحِيَّةٍ لِتَجَلِّيه إِلاَّ أَنَّهَا مَفْرُوضَةٌ لأَنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ إِلاَّ فِي وَقْتِ فَرْضِهِ الوَاجِب عَلَيْهِمْ لأَنَّهُ مَوْطِنُ عَرْضٍ فِي مُحَاسَبَةٍ فَلاَ يُقَدِمُ أَحَدٌ عَلَى الهَدِيَّةِ الَّتِي هِيَ النَّافِلَةُ لِهَيْبَةِ العَرْض وَالحِسَاب وَيُقَدِّمُونَ العَصْرَ إِلَى الظُّهْر وَيَجْمَعُونَهُمَا لأَنَّ مَنْ قُدِّمَ بَيْنَ يَدَي اللهِ لِلْمُحَاسَبَةِ وَطَلَب الخَلاَص ثُمَّ يَقْطَعُونَهُ بَيْنَ يَدَي مَلِكِ المُلُوكِ فَلَمْ تَكُن الحِكْمَةُ إِلاَّ فِي (177) جَمْعِ الصَّلاَتَيْنِ لِهَذِهِ العِلَّةِ فَإِذَا تَمَّتِ الصَّلاَةُ أَخَذُوا فِي الوُقُوفِ وَالدُّعَاءِ وَالإِقْرَار بالذُّنُوب إِلَى غُرُوب الشَّمْس وَكَذَلِكَ الأَسْرَارُ إِذَا عَرَّفَهَا اللهُ فِي مَقَام مُشَاهَدَةِ التَّجَلِّي مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا وَمَا عَمِلَ فِي حَقِّهِ وَمَا أَوْقَعَ العَبْدُ فِي عُمْرِهِ كُلِّهِ وَلاَ يَبْقَى شَيْءٌ مِنْ مُحَابَاتِهِ إِلاَّ تَذَكَّرَهَا السِّرُّ فِي ذَلِكَ المَقَام فَيُقَرِّبُهَا لِبَارِيه وَلاَ يَزَالُ يَدْعُو وَيَتَضَرَّعُ حَتَّى أَثَارَ سَمْعَ البَارِي تَعَالَى وَكَرِيمَ صَفْحِهِ وَكَشْفَ سِتْرِهِ فَيَجِدُ آثَارَ مَعْنَى مَا أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى مَلاَئِكَتِهِ فِي يَوْم عَرَفَةَ، وَوَرَدَ أَنَّهُ يُشْرِفُ عَلَى أَهْل عَرَفَةَ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فَيَقُولُ انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثٌ غُبْرٌ الحَدِيثُ إِلَى آخِره، فَإِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ يَنْفِرُونَ إِلَى مُزْدَلِفَةَ وَذَلِكَ إِشَارَةٌ فِي السِّرِّ إِلَى غَيْبَةِ حَرَارَةِ المُحَاسَبَةِ وَالعَرْض عَلَى الأَسْرَار وَالأَرْوَاح وَالنُّفُوس وَوَجْدِ الفَرَح بغَيْبَةِ ضَوْءِ كَشْفِ العَوْرَاتِ فِيهِ وَمُخَبَّآتِ النُّفُوس فَإِذَا أَسْبَلَ اللَّيْلُ عَلَيْهِمْ لَبْسَتَهُ أُلْبِسَتِ الأَسْرَارُ أَرْدِيَةَ السِّرِّ الكَاشِفِ لِلْقَبَائِح وَتَقَفَّرَتْ بمَقَافِر المَعْرِفَةِ فَيَتَوَجَّهُونَ إِلَى مُزْدَلِفَةَ يُصَلُّونَ فِيهَا المَغْرِبَ وَالعِشَاءَ بَعْدَ مَغِيب الشَّفَق لأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَتِمُّ ضَوْءُ الشَّمْس بالكُلِّيَّةِ وَيَذْهَبُ (178) حَرُّهَا وَكَذَلِكَ بكَمَال السِّرِّ الكَثِيف وَوَجْدِ بَرْدِ العَفْو يَصِلُ العَبْدُ إِلَى مُنَى زَلَفِ الزَّلَفِ وَالزُّلْفَى مِنَ اللهِ وَكَذَلِكَ الحَاجُّ يَصِلُ إِلَى مُزْدَلِفَةَ بَعْدَ ذَهَاب الشَّفَق فَإِذَا وَصَلُوا مُزْدَلِفَةَ جَمَعُوا بَيْنَ الصَّلاَتَيْنِ

لأَنَّهمْ حينَئذٍ كَمُلَ تَطهُّرُهمْ منَ المُخَالَفاتِ بزَوالِ جميع حرارَةِ تَعَبِ الكدِّ وَالتَّعب بانْتِقَالِ المُحَاسَبَةِ فكَانَتِ السُّنَّةُ تأْخِيرَ المَغْربَ وَجمْعَها مَعَ العشَاءِ لهَذهِ اللَّطيفَةِ لِتَكُونَ الصَّلاةُ بَعْدَ كَمالِ الطَّهارَةِ وَفراغِ السِّرِّ منَ الكدِّ وَالتَّعبِ الَّذي تَقدَّمَ ذِكْرُهُ وَلِذلِكَ يَغْتَسِلُ الحاجُّ بمُزْدَلِفَةَ وَهُوَ منَ الإغْتِسَالاتِ المُسْتَحَبَّةِ في اغْتِسَالِ الحجِّ وَهَذا الغَسْلُ تَأَهُّبٌ لِنُزولِ مَنْزِلَةِ الزُّلْفى وَالزُّلفى مَنْزِلَةٌ رَفيعَةٌ منَ القُرْبِ وَمَا أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بالَّتي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلفى، ثُمَّ يَبيتُونَ بالمُزْدَلِفَةِ طُولَ لَيْلَتِهمْ فإذا لاحَ الفجْرُ صَلَّوْا الصُّبْحَ ثُمَّ يَقِفُونَ بالمشْعَرِ الحَرامِ إلى قُرْبِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَكَذلِكَ الأَسْرارُ إذا ظَهرَتْ وَنزَلَتْ مَحلَّ القُرْبِ وَوجَدَتْ بَرْدَ العَفْوِ وَالتَبَسَتْ بهَا أَرْديَةُ السِّتْرِ نَظرَتْ شَزْرًا بشُعُورِها إلى مَحارمِ اللهِ وَذَكَرْتَهُ عِنْدَ أمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَهَذا (179) الذِّكْرُ منْ أَفْضَلِ الأَذْكَارِ أَعْني ذِكْرَ اللهِ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فإذا ذَكَرَتِ الأَسْرارُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ شَعرَتَ بالمحَارمِ وَالنَّواهي فهُوَ ذِكْرٌ في مَحلِّ شُعُورِها كَيْ لا تَتَدنَّسَ بَعْدَ التَّطهيرِ فلِهَذا كَانَ الوُقُوفُ بالمشْعَرِ الحَرامِ بَعْدَ المُزْدَلِفَةِ ثُمَّ يَدْفَعُ الحاجُّ إلى مِنًى وَيُسْرِعُ بِبَطْنِ مُحَسَّرٍ، وَمِثَالُهُ الأَسْرارُ إذا تَذكَّرَتْ بالمشْعَرِ الحَرامِ أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ في مَحلِّ شُعُورِها نَفَرَتْ عَنْ ذَلِكَ وَهَرَبَتْ عَنْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا أَعْني المُحَرَّمَاتِ شَبهًا بِبَطْنِ مُحَسَّرٍ الَّذي يُسْرِعُ الحَاجُّ المَشْيَ فِيهِ لأَنَّ السِّرَّ يَتَذكَّرُ المحَارمَ فيَفِرُّ عَنْهَا وَيَتَحسَّرُ عَلى مَا وَقَعَ ثُمَّ يَرْمي الحاجُّ جَمْرَةَ العَقَبَةِ منْ أَسْفَلِهَا لأَنَّ مَوْضِعَ الجمَراتِ في السِّرِّ سُفْلٌ فأَمَّا رَمْيُهُ جَمْرَةَ العَقَبَةِ بَعْدَ هُرُوبِهِ منَ المَشْعَرِ الحَرامِ وَخُرُوجِهِ منْ بَطْنِ مُحَسَّرٍ فمِثَالُهُ أَنَّ السِّرَّ إذا شَعرَ بذِكْرِ المحَارمِ وَهَرَبَ منْهَا وَتَحسَّرَ عَلَيْهَا تَذكَّرَ الَّذي أَوْقَفَهُ في المُخَالَفاتِ فرَآهُ بسِرِّهِ وَهُوَ إبْلِيسُ لأَنَّهُ مَعَ المحَارمِ لا يُفَارِقُهَا يَعْني إبْلِيسَ وَعِنْدَ رُؤْيَةِ السِّرِّ إبْلِيسُ يُوَسْوسُ إلَيْهِ وَيُذَكِّرُهُ الرُّجُوعَ إلَيْهَا فيَرْجُمَهُ رَجمًا بالغَيْبِ يَرُدُّ وَسَاوسَهُ عَلَيْهِ الَّتي هِيَ جَمَراتٌ منْ جَمَراتِ جَهنَّمَ فيُحْرِقُهُ بردِّهَا عَلَيْهِ في السِّرِّ وَيَغْضبُ عَلَيْهِ اللهُ وَالغَضَبُ جَمْرَةٌ تَتوَقَّدُ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ جَمَراتٌ ثُمَّ يَذْبَحُ إنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ وَمِثَالُهُ أَنَّهُ إذا رَمى وَجْهَ (180) إبْلِيسَ بجَمَراتِهِ تَذكَّرَ منْ نَفْسِهِ مَنْ يَقْبَلُ رَمْيَ الشَّيْطانِ فإذا هِيَ الصِّفَاتُ البَهيميَّةُ الَّتي لا تَدْري مَا يُرادُ بها فيَخْدَعُهَا الشَّيْطَانُ ببلادَتِها فيُزَكِّيهَا بالنَّحْرِ وَالذَّبحِ كَيْ يَحْصُلَ لَهَا الذِّكْرُ وَالفِطْنَةُ بزَكَاتِهَا ثُمَّ يَحْلِقُ رَأْسَهُ

وَيُقصِّرُ مِنْهُ، وَمِثَالُهُ فِي السِّرِّ أَنَّ الدِّمَاءَ النَّفْسِيَّةَ البَهِيمِيَّةِ إِذَا أُهْرِقَتْ فِي اللهِ لِتُضَيِّقَ مَجَارِيَ العَدُوِّ وَقَطعِ العَلَائِقِ الَّتِي يَتَعَلَّقُ العَدُوُّ بِهَا وَهِيَ النَّوَاصِي الَّتِي يَعْقِدُ عَلَيْهَا فِي لَيْلِ الغَفْلَةِ وَنَوْمِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ أَيْ تَعِيشُ كَثِيرًا فَارْقُدْ وَاخْلُدْ إِلَى أَغْرَاضِكَ فَإِذَا قَطَعَ العَلَائِقَ مِنْ سِرِّهِ فَقَدْ تَحَرَّرَ مِنْ إِبْلِيسَ بِجَزِّ نَاصِيَةِ الرِّقِّ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنَ الحَجِّ إِلاَّ طَوَافُ الإِفَاضَةِ بِالبَيْتِ العَتِيقِ فَيَتَوَجَّهُ الحَاجُّ إِلَى طَوَافِ الإِفَاضَةِ وَكَذَلِكَ السِّرُّ إِذَا تَحَلَّلَ مِنَ العَلَائِقِ تَوَجَّهَ إِلَى سَيِّدِهِ فَيَطُوفُ بِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ الحَاجُّ إِلَى مِنًى فَيَقِفُ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ يَوْمَيْنِ لِيُتِمَّ رَمْيَ الجِمَارِ وَالنَّحْرِ وَالذَّبْحِ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ وَمِثَالُهُ فِي السِّرِّ الأَسْرَارُ إِذَا طَافَتْ طَوَافَ الإِفَاضَةِ بَعْدَ حُرِّيَتِهَا اسْتَشْعَرَتِ الرُّجُوعَ إِلَى مُبَاحَاتِهَا فَيَرْجِعُ إِلَى مِنًى (181) فَيَسْتَقْصِي تَمَامَ رَمْيِ الجِمَارِ وَالنَّحْرِ وَالذَّبْحِ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ وَمِثَالُهُ فِي السِّرِّ الأَسْرَارُ إِذَا طَافَتْ طَوَافَ الإِفَاضَةِ لأَنَّ النَّفْسَ إِذَا رَجَعَتْ إِلَى المُبَاحَاتِ لاَبُدَّ أَنْ تَتَمَنَّى الرُّجُوعَ إِلَى المُحَرَّمَاتِ فَيَسْتَقْصِي ذَبْحَهَا وَيُشْرِقُ بِمِنًى لُحُومَهَا وَيَرْمِي بَقِيَّةَ الجِمَارِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ تَأْكِيدًا لِحَبْسِ النُّفُوسِ بِزِمَامِ الثِّقَافِ إِذَا رَجَعَتْ إِلَى أَوْطَانِ المُبَاحَاتِ فَإِذَا تَمَّتْ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ فَيَطُوفُ طَوَافَ الوَدَاعِ وَيَرْجِعُ إِلَى بِلَادِهِ، وَمِثَالُهُ أَنَّ السِّرَّ إِذَا تَمَّتْ وَظَائِفُ حَجِّهِ وَلَمْ يَكُنْ لِلْبَشَرِيَّةِ بُدٌّ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى أَغْرَاضِهَا وَمُبَاحَاتِهَا طَافَ بِرَبِّهِ طَوَافَ المُحِبِّ إِذَا وَدَّعَ مَحْبُوبَهُ وَتَرَكَ سِرَّهُ عِنْدَهُ فَهَذَا الطَّوَافُ طَوَافُ تَذْكِرَةٍ بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فِي ظَاهِرِهِ أَنَّهُ وَدَاعٌ وَفُرْقَةٌ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِلْحُرْمَةِ وَأَشَدُّ فِي تَأْكِيدِ المَحَبَّةِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا»،

وَلأَنَّ كَثْرَةَ الجُلُوسِ عِنْدَ المَحْبُوبِ يُوجِبُ كَثْرَةَ الأُنْسِ وَالإِدْلَالِ وَيَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يَقَعَ فِي مُخَالَفَتِهِ بِكَثْرَةِ الإِدْلَالِ وَلأَنَّ النُّفُوسَ تَمَلُّ تَرْكَ أَغْرَاضِهَا فَإِنْ لَمْ تَرْجِعْ وَوَاقَعَتْ مَحْظُورًا بِحَضْرَةِ المَلِكِ المَحْبُوبِ فِي جِوَارِهِ وَجَبَ طَرْدُهَا عَنْ جِوَارِهِ لأَنَّ الذَّنْبَ يُضَاعَفُ بِحَضْرَةِ (182) المَلِكِ العَظِيمِ بِقَدْرِ حُرْمَتِهِ وَكَذَلِكَ وَرَدَ فِي الخَبَرِ أَنَّ الذُّنُوبَ تُضَاعَفُ بِمَكَّةَ كَمَا تُضَاعَفُ الحَسَنَةُ لِهَذِهِ العِلَّةِ الَّتِي ذَكَرْتُكَ بِهَا فَافْهَمْ وَلِذَلِكَ وَرَدَ فِي الآثَارِ رُبَّ رَجُلٍ بِخُرَاسَانَ أَوْ بِبَلَدٍ غَيْرَ

خُرَاسَانَ أَقْرَبُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ مِمَّنْ هُوَ سَاكِنٌ بِهِ أَوْ كَمَا وَرَد.

لَمْ يَكُنْ سَعْيُهُ إِلَى الحَجِّ قَصْدًا ❖ إِنَّمَا حَجَّ كَيْ يَرَى مَنْ أَحَبَّا
فَأَتَى الخِيفَ مِنْ مِنًى فَأَرَاهُ ❖ مَا تَمَنَّى فَقَالَ: أَهْلاً وَرَحْبَا
بِالَّذِي هَمَّتْ فِي القِفَارِ إِلَيْهِ ❖ وَالَّذِي لَمْ يُرَ بِمَرْآهُ صَبَّا
فَاتَّقَى حَاسِدًا وَخَافَ عَذُولاً ❖ حِينَ أَوْمَأَ إِلَى السَّلَامِ وَلَبَّا

وَاعْلَمْ أَنَّ الحَجَّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ إِفْرَادٌ بِالحَجِّ وَقِرَانٌ بِالحَجِّ وَالعُمْرَةِ مَعًا وَتَمَتُّعٌ بِالعُمْرَةِ إِلَى أَيَّامِ الحَجِّ ثُمَّ يَحُجُّ وَالحَجُّ بِالإِفْرَادِ أَقْوَاهَا وَالتَّمَتُّعُ وَالقِرَانُ أَيْسَرُ وَقَدْ اخْتُلِفَ فِي الكُلِّ أَيُّهَا أَفْضَلُ وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ الثَّلَاثَةَ الأَنْوَاعِ فَقَالَ فِي القُرْآنِ:

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾،

وَقَالَ فِي التَّمَتُّعِ:

﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾،

وَقَالَ فِي الحَجِّ:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾،

لِأَنَّهُ الفَرْدُ فَمِثَالُ الحَجِّ فِي أَسْرَارِ الحَجِّ الخُرُوجُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا بِالكُلِّيَّةِ بِالقَصْدِ إِلَى اللهِ دُونَ تَعْرِيجٍ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ دُونَهُ، وَالتَّضْيِيقُ الكُلِّيُّ عَلَى النَّفْسِ دُونَ مُدَّةِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهَذَا لَا يُطِيقُهُ إِلَّا الإِفْرَادُ لِأَنَّهُ إِفْرَادُ الإِفْرَادِ وَهُوَ (183) أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالمَوْتِ وَمَا وَرَاءَهُ مِنْ أُمُورِ يَوْمِ القِيَامَةِ وَالآخِرَةِ، وَالعُمْرَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الزِّيَارَةِ وَلَفْظُهَا مَعْنًى مِنَ العُمْرِ وَهِيَ إِنْفَارٌ مِنَ الحَيَاةِ عَلَى النَّفْسِ لِأَنَّهُ لَوْلَاهُ لَمْ تُعَمَّرِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلِذَلِكَ قَالَ:

﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾،

وَهُوَ الإِسْتِمْتَاعُ بِالمُبَاحَاتِ الشَّرْعِيَّةِ إِلَى أَيَّامِ الحَجِّ كَمَا قَالَ:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾،

ثُمَّ يَعُودُ إِلَى المُبَاحَاتِ، وَكَذَلِكَ القِرَانُ الإِشَارَةُ فِيهِ إِلَى اقْتِرَابِ الرِّفْقِ مَعَ الشِّدَّةِ كَمَا قِيلَ: الإِيمَانُ شِدَّةٌ فِي لِينٍ وَسَمَاحَةٌ فِي يَقِينٍ، وَوَرَدَ فِي الخَبَرِ أَنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُوتَى رُخَصُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُوتَى عَزَائِمُهُ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّحِيحِ فِي حَجَّتِهِ:

«لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الهَدْيَ وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيُحْلِلْ وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً»،

فَقِيلَ لَهُ أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِأَبَدٍ فَشَبَّكَ مَوْلَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ وَقَالَ:

«دَخَلَتِ العُمْرَةُ فِي الحَجِّ»

هَكَذَا ثُمَّ قَالَ:

«لَا بَلْ لِأَبَدِ الأَبَدِ»،

وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْرَدَ الحَجَّ هُوَ وَسَيِّدُنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِأَنَّهُ أَقْوَى الأَقْوِيَاءِ وَقَدْ أَهَلَّ مَوْلَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحَجِّ (184) وَالعُمْرَةِ مَعًا، وَرَوَى سَيِّدُنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ مَوْلَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي الحُلَيفَةِ وَبَاتَ بِهَا حَتَّى أَصْبَحَ ثُمَّ رَكِبَ حَتَّى اسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ عَلَى البَيْدَاءِ فَحَمِدَ اللهَ وَسَبَّحَ وَكَبَّرَ ثُمَّ أَهَلَّ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهِمَا وَهَذَا كُلُّهُ إِبْقَاءً عَلَى النُّفُوسِ وَرَحْمَةً وَسَمَاحَةً وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَلَكِنْ بِشَرْطِ تَرْكِ الحَرَامِ وَتَرْكِ الخُرُوجِ إِلَى الإِسْرَافِ الَّذِي لَا يُحِبُّهُ وَكَذَلِكَ اسْتُحِبَّتِ الزِّيَارَةُ إِلَى قَبْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ السِّرَّ إِذَا طَافَ طَوَافَ الوَدَاعِ كَمَا تَقَدَّمَ وَرَجَعَ إِلَى أَوْطَانِ مُبَاحَاتِهِ يَكُونُ رُجُوعُهُ إِلَى مُبَاحَاتِهِ بِالسُّنَّةِ لَا بِاتِّبَاعِ الهَوَى لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ رَأْسُ السُّنَّةِ وَمِنْهُ تَفَرَّعَتْ بَلْ هُوَ السُّنَّةُ كُلُّهَا فَلِهَذَا اسْتُحِبَّتْ زِيَارَتُهُ بَعْدَ قَضَاءِ الحَجِّ لِيَكُونَ رُجُوعُهُ إِلَى سُنَّتِهِ كَمَا تَقَدَّمَ فَهَذِهِ أَسْرَارُ الحِكْمَةِ فِي الحَجِّ مُبَيَّنَةٌ ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ فِي المَقَامَاتِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ وَالإِحْسَانِ نَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ

أَنْ لاَ يَجْعَلَهَا عَلَيْنَا حُجَّةً وَأَنْ يَكْتُبَ لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ حَظًّا وَنَصِيبًا بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ آمِينَ (185) آمِينَ آمِينَ وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَنْقِذْ سَفِينَتِي مِنْ بَحْرِ الدُّنْيَا الَّتِي اضْطَرَبَتْ بِأَنْوَاعِ الفِتَنِ أَمْوَاجُهُ وَاخْتَلَّ لِمَنْ رَكِبَ فِيهِ مِنْ كَثْرَةِ هَوْلِهِ طَبْعُهُ وَمِزَاجُهُ وَصَعُبَ عَلَى المُلْجِجِ فِيهِ إِنْقَاذُهُ وَإِخْرَاجُهُ وَخَفِيَ عَلَى السَّالِكِ فِيهِ طَرِيقُهُ وَمِنْهَاجُهُ وَكَثُرَ بِالأَمْرَاضِ البَاطِنَةِ ارْتِعَاشُهُ وَاخْتِلاَجُهُ وَطَالَ لَيْلُ هُمُومِهِ الوَقْتِيَّةِ وَلَمْ يَظْهَرْ وَجْهُ صُبْحِهِ وَانْبِلاَجُهُ، وَسَخِّرِ اللَّهُمَّ لَنَا بَحْرَ الآخِرَةِ وَهَوِّنْ عَلَيْنَا السُّلُوكَ فِيهِ وَاصْحِبْنَا رِيحَ اللُّطْفِ وَالسَّلاَمَةِ وَالنَّجَاةِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ الَّذِي يَكْثُرُ هَوْلُهُ وَارْتِجَاجُهُ بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي يَا مَوْلاَيَ مِنْ عَبِيدِكَ المُحِبِّينَ فِيكَ الشَّائِقِينَ إِلَى لِقَائِكَ الَّذِينَ رَكِبُوا فِي مَحَبَّتِكَ سُفُنَ الخَشْيَةِ وَاسْتَعْمَلُوا فِي الوُصُولِ إِلَى رِضَاكَ مَقَادِفَ الطَّاعَةِ وَأَرْخَوْا قُرُبَاتِ التَّوَكُّلِ فَعَصَفَتْ عَلَيْهِمْ رِيحُ الشَّوْقِ فَأَلْقَتْهُمْ فِي بِحَارِ المَعْرِفَةِ فَتَلَقَّتْهُمْ أَمْوَاجُ الرِّضَى وَحَمَلَهُمْ تَيَّارُ اليَقِينِ فَصَارَ القَوْمُ قَاصِدِينَ إِلَيْكَ حَتَّى غَابُوا عَنْ أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ فَكَأَنِّي وَاللهِ بِهِمْ تُخْتَرَقُ لَهُمُ الحُجُبُ وَالمَلاَئِكَةُ تَتَلَقَّاهُمْ بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ وَالقَوْمُ يَقُولُونَ: يَا مَلاَئِكَةَ اللهِ أَيْنَ (186) يَكُونُ الصِّرَاطُ فَتَقُولُ لَهُمُ المَلاَئِكَةُ: يَا أَوْلِيَاءَ اللهِ أَبْشِرُوا فَقَدْ جُزْتُمُوهُ بِخَمْسُمِائَةِ عَامٍ.

فَلَوْلاَ الحُبُّ مَا قَطَعُوا الفَيَافِي ❖ وَلَوْلاَ الحُبُّ مَا رَكِبُوا البِحَارَا
فَدَعْهُمْ وَالَّذِي رَكِبُوا إِلَيْهِ ❖ وَابْحَثْ عَنْ خَلاَصِكَ وَاخْتِبَارَا
وَلاَ تَشْغَلْ بِحُبِّ دِيَارِ لَيْلَى ❖ وَلَكِنْ حُبَّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

إِلَهِي أَخْشَاكَ لِأَنِّي مُذْنِبٌ وَأَرْجُوكَ لِأَنِّي مُومِنٌ وَأَعْتَمِدُ عَلَى فَضْلِكَ لِأَنِّي مُعْتَذِرٌ وَاثِقٌ بِكَرَمِكَ لِأَنِّي مُسْتَغْفِرٌ وَأَنْبَسِطُ إِلَى مُنَاجَاتِكَ لِأَنِّي حَسَنُ الظَّنِّ بِكَ.

إِلَهِي مَا اسْمِي عِنْدَكَ يَا عَلاَّمَ الغُيُوبِ، وَمَا أَنْتَ صَانِعٌ فِي ذَنْبِي يَا غَفَّارَ الذُّنُوبِ، وَبِمَ تَخْتِمُ عَمَلِي يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ.

إِلَهِي إِنَّمَا أَبْكِي لِأَنَّكَ لَمَّا قَسَمْتَ الأَقْسَامَ جَعَلْتَ التَّفْرِيطَ حَظِّي فَأَنَا أَبْكِي عَلَى مِحْنَتِي.

إِلَهِي قِيلَ لِي عَبْدٌ آبِقٌ مِنْ مَوْلَاهُ قُلْتُ: يَعُودُ وَيَعْتَذِرُ قِيلَ: العُذْرُ حُجَّةٌ وَلَا حُجَّةَ لِلْمُفْرِطِ قُلْتُ: يَتَعَلَّقُ بِشَفِيعٍ قِيلَ: الشُّفَعَاءُ يَخَافُونَ مِنْهُ قُلْتُ: مَوْلَايَ رَبَّانِي صَغِيرًا وَأَحْسَنَ إِلَيَّ فَعَصَيْتُهُ كَبِيرًا فَوَا حَيَائِي مِنْ قُبْحِ فِعْلِي وَحُسْنِ صَنِيعِهِ (187) فَإِنَّهُ مِنْ كَثْرَةِ إِحْسَانِهِ، وَكَمَالِ عَفْوِهِ وَغُفْرَانِهِ، يَسْتَحْيِي أَنْ يُعَذِّبَ شَيْبَةَ شَابَتْ فِي الإِسْلَامِ.

إِلَهِي فَضَلَ إِنْعَامُكَ إِنْعَامَ الْمُنْعِمِينَ، وَعَجَزَ عَنْ شُكْرِكَ شُكْرُ الشَّاكِرِينَ وَقَدْ جَرَّبْتُ غَيْرَكَ مِنَ الْمَأْمُولِينَ، بِغَيْرِي مِنَ السَّائِلِينَ فَإِنَّ كُلَّ قَاصِدٍ إِلَى غَيْرِكَ مَرْدُودٌ، وَكُلَّ طَرِيقٍ إِلَى سِوَاكَ مَسْدُودٌ، وَكُلَّ خَيْرٍ عِنْدَكَ مَوْجُودٌ، وَعِنْدَ سِوَاكَ مَعْدُومٌ وَمَفْقُودٌ.

إِلَهِي بِكَ إِلَيْكَ تَوَسَّلْتُ، وَعَلَيْكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ عَوَّلْتُ وَتَوَكَّلْتُ، وَحَاجَتِي مَصْرُوفَةٌ إِلَيْكَ، وَآمَالِي مَوْقُوفَةٌ لَدَيْكَ، وَكُلُّ مَا وَفَّقْتَنِي لَهُ مِنْ خَيْرٍ أَعْمَلُهُ وَأُطِيقُهُ، فَأَنْتَ دَلِيلِي عَلَيْهِ وَطَرِيقُهُ، فَأَرِحِ اللَّهُمَّ جَوَارِحَنَا عَنْ مَعْصِيَتِكَ، وَاسْبُلْ عَلَيْنَا سِتْرًا مِنْ عِصْمَتِكَ، وَاسْتَعْمِلْنَا فِي طَاعَتِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ عِزِّكَ وَعِنَايَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

فَيَا رَبِّ يَا رَحْمَانُ أَدْعُوكَ رَاجِيًا ❖ دُعَاءَ غَرِيقٍ كَظَّهُ لُجَجُ البَحْرِ
أَقِلْنِي أَجِرْنِي وَاهْدِنِي لَا أَمُتْ كَذَا ❖ عُمْيًا مِنَ التَّوْفِيقِ خَالٍ مِنَ البِرِّ
أَزِلْنِي مِنَ الدُّنْيَا حَيَاتِي فَإِنَّهَا ❖ قَدِ اقْتَنَصَتْنِي بِالخَلَابَةِ وَالمَكْرِ
ذَكَرْتُ وَلَمْ أُذْكَرْ وَنِمْتُ وَلَمْ أَنَمْ ❖ فَنَوْمِي بِهِ ذِكْرٌ وَذِكْرِي بِهِ فِكْرُ (188)
نُجُومُ ظَلَامِ اللَّيْلِ تَشْهَدُ أَنَّنِي ❖ أُرَاقِبُهَا حَتَّى الطُّلُوعِ إِلَى الفَجْرِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَوْلَايَ بِحُرْمَةِ حَبِيبِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَحْفَظَ سَفِينَتِي مِنْ فَرَاتِنِ الشَّهَوَاتِ وَرِيَاحِ الدَّعْوَى وَسَطَوَاتِ النُّفُوسِ وَالجَاهِ وَهَوَاجِمِ البَلْوَى وَاسْتِمَالَةِ القُلُوبِ بِتَحْسِينِ العِبَارَاتِ وَرَقَائِقِ الإِشَارَاتِ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى وَالوَسَاوِسِ القَلْبِيَّةِ وَادِّعَاءِ التَّوْبَةِ وَمُخَالَفَةِ المَأْمُورَاتِ وَقِلَّةِ

التَّقْوَى وَعَدَم الصَّبْر وَتَرْك الرُّكُودِ تَحْتَ مَجَارِي الأَقْدَار وَكَثْرَةِ الشَّكْوَى، وَأَنْ تُسَخِّرَ لِي اللَّهُمَّ بَحْرَ الدُّنْيَا وَبَحْرَ الآخِرَةِ وَإِذَا سَافَرْتُ إِلَيْكَ فِي أَحدِهِمَا فَاسْلُكْ بِي مَسَالِكَ النَّجَاةِ، وَأَلْطُفْ بِي لُطْفًا جَمِيلاً فِي الحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَاتِ، وَانْشِلْنِي مِنْ أَوْحَالِ البِدَعِ وَالدَّعَاوِي المُهْلِكَاتِ، وَقَرِّبْنِي إِلَيْكَ قُرْبَ المَحْبُوبِينَ وَلاحِظْنِي بِعَيْنِ عِنَايَتِكَ فِي الحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، فَقَدْ تَحَمَّلْتُ مِنَ التَّكَالِيفِ مَا لَوْ رُمِيَ عَلَى جَبَلِ رَضْوَى لَتَدَعْدَعَ، أَوْ نَزَلَ عَلَى ثَبِيرٍ لَخَضَعَ وَتَخَشَّعَ، أَوْ عَلَى جَبَلِ قَافٍ لانْفَلَقَ وَتَصَدَّعَ، أَوْ عَلَى حُنَيْنٍ لَبَكَى وَتَضَرَّعَ، فَكَيْفَ يُعَدُّ مَنْ كَانَ بِهَذِهِ المَثَابَةِ حَازِمًا أَوْ نَحِيرًا عَامِلاً عَالِمًا فَإِنَّ الغَرِيقَ فِي بَحْرِ الذُّنُوبِ لاَ يَبْدُو لَهُ طَرِيقٌ (189) وَلاَ يَأْوِي إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِ اللهِ المُوَفَّقِينَ فَرِيقٌ، وَلاَ يَأْلَفُهُ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ حَمِيمٌ وَلاَ صَدِيقٌ، وَلاَ يَهْنَأُ لَهُ عَيْشٌ وَلاَ نَوْمٌ وَلاَ يُسَاغُ لَهُ رِيقٌ، وَلاَ يَطْفَأُ لَهُ بِبَرْدِ البُكَاءِ وَالتَّأَوُّهِ زَفِيرٌ وَلاَ حَرِيقٌ، وَارْزُقْنِي اللَّهُمَّ الشُّكْرَ عَلَى نَعَائِمِكَ، وَالصَّبْرَ عَلَى بَلاَئِكَ، وَاصْحَبْنِي اللَّهُمَّ اللُّطْفَ فِي قَضَائِكَ، وَلاَ تَسْلُبْنِي مَا وَهَبْتَنِي مِنْ مَعْرِفَتِكَ، وَلاَ تَنْزَعْ مِنْ قَلْبِي مَا خَصَّصْتَنِي بِهِ مِنْ مَحَبَّتِكَ، أَوْ أَثْلَجْتَ بِهِ صَدْرِيَ مِنْ حِكْمَتِكَ، وَاعْفُ وَاصْفَحْ وَتَجَاوَزْ وَلاَ تُؤَيِّسْنِي مِنْ رَحْمَتِكَ، وَاسْتُرْ عَوْرَتِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلاَ تَحُكَّ عَمَلِي عَلَى مِحَكِّ الإِخْتِبَارِ فَالنَّاقِدُ بَصِيرٌ، وَالعَبْدُ مَحَلُّ الإِسَاءَةِ وَالتَّقْصِيرِ، وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ، فَإِنَّ مُعْظَمَ الذَّنْبِ فِي جَانِبِ عَفْوِكَ يَسِيرٌ، وَكَبِيرَةُ الجَرَائِمِ مَعَ غُفْرَانِكَ تَضْمَحِلُّ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا قَلِيلٌ وَلاَ كَثِيرٌ، يَا رَحْمَانُ يَا رَحِيمُ يَا سَمِيعُ يَا بَصِيرُ، يَا عَفُوُّ يَا غَفَّارُ يَا مُقْتَدِرُ يَا قَدِيرُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

ضَرَبَتْ سُعَادُ خِيَامَهَا بِفُؤَادِي ❖ مِنْ قَبْلِ سَفْكِ دَمِي بِسَفْحِ الوَادِ
وَغَدَتْ تُجَرِّعُنِي الهُمُومَ فَمَنْ لَنَا ❖ فَصَمَتْ عُرَاهُ شَمَاتَةُ الحُسَّادِ
فَكَأَنَّنِي وَكَأَنَّهَا مُتَوَدِّدٌ ❖ مُتَلَطِّفٌ لِطُوَيْلِمٍ مُتَمَادِ (190)
لَعِبَ الفِرَاقُ بِهَا وَفِي فُلْهَا وَلِي ❖ خَبَرٌ كَوَى كَبِدِي بِغَيْرِ زِنَادِ
وَتَوَعَّرَتْ طُرُقُ التَّوَاصُلِ بَيْنَنَا ❖ فَغَدَوْتُ نِضْوَ صَبَابَةٍ وَبِعَادِ
مَا كَانَ حَجَّةَ مَنْ أَقَامَ بِمَكَّةَ ❖ إِنْ لاَ يُحَدِّثُنِي حَدِيثَ سُعَادِ
بَعَثَتِ الحَرَّ مِنَ الحِجَازِ خَيَالُهَا ❖ شَتَّانَ بَيْنَ بِلاَدِهَا وَبِلاَدِي
يَا هَذِهِ عَوَّدْتِنِي أَلَمَ الضَّنَا ❖ وَأَرَاكِ لَسْتُ أَرَاكِ فِي العُوَّادِ

وبأيِّ آونَـــةٍ أَزُورُكِ بَعْـــــدَمَا ❖ حملَتْ هَجْرَكِ أَضْعَـــــفُ الأَجْسَادِ
فَبِحَقِّ حَقِّكِ إِنْ مَلَكْتِ فَاسْمَحِـــي ❖ شِيَمَ الكِرَامِ وَإِنْ أَسِـــرْتِ فَبعَـــادِ
وَقِفِ المَطِيَّ وَلَوْ كَلَمْحَــــــةِ نَاظِرٍ ❖ بِرُبَى المُحَصَّــــــبِ أَوْ مِنًى يَا هَادِي
وَأَعِدْ حَدِيثَكَ عَنْ أَبَاطِحِ مَكَّـــــةٍ ❖ وَعَنِ الرَّفِيـــــقِ رَائِحٍ أَمْ غَــــــادِ
وَمَسَرَّةٌ لِلنَّاظِــــــرِينَ بَدَتْ لَــــنَا ❖ مَا بَيْـــــنَ سُوقِ سُوَيْقَةَ وَجِيَـــــادِ
وَمَحَاسِنٌ طَلَعَتْ طَلَائِعُهُنَّ عَــــنْ ❖ حُلَــــلِ الكَمَالِ لِحَاضِرٍ وَلِــــبَادِ
هَطَلَ الغَمَامُ عَلَى الحَطِيمِ وَزَمْــزَمٍ ❖ وَعَلَى بِقَــــــاعِ بِالنَّـــــقَا وَوِهَادِ
وَسَرَى النَّسِيـــمُ بِطِيبِ نَسْمَةٍ طَيْبَةً ❖ فَتَنَشَّقَتْ نَسْمَةَ عَنْبَـــــرٍ وَحُشَـــادِ
بَلَدٌ سَمَــــــتْ أَوْطَانُهُ وَتَشَرَّفَـــــتْ ❖ بِمُحَمَّدٍ قَمَـــــرِ الكَمَالِ الهَـــــادِي
قَمَرٍ مُحْيِي دِينِ الضَّلَالَةِ بِالهُــــدَى ❖ وَأَذَلَّ أَهْـــــلَ البَغْيِ وَالإِلْحَـــــادِ
قَمَرٍ سَقَى الجَيْشَ العَــرِيضَ بِكَفِّهِ ❖ نَهْــــرًا أَزَالَ غَلِيــــــلَ كُلِّ فُؤَادِ
هُوَ فِي الجَلَالَةِ قَـــــالَ سَيِّــدُهُ لَهُ ❖ سَلْ مَا تُحِبُّ فَأَنْـــــتَ خَيْرُ عِبَادِي
هُوَ أَكْرَمُ الكُـــرَمَاءِ إِنْ عَصَفَتْ بِهِ ❖ رِيحُ السَّمَـــــاحِ وَأَجْــوَدِ الأَجْوَادِ
هُوَ مَلْجَـــــايَ هُوَ مَوْئِلِي وَمُؤَمَّلِيَّ ❖ هُوَ عُمْـــــدَتِي هُوَ عُدَّتِي وَعِــمَادِي
هُوَ أَحْمَدُ الحَاوِي المَحَامِدِ وَالَّـــذِي ❖ يُـــــرْوِي بِكَوْثَرِهِ الغَلِيــلَ الصَّادِي
مَوْلَايَ خُذْ بِيَدِي وَاقْضِ حَــوَائِجِــي ❖ وَاعْطِفْ عَلَــــيَّ وَلَبِّ حِيـــنَ أُنَادِي
وَعَلَيْكَ صَلَّى اللهُ يَا عَلَمَ الهُـــــدَى ❖ مَا أَرْفُضَ فِي الأَقْطَارِ صَوْبَ عِمَادِ (191)

انْتَهَى بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ وَشَامِلِ يُمْنِهِ وَمِنَّتِهِ عَلَى يَدِ كَاتِبِهِ لِنَفْسِهِ ثُمَّ لِمَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ عُبَيْدَ رَبِّهِ وَأَسِيرِ كَسْبِهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ العَرَبِي رَاغُونَ الأَنْدَلُسِي التِّطْوَانِي غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِعَامَّةِ المُومِنِينَ وَالمُومِنَاتِ وَالمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ إِنَّكَ يَا اللهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَكَانَ الفَرَاغُ مِنْ نَسْخِهِ ضَحْوَةَ يَوْمِ الخَمِيسِ خَامِسِ عَشْرَ شَوَّالِ الأَبْرَكِ عَامَ ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَأَلْفٍ، مُوَافِقٌ لِلْخَامِسِ وَالعِشْرِينَ مِنْ غُشْتِ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَتِسْعِمِائَةٍ وَأَلْفٌ أَكْرَمَنَا اللهُ بِخَيْرِهِ وَوَقَانَا مِنْ سُوءِ ضَيْرِهِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ. (192)



الشيخ محمد المعتصم ابن الصالح الشرفي